الأزمة الاقتصادية العالمية

بين التحيز الإعلامي والحل الإسلامي

أ.د. سليمان صالح
أستاذ الصحافة والإعلام الدولي
كلية الإعلام - جامعة القاهرة



مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

الأزمة الاقتصادية العالمية

بين التخبط الإعلامي والحل الإسلامي

بسم اللہ الرحمن الرحیم

الأزمة الاقتصادية العالمية

بين التحيز الإعلامي والحل الإسلامي

أ.د. سليمان صالح

أستاذ الصحافة والإعلام الدولي

كلية الإعلام - جامعة القاهرة

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٣٨٦١ / ١٤- ١٢- ٢٠١٠م

ISBN

978- 977- 481- 051- 0

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

صالح ، سليمان .

الأزمة الاقتصادية العالمية بين التحيز الإعلامي والحل الإسلامي/ سليمان صالح .– ط١ .– القاهرة : مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ، ٢٠١٠ .

٢٨٤ ص ؛ ٢٤سم .

تدمك ٠ ٠٥١ ٤٨١ ٩٧٧ ٩٧٨

١ـ الأزمات الاقتصادية أ ـ العنوان ٣٣٨,٥٤

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع
القاهرة : ٣ درب الأتراك ـ خلف الجامع الأزهر ـ ت ٢٥١٤٤٠٧٣
جوال ٠١٢/٣٦٧٦٧٩٧ - ٠١٠/٦١٨٦١١٤

المحتويات

* * *

مُقَدِّمَة

هذا الكتاب هو محصلة جهد استمر أكثر من عامين ، حاولت فيه أن أعتمد على الصحف ووسائل الإعلام الغربية بشكل عام والأمريكية بشكل خاص ، بالإضافة إلى الكثير من المصادر والمراجع الغربية .

ولقد جمعت الكثير من المعلومات ، لكنني آثرت أن أقدم تحليلاً علميًا لهذه المعلومات ، وتفسيرًا للواقع العالمي .

فلا يمكن أن نفسر الأزمة الاقتصادية بدون قراءة متعمقة للواقع السياسي والاقتصادي والثقافي .. ولذلك جاء هذا الكتاب ليقدم رؤية ثقافية حضارية سياسية للرأسمالية أو للأزمة الاقتصادية العالمية .

وإذا كان تخصصي هو الإعلام الدولي ، فقد يثور سؤال هو : ما علاقتي بالاقتصاد ، أو قد يبدو أو الرؤية التي أقدمها ليست متخصصة .. لكن تخصصي في الإعلام الدولي قد أتاح لي الفرصة أن أدرس بعمق العلاقة بين النظام الإعلامي الدولي ، والنظام الاقتصادي العالمي .. وكيف أن النظام الإعلامي الذي سيطرت عليه الشركات عابرة القارات قد استخدم لنشر ثقافة استهلاكية بهدف إخضاع الشعوب للرأسمالية ، وأن الرأسمالية استعبدت البشر باستخدام هذه الثقافة .

لقد أعطاني تخصصي القُدْرة على أن أقدم قراءة حضارية ثقافية إعلامية للأزمة الاقتصادية العالمية .. ولعلاقة الرأسمالية بالاستعمار القديم والجديد ، وأن أجيب في هذا الكتاب على أسئلة جديدة من أهمها .

١ـ ما الجوانب الاجتماعية والثقافية والأخلاقية للأزمة الاقتصادية العالمية ؟

٢ـ كيف تحيز النظام الإعلامي العالمي للرأسمالية ، وما مسئولية وسائل الإعلام عن هذه الأزمة ؟

٣ـ ما العلاقة بين الأزمة الاقتصادية وحرمان الجماهير من حقها في المعرفة .. وكيف كانت هذه الأزمة نتيجة لعملية تجهيل وتضليل وإلهاء قامت بها وسائل الإعلام للشعوب .

٤ـ كيف أخفت وسائل الإعلام الحقائق ، ولماذا لم تقم بوظيفتها في كشف الانحرافات والفساد . لذلك كان أهم مصادر قوة هذا الكتاب أنه يكشف العلاقة بين تحيز النظام الإعلامي الدولي للرأسمالية والأزمة الاقتصادية ، ودراسة هذه العلاقة ضرورية لفهم الجوانب المتعددة لهذه الأزمة .

يضاف إلى ذلك أن تخصصي في الإعلام الدولي قد مَكَّنَني من دراسة الاقتصاد السياسي لصناعة الإعلام والاتصال ، وكيف أصبحت وسائل الإعلام جزءًا من عملية تحالف بين الشركات عابرة القارات والإدارة الأمريكية والبنتاجون ..

وفهم هذا التحالف يمكن أن يُفَسِّر لنا الكثير من الأحداث السياسية والاقتصادية . لكنني في الوقت نفسه أفخر بانتمائي إلى الأمة الإسلامية ، وأن الإسلام قد شكَّل مسيرة حياتي ، وأنني ابن شرعي للحضارة الإسلامية .. ومن خلال ثقافتي الإسلامية أبني رؤيتي للعالم .. ولذلك فأنا أقدم هذا الكتاب كمقدمة لبناء نظام اقتصاد إسلامي عالمي جديد أرى أن هذه الأزمة الاقتصادية توفر فرصة تاريخية لبناء هذا النظام .

كما أنني أقدم هذا الكتاب كخطوة في طريق الكفاح ضد ظلم الرأسمالية والاستعمار والفساد والاستبداد .

لذلك فقد كتبت هذا الكتاب على شكل مقالات نشرتها في جريدة الشرق القطرية التي أعطتني الحرية التي لم أحلم بأن أحصل عليها في أية وسيلة إعلامية عربية .. فقدَّمت على صفحاتها تحليلي للأزمة الاقتصادية دون أن أفرض على نفسي رقابة ذاتية ..

لقد وجدت على صفحاتها الحرية التي كنت أتمناها ، لذلك أقدم شكري إلى رئيس مجلس إدارة جريدة الشرق ورئيس تحريرها وسكرتير التحرير وكل الصحفيين والعاملين بها .

وأقدم لأمتي هذا الكتاب الذي أرجو الله أن يكون مساهمة متواضعة في بناء نهضتها ، فالأزمة الاقتصادية توفِّر فرصة تاريخية للأمة الإسلامية لبناء نظام اقتصادي عالمي جديد .

اللهم لك الحمد حمدًا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك .

سليمان صالح

القاهرة في ٢٢ ديسمبر ٢٠١٠م

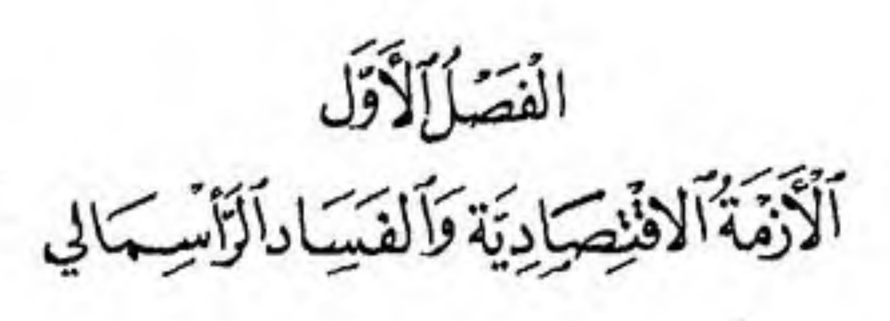
إهداء

إلى أمي ..

إن أجمل نعم الله عليَّ أنك أُمِّي .

فلله الحمد على نِعَمِه .

سليمان



الفصل الأول
الأزمة الاقتصادية والفساد الرأسمالي

- ١ -

الأزمة الاقتصادية العالمية نتيجة حتمية لتطور الرأسمالية !

الأُمَّة التي تريد أن تحقق النهضة والتقدم في العقد القادم هي التي تَدْرُس بعمق أسباب الأزمة الاقتصادية العالمية ، وتتوصَّل إلى تفسير صحيح لهذه الأزمة وبالتالي يمكن أن تستغلها لصالحها .

وبعيدًا عن تلك التفسيرات الجُزئية التي تستهدف تضليل الجمهور ، فإن التحدي الذي يجب أن نواجهه هو كيف يمكن التوصل إلى تفسير شامل للأزمة يضعها في سياقها التاريخي ، وكمرحلة أساسية من مراحل التطور الإنساني ، وبناء على هذا التفسير الشامل يمكن بناء نظام اقتصادي بديل لذلك النظام الذي صنع هذه الأزمة ، إننا أيضًا يجب أن ندرك أن النظام الذي صنع الأزمة لا يمكن أن يحلها ، وأن السياسات التي أدت إلى انهيار الاقتصاد العالمي لا يمكن أن تصلح هذا الاقتصاد . وبالتالي لا بد من البحث عن بدائل أخرى .

ولأن الكثير من الاقتصاديين الغربيين يُدركون هذه الحقيقة فإن وسائل الإعلام تركِّز على إلهاء الناس عنها ، وصرف انتباههم إلى تفسيرات جزئية تُغَيِّب العقل .

أعلى مراحل التطور :

التفسير الحقيقي لهذه الأزمة لا بد أن يقوم على دراسة الرأسمالية

وتطورها في المجتمعات الغربية ، وقيام الولايات المتحدة بفرضها على الشعوب كوسيلة للاستعمار الاقتصادي ونهب الثروات .

والرأسمالية تتطور نحو الاحتكار الذي يؤدي إلى تضخم الشركات وتوسع أنشطتها وزيادة قوتها بشكل يسحق الشركات الضعيفة ويخرجها من السوق ، كما أنه يؤدي إلى سحق الضعفاء بشكل عام .

ولقد وصلت الرأسمالية إلى أعلى مراحل الاحتكار حيث أصبحت حوالي ٥٠ شركة عابرة القارات متعددة الجنسيات ، تُسَيطر على مجمل حركة الاقتصاد العالمي .

وهذه الشركات الرأسمالية استخدمت الحكومة الأمريكية ، والكونجرس ووزارة الدفاع لصياغة سياسات عالمية تؤدي إلى فرض نفوذها على العالم ، وإخضاع العالم لسيطرتها .

ولأن هذه الشركات معظمها أمريكية ؛ فإن الولايات المتحدة أصبحت واقعيًا تسيطر سيطرة احتكارية على الاقتصاد العالمي ، وأصبحت دول العالم تابعة اقتصاديا وسياسيا لأمريكا .

أدى ذلك إلى أن تتعملق أمريكا اقتصاديًا وعسكريًا وأن يتزايد إنفاقها على الحروب بهدف إخضاع العالم لسيطرتها .

الشركات الاحتكارية دَعَّمت هذا الاتجاه ، وتحالفت مع الإدارة الأمريكية والبنتاجون ، وشكلت التجمع الصناعي العسكري الأمريكي .

ولذلك فقد حَدَث لأول مرة في التاريخ احتكار شامل للسلطة والثروة

والقوة العسكرية ، فقد فرضت أمريكا كدولة سيطرتها الاحتكارية على الاقتصاد العالمي الذي أصبح تابعا لاقتصادها ، وأصبح يدور في إطار السياسات التي تقوم بصياغتها بهدف السيطرة على العالم .

وفي داخل هذا الاحتكار ، كانت هناك ٥٠ شركة احتكارية تسيطر على حركة الاقتصاد العالمي ، وتشكل اتجاهاته ، وتستخدم الإدارة الأمريكية والجيش الأمريكي لحماية احتكارها .

اقتصاد السادة :

الشركات الأمريكية التي تحتكر الاقتصاد العالمي ركزت منذ التسعينات على مجالات اقتصادية رئيسية هي الأسلحة التي أنفقت الكثير من الأموال بهدف تطويرها ، ليصبح كل سلاح جديد متخلفا بعد فترة زمنية قليلة وهكذا كانت السرعة في ابتكار الأسلحة وتطويرها من أهم العوامل التي أدت إلى إنفاق المليارات من الدولارات .

هذه الأسلحة اسْتُخْدِمت لإخضاع شعوب العالم عن طريق إثارة أكبر قدر ممكن من الرعب .. أي أنها كانت وسيلة للحرب الفعلية والنفسية .

في مجال الحرب الفعلية أُلْقِيت ملايين الأطنان من المتفجرات التي لا يتخيل العقل قوتها التدميرية على العراق وأفغانستان .

وهذه العملية أدت بدورها إلى تشكيل حالة هزيمة نفسية لكل دول العالم التي أطاعت بدون مناقشة الأوامر الأمريكية بخصخصة اقتصادها والتخلي عن أية إجراءات حمائية وعن كل أشكال تدخل الدولة ، والاكتفاء ببيع المواد الخام بأسعار رخيصة واستيراد المنتجات الأمريكية بأسعار باهظة .

وفي الوقت نفسه قامت أمريكا بالتخلص من الأسلحة التي يتجاوزها الزمن بأسعار خيالية للدول النامية ، وهي أسلحة لا تمتلك تلك الدول الكوادر الفنية القادرة على تشغيلها ، وليست في حاجة حقيقية لها ، بالإضافة إلى أن أمريكا تكبل هذه الدول باتفاقيات تجعل استخدام تلك الأسلحة مستحيلاً .. وهكذا ضاقت مخازن دول العالم الثالث بأسلحة لا يمكن استخدامها ، وأصبحت عبئا على اقتصادها ، وأدت إلى تضييع ثروات الشعوب . كما أصبحت صفقات السلاح والعمولات التي تستخدم في عقدها من أهم آليات الفساد في العالم ، وتشكل محورًا من أهم محاور الاقتصاد العالمي . ولذلك فقد لاحظَ بعضُ العلماء أن الاقتصاد الأمريكي أصبح يتمحور حول البنتاجون ، وأصبحت الشركات تسعى بكل الوسائل للتحالف مع وزارة الدفاع الأمريكية ، والسير طبقا لاستراتيجياتها فاقتصاد وإنتاج السلاح والتجارة فيه أصبح من أهم المصادر لتحقيق الأرباح .

هكاذ أصبح اقتصاد السلاح هو اقتصاد السادة الأمريكيين الذين يديرون بواسطته الصراعات العالمية .

اقتصاد المعلومات :

أما المجال الثاني للاقتصاد العالمي والذي ركَّزت عليه الشركات عابرة القارات فهو المعلومات التي استخدمت بشكل واسع لتشكيل أدوار القوى الصناعية الكبرى في الاقتصاد العالمي .

أدَّت صناعة المعلومات إلى أن تصبح البنوك والبورصات والاقتصاد الرقمي من أهم المجالات التي تجذب الأموال وتقوم بتوزيعها وإدارة حركتها .

فاقتصاد العالم أصبح اقتصادا رقميا ، والذي يريد أن يكون له مكان في العالم لا بد أن يجيد بسرعة لعبة الأرقام . وفي هذا الاقتصاد الرقمي قامت الشركات الأمريكية بالتلاعب في أرقام حساباتها وتضخيم أرباحها بهدف زيادة أسعار أسهمها وجذب الأموال خاصة تلك الأموال التي نهبتها قوى الفساد من دول العالم المستضعفة التي كان فيما مضى يطلق عليها الدول النامية أو دول العالم الثالث .

هكذا تعملق الاقتصاد الرقمي ، وأصبحت أسعار الأسهم هي محور حياة الآلاف ، وغمرت الكثير من دول العالم بإرسال أموالها لكي تستثمر في شراء الأسهم وبيعها بدلاً من استثمارها في بناء مشروعات حقيقية .

بهذه الأساليب نهبت أمريكا اقتصاد العالم لكن الحقائق ظهرت فجأة ، والأرقام لا تعبر عن اقتصاد حقيقي ، والأسهم تمت المبالغة في قيمتها ، والبنوك التي تضخمت قدمت القروض ، بدون ضمانات للرأسماليين المغامرين .

الاقتصاد الرقمي لم يكن اقتصادا حقيقيا ... إنه يقوم على معلومات تم استخدامها للتضليل والتلاعب بأحلام الناس ورغبتهم في الثراء .

الاقتصاد العالمي كله كان مجرد أسلحة وأرقام ، ولا يمكن أن تأكل الناس أرقاما وأسلحة .

والأدوية أيضًا :

أما المجال الثالث للاقتصاد الأمريكي فهو صناعة الدواء بعد أن انتشرت الأمراض بشكل لم يعرفه التاريخ من قبل ، وأصبح كل إنسان في هذا العالم

مضطرا للإنفاق على شراء أدوية لأمراض غريبة مثل السرطان الذي انتشر بشكل واسع نتيجة استخدام الأسلحة الأمريكية ، وتلوث البيئة ، واستخدام الهرمونات والمبيدات في الزراعة .

وهناك الكثير من الأدلة على أن بعض الدول قد تعمَّدت نشر تلك المبيدات والهرمونات كوسيلة للحرب البيولوجية ولمواجهة المد الديموجرافي للشعوب التي تتميز بمعدلات عالية للخصوبة مثل الشعوب العربية .

وهكذا تزايد الإنفاق على الدواء الذي أصبح التخلص من بقاياه يشكل مشكلة بيئية ، وتدهورت صحة الناس ، وازداد البؤس ، وارتفعت أسعار العلاج في المستشفيات التي تحولت إلى فنادق .

هل يمكن أن يستمر اقتصاد احتكاري يقوم على الأسلحة والأرقام والأدوية ، ويدمِّر إمكانيات الشركات الضعيفة على الاستمرار ؟ هل يمكن أن يستمر اقتصاد عالمي تسيطر عليه الولايات المتحدة الأمريكية لصالح ٥٠ شركة ؟

الاحتكار هو أعلى مراحل تطور الرأسمالية ، وهو أيضًا بداية انهيارها ، لذلك فالرأسمالية لا يمكن أن تحل الأزمة التي ستزداد حدتها خلال السنوات القادمة ، وستؤدي إلى انهيار الكثير من الدول ... لذلك لا بد أن نَدْرُس الأزمة بعمق فالخطر القادم أسوأ بكثير مما شهدناه حتى الآن .

* * *

- ٢ -

النظام الرأسمالى فاسد ، ولكن الاعتراف بالحقيقة يحتاج إلى شجاعة الرجال !

تحتاج البشرية في هذه المرحلة التاريخية إلى أصوات شجاعة تُعْلِن الحقائق ، وتحذِّر من الأخطار القادمة وهى متعددة .

والأزمة الاقتصادية هى مقدمة لخطر أكبر يتمثل في انهيار النظام الاقتصادي العالمي ، لكن هذه الأزمة بدورها كانت نتيجة لانتشار الفساد ، فالعالم يمتلك من الثروات ما يكفي لتوفير حياة طيبة لكل البشر .. لكن الفساد الذي تمثَّل في نهب هذه الثروات هو أهم العوامل التي أدت إلى الفقر والبطالة والمجاعات وانتشار أمراض سوء التغذية .

هل تُريدون دليلا على ذلك ؟

يقول بول كروجمان الحاصل على جائزة نوبل في الاقتصاد : إن معظم المؤسسات المالية فاسدة ، وإن الفساد ينتشر في صناعة الخدمات المالية حيث تحول كل من يعملون في هذه الصناعة إلى أغنياء . وإن الغِنَى الذي يحققه الذين يديرون هذه المؤسسات المالية له تأثير سيء على المجتمع ككل حيث يؤدي إلى انتشار الفساد في المجتمع .

يضيف كروجمان : إن الفساد يعم وول ستريت ويؤدي إلى نظام اقتصادى فاسد وسياسات فاسدة .. ولقد كان جشع المؤسسات المالية في وول ستريت من أهم العوامل التي أدت إلى الأزمة الاقتصادية ، وأدَّى فشل

هذه المؤسسات إلى قيام إدارة بوش بضخ ٧٠٠ مليار دولار من الأموال الفيدرالية لإنقاذ هذه المؤسسات .

نزيف داخلى :

وعملية ضخ الأموال لإنقاذ البنوك الأمريكية الفاشلة هو في حد ذاته عملية فساد حيث يرى جوزيف ستجلتز أستاذ الاقتصاد بجامعة كولومبيا ، وهو أيضا حائز على جائزة نوبل في الاقتصاد : لقد تم إلقاء الكثير من الأموال في وول ستريت .. ولكن يالخيبة الأمل فتلك الأموال التي استهدفت إنقاذ البنوك والشركات الخاسرة ستدمر بقية الاقتصاد الأمريكي .

يضيف ستجلتز : إن الاقتصاد الأمريكي مثل مريض يتم نقل كمية كبيرة من الدم إلى جسده بينما هو يعاني من نزيف داخلي . ولقد فقد الأمريكيون ثقتهم في الفلسفة الاقتصادية التي يقوم عليها النظام الأمريكي ، وفي أيديولوجية السوق الحرة .

ويتهم ستجلتز وول ستريت بأنه قد لوث النظام الاقتصادي وعليه الآن أن يدفع ثمن هذا التلوث . ولكن لماذا استخدم ستجلتز مصطلح التلوث ؟ هل يعني بذلك أن هذا النظام الرأسمالي قد أدى إلى عملية تسميم للمجتمع بحيث لم يعد قادرا على مواصلة الحياة بشكل صحي ، وأن النظام الرأسمالي الفاسد أدى إلى إفساد المجتمع كله .

يمكن أن نجد ذلك المعنى أيضا عند جون جرلنج في كتابه الفساد والرأسمالية والديمقراطيه الذي صدر عام ١٩٩٧ ، حيث يرى أن هناك ارتباطا بين الرأسمالية والفساد ، وأن هناك تناقضًا بين الديمقراطية والرأسمالية .. ذلك

أن الديمقراطية تقلل من القدرة على تنظيم النشاط الخاص ، وهو ما يجعله يستهدف تحقيق الأرباح دون إعطاء أية أهمية للأخلاقيات المجتمعية والديمقراطية .

تجاهل الأخلاقيات واحتقار المجتمع ليس العامل الوحيد الذي يؤدي إلى تزايد الفساد في النظام الرأسمالى لكن هناك الكثير من العوامل التي تدفع الشركات الرأسمالية لاستخدام وسائل غير قانونية وتتناقض مع الأخلاق والحضارة والإنسانية ، فهذه الشركات تتميز بالجشع والرغبة في استخدام السلطة لإبعاد المنافسين أو دفعهم للإفلاس حتى تتمكن من السيطرة على السوق . لذلك فإنها تحاول دائما أن تتحالف مع السلطة ، وهو ما يؤدي إلى إفساد رموز السلطة وحصول الشركات على امتيازات غير شرعية وغير عادلة .

هذا يعني أن الرأسمالية أفسدت السياسة ، وساهمت في زيادة المشاكل التي تعانيها المجتمعات وفي إعاقة قدرة المجتمع على الإدارة الديمقراطية .

تزوير الانتخابات :

الشركات الرأسمالية عملت طوال سنوات طويلة على استغلال الديمقراطية لتوصيل النواب وصنع الحكام الذين يكونون على استعداد لتحقيق مصالحها ، وهو ما جعل هؤلاء النواب لا يمثلون كل فئات المجتمع ، ولكنهم يمثلون المصالح الخاصة للشركات ويعملون لتشكيل مناخ سياسي يتيح للرأسمالية أن تستغل الشعوب وتنهب ثروات الناس .

أدى ذلك إلى التزوير غير المباشر للانتخابات من خلال الدّعم المكثف للمرشحين الذين ترضى عنهم الشركات وترى أنهم يمكن أن يحموا

مصالحها .

والحملات الانتخابية المكثفة التي تدفع الشركات الرأسمالية تكاليفها تجعل المرشحين أصحاب هذه الحملات هم الشخصيات التي تعرفها الجماهير ، فتضطر إلى انتخابها باعتبارها البديل الوحيد المتاح . والجماهير تنتخب هؤلاء المرشحين بناء على صورهم الذهنية التي صنعتها الحملات الانتخابية وليس بناء على برامجهم الانتخابية .

هذا يعني أن الرأسمالية أفسدت العملية الديمقراطية وشوهتها ومنعت المجتمعات من ممارسة الديمقراطية لتحقيق التغيير وحماية مصالح المجتمع ، وتحقيق الرعاية لكل المواطنين .

الرأسمالية الفاسدة أنتجت سياسة فاسدة ، وصنعت حُكَّامًا لا يمثلون المجتمع ، ويتخذون قرارات لتحقيق مصالح الشركات وليس لتحقيق مصالح المجتمع وحماية حقوق المواطنين .

من أجل المال :

الحياة كلها من أجل المال .. هذه هي الصياغة التي فرضتها الرأسمالية للحياة على المجتمعات ، فأصبح الإنسان يعيش من أجل جمع أكبر قدر ممكن من المال ، ويتخلى في سبيل ذلك عن كل المبادئ والقيم .. وهذا يعني أن الرأسمالية الفاسدة قد شجَّعت الناس على التخلى عن الأخلاق .

الأخطر من ذلك أن أهمية المال زادت على أهمية الإنسان نفسه ، فأصبح الإنسان يتم تقييمه بما يملك من مال ، وهذه عملية إفساد للمجتمع ، فالإنسان الذي يدرك أنه لا يساوى سوى ما يملكه من مال لن يتمسك بأية

أخلاق ، ولن يراعي أية ثوابت مجتمعية في سبيل الحصول على المال .

لقد أصبح الإنسان يعيش ليجمع المال ، ولا يستخدم هذا المال ليعيش به فهو يضعه في البنك ، ويتلقّى كل فترة زمنية إشعارا بأن رصيده قد ازداد ، ويسعد بذلك ، في الوقت الذي يعاني فيه من قسوة الحرمان .

وجاءت الأزمة الاقتصادية لتوضح للجميع أن هذا النموذج الحياتي فاسد ، فقد تبخَّرت مدخرات الكثير من الناس في بنوك تدير عمليات مالية فاسدة ، وتعطي للرأسماليين قروضا بدون ضمانات حقيقية ، هذا يعني أن فساد الرأسمالية لم يقف عند حد الجشع ونهب ثروات الناس ، ولكن هذا الفساد انتشر وعم ، حتى أصبح المجتمع فاسدا ، والسياسة فاسدة ، والحياة كلها يعمها الفساد .

صيغة الحياة من أجل المال ملأت حياة الإنسان بالجشع والخوف ، ودفعته لأن يضع كل مدخراته في البنوك باعتبارها الملاذ الآمن ثم اكتشف بعد أن انهارت البنوك أنه خسر حياته .

لقد أصبح كنز المال يتم بلا هدف سوى الاستمتاع بعملية الكنز .. لقد كان هذا المال مجرد أرقام في بنوك يقوم على إدارتها مجموعة من الأثرياء الفاسدين .. فهي ثروات خيالية وليست حقيقية ، وأدى ذلك إلى أن الاقتصاد كله أصبح مجرد أرقام وحسابات تتضخم على حساب رفاهية المواطنين ، وخصما من قدرات المجتمع على تطوير الرعاية الصحية والتعليم والإنتاج الحقيقي .

ليست رأسمالية ولكنها فساد :

الارتباط بين الرأسمالية والفساد أصبح حقيقة واضحة ، لكن الكثير من

الجبناء لا يريدون الاعتراف بها ربما لأنهم تعودوا على الحياة في عالم يتم إدارته بواسطة مجموعة من البنوك والشركات الرأسمالية ، وربما عاشوا في وهم الربط بين التقدم والرأسمالية ، بينما الحقيقة أن الرأسمالية لا ترتبط إلا بالفساد .

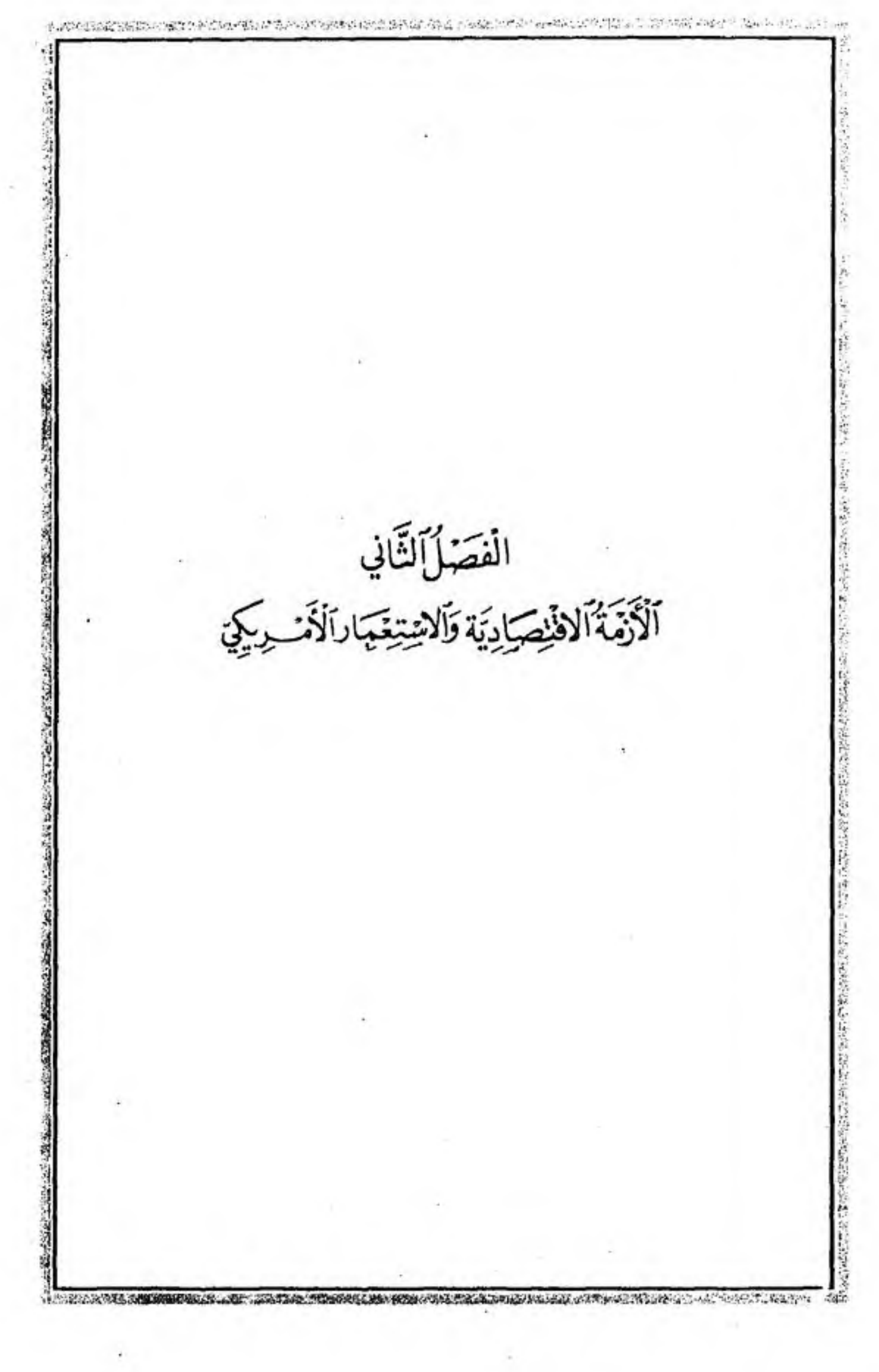
الاعتراف بالحقيقة يترتب عليه أمل في عمل منظم وتفكير جاد لإصلاح النظام الاقتصادي العالمي ، فهذا النظام قد أصبح يحتاج إلى إصلاح جذري .

لقد تردَّد في الولايات المتحدة في أواخر ٢٠٠٩م مصطلح أمريكا الفاسدة .. كان هذا المصطلح يعني أن الجماهير أكثر قدرة على الفهم من نخبة تحجرت عقولها وشل الخوف قدرتها على الاعتراف بحقائق تبدو واضحة .

من أهم تلك الحقائق أن فساد الرأسمالية سيؤدِّي إلى انهيار أمريكا .. وأننا نقف الآن في بداية فترة تاريخية ، أو طبقا لتعبير الفيلسوف السياسي جون جراي الأستاذ بمدرسة لندن للاقتصاد أمام نقطة تحول في الجغرافيا السياسية التاريخية سيتم فيها تغيير توازن القوى في العالم . وأن فترة قيادة الولايات المتحدة للعالم قد انتهت .

الرأسمالية الفاسدة صنعت الأزمة الاقتصادية التي أدَّت إلى التدهور الاقتصادي لأمريكا ولكل الدول التابعة لها ، ولذلك فإن المستقبل سوف يشهد هزيمة متعددة الأبعاد لأمريكا ولأيديولوجيتها الرأسمالية الفاسدة .. وهذا سيفتح المجال واسعا أمام قوى ورؤى وأفكار جديدة .

* * *



الفصل الثاني

الأزمة الاقتصادية والاستعمار الأمريكي

- ٣ -

العالم يتعرّض لأعاصير سياسية واقتصادية ... ولكن !!

يبدو أن عام ٢٠١٠ لن يرحل قبل أن يشهد العالم أعاصير غير متوقعة ، وربما يكون هذا العام حاسمًا في حياة الإنسانية .

كما أن تلك الأعاصير قد أصبحت مترابطة ، فكل إعصار يؤدي إلى إعصار جديد ... ومن لا يفهم بسرعة طبيعة التغيرات العالمية فإن الزمن سوف يتجاوزه . ويظل يبكي على استقرار مستحيل لا يوجد إلا في أوهام الذين فقدوا القدرة على الحياة .

انهيار الرأسمالية :

كان الإعصار المالي الذي تسبب في انهيار البورصات ، وفي تحويل الكثير من المستثمرين إلى فقراء بعد أن فقدوا أموالهم وأحلامهم هو أخطر تلك الأعاصير .

لكن يبدو أن هناك الكثير في عالمنا العربي ممن أُصِيبوا ببلاهة العقل والقلب ، ففقدوا القدرة على رؤية حقائق أصبحت أشد وضوحا من كل محاولات التجهيل والتزييف .

وهؤلاء أصبحوا غير مؤهلين للتعامل مع الأعاصير القادمة أو قيادة الأمة لمواجهة تحديات المستقبل . كما يبدو أيضا أن هناك من رأوا مصلحتهم في تجهيل الشعوب وإخفاء الحقائق ، وترديد تلك الادعاءات التي لا يصدقها

العقل ، ومن أهمها أن تلك الأزمة العالمية لن تؤثر علينا ، وأننا نقف دائما خارج إطار الجغرافيا والتاريخ فلا يمسنا شيء من أحداث العالم ، ولا تؤثر علينا تقلباته . ومن المؤكد أن هؤلاء يرتكبون جريمة تاريخية ، ويمكن أن يضيعوا على أمتنا فرصتها في النهضة والتقدم .

إنَّ أهم دلالات الإعصار المالي هو أن مصير الرأسمالية لن يختلف عن مصير الشيوعية ، وأن السوس الذي كان ينخر في عظام الرأسمالية دون أن يراه أحد حتى جعلها تنهار كتلك العمارات المبنية بأسمنت مغشوش في عصر انتشار الفساد هو الآن ينخر بقوة وسرعة في عظام الرأسمالية الغاشمة التي تعولمت وادعت أن التاريخ قد انتهى بانتصارها .

الرأسمالية المتوحشة أفقرت العالم ، وجعلت حتى أولئك الذين يملكون الأموال يعيشون في حالة حزن وبؤس وتعاسة . ويبدو أن أهم إنجازات تلك الرأسمالية أنها جعلت الجميع بؤساء ويعانون من الأمراض النفسية وأهمها الاكتئاب والخوف المرضي من المستقبل . لا فرق بين فقير وغني ، فالفقير حزين وبائس لأنه لا يجد ما يكفيه من قوت ، أو ما يوفر له كسوة العيال ومصاريف تعليمهم .

أما الغني فهو يكدس الأموال في البنوك وهو يعلم تماما أنه لن يستردها ، أو يشتري بها أسهما لشركات يعلم تماما أنها تكذب وتضع أرقاما خيالية للأرباح لترفع أسعار تلك الأسهم بشكل غير حقيقي .

هذا الغني يعلم تماما أن أسعار تلك الأسهم سوف تنهار عندما يتم اكتشاف أكاذيب الشركات وزيف أرقام أرباحها .

ولقد بدأت إشارات الانهيار في الفضيحة المحاسبية للشركات الأمريكية عام ٢٠٠٠ والتي أدت إلى أن يفقد ملايين الأمريكيين معظم مدخراتهم ، لكن تلك الفضيحة جرى التعتيم عليها ، ومواصلة السياسات التي أدت إليها ، حيث استمرت الشركات في تضخيم أرقام أرباحها وخداع الناس .

اقتصاد غير حقيقي :

لقد أوضح الإعصار المالي أن الاقتصاد الرأسمالي المتعولم اقتصاد غير حقيقي يقوم على التجارة في الأموال دون أصول تجعل لتلك النقود قيمة .

إنه اقتصاد لا يقوم على الإنتاج ، ولقد دفع نموذج الحياة الغربية المرفهة الناس إلى الابتعاد عن مجالات الإنتاج الحقيقي التي تتطلب عملا شاقا ، حيث اتجهوا إلى الاستثمار في عمليات تشبه القمار مثل شراء الأسهم والحصول على قروض من البنوك لبناء مساكن فاخرة لا تتطابق قيمتها التقديرية بقيمتها الحقيقية حيث يجري المبالغة في تقدير ثمنها .

ويقوم الذين ينهبون الأموال من البنوك بالمزايدة على أسعار تلك المساكن التي توحي بالرفاهية والترف ليكسبوا المزيد ، كما تقوم البنوك بتمويل عمليات الشراء مع مضاعفة الفوائد على القروض ، وهكذا اشترى الملايين من الناس مساكن فاخرة بأسعار خيالية وبقروض تتضاعف كلما طالت المدة ، حتى يُعجز الناس عن السداد ، وهكذا أصبح عشرات الملايين من الأمريكيين مهددين بالطرد من مساكنهم التي انهارت أسعارها لأنه ليس هناك من يستطيع أن يدفع ذلك الثمن الذي يفوق بكثير قيمتها الحقيقية .

الظلم الرأسمالي العام :

وهكذا جعلت الرأسمالية الناس في كل أنحاء العالم يعانون من حالة ظلم عام بعد أن سقط قناع الوهم ، وتحول الحلم إلى كابوس ، وأصبح الناس جميعا يعانون من حالة من الخوف لم تعرف البشرية لها مثيلا .

وربما يكون الفقراء هم أقل الناس خوفا فليس لديهم ما يفقدونه ، وربما جاءت لهم الفرصة لكي يستمتعوا برؤية الكثير من المستكبرين المغرورين المترفين الفاسدين وهم يصابون بالصرع والجنون واليأس والقنوط ، وربما تكون السجون هي المأوى المناسب لهم .

لكن أهم حقيقة يجب أن يدركها الجميع أن إفقار العباد وإذلالهم أهم نتائج تلك الرأسمالية المتوحشة . إنها لن تحقق للبشرية سوى الحزن والتعاسة والمصائب .

ولقد جاء ذلك الإعصار المالي مباشرة قبل الانتخابات الأمريكية ، كأن هناك موعدًا بين أوباما والنجاح فاندفع عشرات الملايين من الأمريكيين الذين أصبحوا مهددين بالطرد من مساكنهم ووظائفهم وفقدوا أموالهم في أسهم زائفة لينتخبوا باراك أوباما الذي كان قد رفع شعار التغيير .

لذلك جاء الإعصار الثاني فلقد كان فوز باراك أوباما إعصارا سياسيا واقتصاديا وثقافيا سوف يكون له الكثير من النتائج على كل دول العالم .

أهم دلالات ذلك الإعصار ونتائجه أن الأمريكيين كانوا يريدون التغيير ، واستطاعوا أن يحققوه رغم أنف الرأسماليين البيض الذين يسيطرون على الشركات عابرة القارات ، ورغم أنف اليمين المسيحي المحافظ .

لكن .. هل يحقق وعوده ؟

وأوباما جاء إلى الحكم بفضل الساخطين على الرأسمالية ... الخائفين من المستقبل ، لقد جاء أوباما إلى الحكم بأصوات الشباب الذين لا يريدون أن يتم تجنيدهم في الجيش الأمريكي ليفقدوا أرواحهم في أفغانستان والعراق ، ويريدون أن يحصلوا على وظيفة ورعاية صحية وفرصة للتعليم ، ولا يريدون أن يدفعوا الضرائب ليبددها أولئك الذين يحلمون ببناء امبراطورية عالمية أصبح كل البشر يكرهونها ويتمنون زوالها .

الذين انتخبوا أوباما يريدون تغييرا حقيقيا يقوم على التخلي عن أحلام بناء الإمبراطورية ، وسحب الجيوش الأمريكية من أفغانستان والعراق والخليج ، وإنفاق الأموال على التعليم والرعاية الصحية ، وبناء اقتصاد حقيقي .

الذين انتخبوا أوباما هم الذين يريدون تغيير الأيديولوجية الرأسمالية ... إنهم يريدون أن تنهار تلك الرأسمالية المتوحشة ليتم بناء فلسفة اقتصادية أكثر عدلا وإنسانية ، ولكن هل يستطيع أوباما أن يحقق لمن انتخبوه أحلامهم ؟ على أية حال لقد هب الإعصار والعالم ينتظر أعاصير أخرى .

* * *

- ٤ -

الاستعمار الأمريكي وتدمير العالم !

غربت شمس الإمبراطورية البريطانية ، واقترب الاستعمار القديم من نهايته خلال الحرب العالمية الثانية بعد حالة كساد استمرت أكثر من عشر سنوات ، وبعد مذبحة ذهب ضحيتها أكثر من ٤٠ مليون إنسان .

لكن الولايات المتحدة الأمريكية التي احتلت مكان الإمبراطوريات الاستعمارية القديمة وأدارت الصراعات العالمية منذ بداية الخمسينات لم تستوعب دروس التاريخ الذي أعاد بعض تجاربه بصيغ أخرى .

ومن أهم تلك الدروس : أن سياسة النهب والسلب التي اتبعها الاستعمار القديم كان لا بد أن تنتهي بثورات الشعوب المستضعفة ، وأن الاقتصاد العالمي الذي يقوم على السيطرة الاستعمارية لا بد أن يصل إلى حالة أزمة تتمثل أهم مظاهرها في الكساد والفساد والفقر والبطالة وضعف الإنتاج وتزايد ديون الناس والدول .

خلال الأزمة الاقتصادية الأولى نجحت أمريكا في تطبيق سياسات أدت إلى تجاوز الأزمة ، ولكن كان الثمن هو تفكيك الإمبراطوريات الاستعمارية القديمة ، والانسحاب من المستعمرات بعد تصاعد قوة حركات التحرر الوطني والثورات الشعبية .

السيطرة الناعمة :

اتجهت أمريكا منذ الخمسينات إلى فرض نوع من السيطرة الناعمة ،

واستبدال شكل الاحتلال العسكري المباشر باستعمار اقتصادي وسياسي وثقافي ، والكثير من دول العالم حتى تلك التي حصلت على استقلالها بعد ثورات عظيمة ارتضت لنفسها التبعية ، وربما يرجع ذلك إلى الرغبة في الحصول على استراحة محارب بعد تلك الثورات .

لكن أمريكا استغلت تلك الحالة ، وشجعت النظم الديكتاتورية على بسط نفوذها وسيطرتها على شعوبها ، وأدى ذلك إلى شعور تلك النظم بأن استمرارية وجودها يرتبط برضاء السيد الأمريكي الجديد ، ومن ثم فقد أعطته ثرواتها بثمن بخس ، وقامت بتخزين أموالها في البنوك الأمريكية ، واقترضت بنسب فوائد عالية الكثير من الأموال بحجة تحقيق التنمية .

كان من أهم نتائج هذا الاتجاه أن فقد الاقتصاد الأمريكي طابعه الإنتاجي ، واتجه إلى توفير فرص الرفاهية والترف للأمريكيين عن طريق اقتراض الأموال المخزنة في البنوك الأمريكية .

وفي الوقت نفسه زادت ديون دول العالم الثالث ، والفوائد المترتبة على تلك الديون حتى عجزت تلك الدول عن السداد ، وإن كانت قد استمرت في خدمة الدين بمعنى دفع أموال تغطي نسبة الفوائد .

وهكذا تحول العالم إلى الاستهلاك والاقتراض وخدمة الديون المتراكمة ، والاقتصاد الورقي ، وبالغت الشركات في تقدير القيمة الحقيقية لأسهمها لتنهب أموال الناس في عملية شراء الأسهم التي أصبحت تتزايد قيمتها وتنخفض بدون مبررات حقيقية .

كما أصبحت البنوك هي المحور الرئيس لاقتصاد العالم فهي التي تدير

حركة الأموال وتمويل المشروعات الوهمية ، وأدى ذلك إلى انتشار الفساد بشكل لا يمكن تصوره ، حيث يمكننا أن نصف الفترة الممتدة من بداية السبعينات حتى الآن بأنها أكبر فترة فساد في التاريخ .

الفساد يُشَكِّل العالم :

في هذه الفترة أصبح الفساد هو الأَصل ، ودخلت الحكومات كلاعب رئيس في نشر الفساد وتمويله والاعتماد عليه في فرض السيطرة . وارتبطت الحكومات الفاسدة بالولايات المتحدة الأمريكية ، وقامت بنشر ثقافة الاستهلاك والتَّخَلِّي عن الإنتاج .

لذلك ارتبط الفساد بتزايد التبعية وعمليات الخصخصة والقروض وتكديس الأموال في البنوك الأمريكية والأوروبية .

لقد تضخَّمت ثورة العالم المالية الورقية ، والتي لم تكن تعبر عن اقتصاد إنتاجي حقيقي ، وكان لا بد من إدارة تلك الثورة بشكل يضمن زيادة تضخمها بمعنى تحقيق أكبر قدر من الأرباح .

وفي الكثير من الأحيان عهد إلى مؤسسات تتميز بقدر كبير من الفساد بإدارة تلك الثروة مثل « ناسداك » التي أدارها برنارد مادوف .

حالة « مادوف » تمثل الأصل في الاقتصاد العالمي ولا تمثل الاستثناء ، فالمؤسسات المالية العالمية انتشر فيها الفساد بشكل واسع ، وأصبح الفاسدون هم أكثر الناس غنى وثراء ... وهؤلاء لم يكن لديهم ثقافة ، أو وعي بأحداث التاريخ وحركته ، ولذلك لم تستطع كل تلك المؤسسات التي تضم الكثير من الخبراء الاقتصاديين توقع الأزمة الاقتصادية الحالية ، فبدأ النظام

الاقتصادي العالمي ينهار بشكل تدريجي ولكنه سريع .

اقتصاد الفساد :

هل يمكن أن يصدق عاقل أن كل تلك الأزمة العالمية التي أدت إلى إفلاس آلاف الشركات . وسوف تؤدي قريبا إلى انهيار الدول كانت نتيجة لانهيار بنك اسمه ليمان برازرز .

إننا لا بد أن نمتلك الجرأة والشجاعة لندرس الأسباب ، ونعلن الحقائق ... وأهم هذه الحقائق أن السوس كان ينخر ببطء في النظام الاقتصادي العالمي منذ الأزمة الاقتصادية السابقة في الثلاثينات .

لقد كانت الطموحات الاستعمارية الأمريكية ورغبتها في السيطرة على العالم ، وفرض التبعية على الدول الفقيرة من أهم أسباب تلك الأزمة .

إن أمريكا لم تختلف في سلوكها وسياساتها وطموحاتها عن بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا في النصف الأول من القرن العشرين ، وواصلت النهج نفسه في إفساد العالم لإخضاعه لسيطرتها .

ولذلك فإنها نهبت ثروات الشعوب وأنفقت هذه الثروات على طموحاتها الاستعمارية وحروبها وقواعدها المنتشرة في الكثير من الدول .

لقد أخضعت أمريكا دول العالم بمساندة الفاسدين ومساعدتهم على اغتصاب الحكم وإذلال الشعوب التي ثارت على الاستعمار القديم ، وانتهاك حقوق الإنسان ، وإثارة الرعب والخوف ، وهكذا فقدت تلك الشعوب الحرية والخبز ، ولم تكن هناك تجربة ديمقراطية في العالم الثالث يمكن أن تحقق طموحات الشعوب في العدل والحرية .

لقد أفسدت أمريكا العالم اقتصاديا عن طريق إفساده سياسيا .. فقد كانت تعلن عن تأييدها ومساندتها لنشر الديمقراطية في الوقت الذي تبذل فيه كل ما تستطيع لفرض حكام فاسدين على الشعوب لكي يقوم هؤلاء الحكام بتسهيل عملية النهب الأمريكي لثروات العالم .

أما الشعب الأمريكي فقد تم إخضاعه عن طريق القروض من البنوك ... فأصبح الناس يرزحون تحت وطأة الديون التي تتكاثر وتنمو عن طريق تراكم الفوائد بينما تقل قدرة الناس على الحياة .

ووسائل الإعلام تطارد الناس وتدفعهم للشراء فالمتعة هي هدف الحياة ، والتميز هو امتلاك تلك المظاهر التي تعبر عن الثراء كالمنزل والسيارة ، والنجاح يتجسد فقط في الحصول على المال فهو الذي يجلب الوجاهة والنفوذ والسلطة .

تلك الصيغة أدت إلى انتشار الفساد ، فمن الطبيعي أن يسرق مادوف أكثر من ٥٠ مليارًا من الدولارات ، بعد أن بدد ثروات العالم ، فهو نموذج للرجل الرأسمالي الناجح الذي يعيش الحياة ، وهو في ذلك لا يختلف عن أي مواطن أمريكي اقترض من البنوك مبلغا من المال ليشتري به بيتا يأوي إليه من برد أمريكا القارس ، وهو يعلم تماما أنه لن يستطيع أن يسدد هذا القرض .

ومادوف لا يختلف كثيرا عن أي سياسي في العالم الثالث استغل سلطته ونهب أموال بلده وقام بتخزينها في بنوك أمريكا ليستمتع بالحياة المترفة ، وينفق بسفه ، ولا يهمُّ أن يموت الناسُ من الجوع .

وأمريكا كانت تريد الفاسدين لتستخدمهم في فرض سيطرتها على العالم ،

وكانت تريد الفاسدين ليتحكموا في الشعب الأمريكي ويوجهوه ليصبح الكل فاسدا ، وليصبح الفساد هو أساس الاقتصاد العالمي .

وهكذا كان الإعصار المالي هو النتيجة لسياسات الاستعمار القديم والجديد والفساد والديكتاتورية والرأسمالية .

لقد صنعت أمريكا الأزمة التي ستؤدي إلى انهيارها ، ولكن بعد أن ينهار الاقتصاد العالمي كله .

* * *

- ٥ -

الديون تتراكم على الدول النامية .. والنتيجة هي الانهيار الاقتصادي

سأُصَوِّر لكم الكارثة التي سببها الربا للبشرية بالأرقام رغم أنها في كثير من الأحيان خادعة ، ولا تقدم الحقيقة كاملة .

ومن أهم جوانب تلك الكارثة الديون التي تراكمت على الدول الفقيرة ، أو النامية ، أو ما كانت تُعْرَف في زمن مضى بدول العالم الثالث .

لقد زادت الديونُ هذه الدولَ فقرا ، وعطلت قدرتها على تحقيق التنمية واستغلال ثروات أرضها ، وفرضت عليها التبعية للدول التي كانت تستعمرها ، وتحول المواطنون في هذه الدول إلى عبيد يستجدون القوت الضروري ... لماذا ؟!

هل تكذب الأرقام ؟

يقولون : إن الأرقام لا تكذب . وأنا لا أعتمد كثيرا على تلك المقولة ، فالكارثة أكبر وأخطر من كل ما تصوّره الأرقام . ولكن على أية حال دعنا نُجَرِّب لغة الأرقام لعل عقلاء الأمة وقادتها ينتبهون ويتأملون ويفكرون ويتخذون قرارات صحيحة .

هل تعرفون أيها السادة كم تدفع الدولة الفقيرة مقابل كل دولار تحصل عليه كقرض ؟! في كل عام تدفع الدول الفقيرة ١٣ دولارًا كفائدة على كل دولار حصلت عليه كقرض ... هذا يعني أن الفوائد قد تراكمت حتى بلغت

١٣٠٪ من أصل القرض .

وخلال العقود الثلاثة الماضية دفعت ٦٠ دولة فقيرة (الدول الأكثر فقرًا) ٥٥٠ بليون دولار كفوائد على ٥٤ بليون دولار حصلت عليها كقروض ، وما زال هناك ٥٢٣ بليون دولار على هذه الدول من أصل الدَّين وفوائده .

هل يمكن أن يكون هنالك دليل أوضح من ذلك على أن الرِّبا هو أخطر أشكال الظلم ، وأنه سبب خراب الدول .. كيف يمكن أن يتضاعف مبلغ ٥٤ بليون دولار ليصل خلال ثلاثة عقود إلى تريليون وثلاثة وسبعين بليون دولار (التريليون هو ألف بليون) .

إنَّ هذا يشكل عملية نهب منظمة لثروات هذه الدول الفقيرة ، وعملية استعباد لشعوب هذه الدول ... ومن المؤكد أن هذه الدول لن تستطيع أن تُسَدِّد أصل هذه الديون أو فوائدها ... وتخيَّلُوا معي بعد ثلاثة عقود أخرى كم سيصل مبلغ الدَّين ، وكم ستكون تلك الدول الفقيرة قد دفعت كفوائد له . وهل بعد كل ذلك يمكن أن تحقق تلك الدول تنمية أو تقدما ؟!!

سبب مجاعة أفريقيا :

تعالوا لنتأمل المزيد من الأرقام ... خلال السبعينات اقترضت الدول الأفريقية مبلغ ١١ بليون دولار ! فهل تُصَدِّقون أن هذا المبلغ قد بلغ ٢٩٥ بليون دولار في عام ٢٠٠٢ .

لقد تراكمت الفوائد ، حتى شلَّت قُدُرَات الدول الأفريقية على السداد ، وأصبحت عاجزة عن إطعام شعوبها ، وبالطبع فإنكم تُشاهدون الصور التي تَبُثُّها قنوات التليفزيون عن الأطفال الجائعين ... ولكن هل تصدقون أن أفريقيا

الفقيرة التعيسة يمكن أن تقلب الاقتصاد العالمي كله لو أنها قد استخدمت ١٠٪ فقط من ثرواتها الطبيعية .

حكام أفريقيا لجأوا إلى الاقتراض من الغرب ، وأنفقوا هذه القروض على مظاهر الأُبَّهة والعِزّ ، ولم يهتموا بتحقيق التنمية ، أو إقامة مشروعات زراعية وصناعية تُوَفِّر فُرص الحياة لشعوبهم .

وسأقدم لكم حالة دالة على قسوة الظلم . فجنوب أفريقيا كانت تخضع لنظام عنصري تحكمه ديكتاتورية الأقلية البيضاء ، وقد قامت دول الغرب بإمداد الحكام البيض الطغاة بالقروض التي تراكمت عبر الزمن حتى سقط النظام العنصري ، وتحرر الشعب منه ، لكن عليه أن يُسَدِّد تلك القروض وفوائدها .. فهل رأيتم شعبا يجب أن يسدد ثمن عبوديته وقهره وتعذيبه .

لقد أعطت الدول الغربية القروض لحكام جنوب أفريقيا من البيض ، وهي تعرف أن هؤلاء الحكام سيقومون بتبديد هذه الأموال ، وإنفاقها على قهر السُّود .

فهل من العدل أن يدفع النظام الجديد هذه الديون وفوائدها بعد أن استخدمها الحكام البيض في استعباد السُّود .

وهل كانت هذه الديون سوى وسيلة لفرض عبودية مستمرة ؟ وليظل السُّود يدفعون ثمن عبوديتهم ، وثمن السياط التي ضربوا بها ، والرصاصات التي اخترقت أجسادهم ، وقنابل الغاز التي ألقيت على مُظَاهراتهم المطالبة بالحرية .

بلا تعليم ولا رعاية صحية

هذه الديون لعبت دورًا خطيرًا في تزايد الأمية وتناقص مستوى التعليم في الدول النامية ، وعدم تأهيل الكوادر الوطنية في هذه الدول لتحقيق التنمية ،

ذلك أن البنك الدولي والدول الغربية تفرض على الدول النامية أن تُقَلِّل من الإنفاق على التعليم ، وتخصخص المدارس والجامعات ، ولأن معظم المواطنين من الفقراء الذين لا يستطيعون تحمل أعباء التعليم الخاص ، فإن نسبة الذين لا يحصلون على التعليم المناسب تتزايد ، كما فشلت معظم هذه الدول النامية في القضاء على الأمية .

الدول الغربية أرغمت أيضًا الدول النامية على تقليل الإنفاق على الرعاية الصحية ، وأدى ذلك إلى تَعَرُّض شعوب هذه الدول لحالة ضعف عام وعدم قدرة على العمل وزيادة حالات العجز .

وفي الكثير من الدول انتشرت الأمراض الناتجة عن سوء التغذية ، وتلوث مياه الشرب واختلاطها بالمجاري ، وهي نوعية من الأمراض القذرة التي يمكن القضاء عليها باتباع أساليب النظافة ، وتجديد شبكات المياه والصرف الصحي .

لكن هذه الدول عجزت عن ذلك نتيجة لأن دخلها القومي يذهب مُعْظَمه لخدمة فوائد الديون مع بقاء أُصول هذه الديون تتراكم عبر الزمن .

الديون والفساد :

ارتبطت الديون أيضًا بالفساد حيث إن اتفاقيات القروض كانت تتضمن شروطا ظالمة لا يمكن أن توافق عليها حكوماتٌ يمكن وصفها بأنها وطنية ، ولذلك فقد ارتبط تزايد الديون بالقضاء على الحكومات ذات التوجهات الوطنية الاستقلالية ، ووصول أشخاص للحكم لا يملكون القدرة على مواجهة أطماع الدول الغربية واستغلالها ، وبالتالي فإنهم يوافقون على تلك الشروط لأن وجودهم في الحكم يرتبط برضاء أمريكا عنهم .

وفي معظم الحالات تم نهب أموال القروض بواسطة أشخاص يرتبطون بأمريكا وبالسلطات في الدول النامية ودون أن تستفيد الشعوب منها شيئا .

لذلك كانت الديون تشكل كارثة لشعوب الدول النامية ربما تكون أخطر من كارثة الاستعمار . فأمريكا والدول الغربية وَاصَلت عملية النهب الاستعماري عن طريق فوائد القروض ، وفشلت الدول النامية في تحقيق خطط التنمية .

هذا يعني أن فوائد الديون أهم أسباب الفقر والبؤس الذي تعيشه شعوب الدول النامية ، وتعتبر من أخطر أشكال الظلم ، فقد صنعت تلك الفوائد حالة عبودية حديثة .

لذلك فإن الامتناع عن سداد هذه الديون وفوائدها هو المدخل الوحيد لحماية البشرية من الانهيار الاقتصادي .

* * *


الفصل الثالث
الأبعاد الثقافية والاجتماعية
للأزمة الاقتصادية

- ٦ -

ثقافةُ الاستهلاك تُدَمِّرُ العالَم !!

العالم يتعرَّض لكارثة متعددة الأبعاد سوف تؤدي إلى تدمير نفسية الإنسان وتخريب الاقتصاد العالمي ، ومن أهم أبعاد هذه الكارثة الأزمة الاقتصادية وانتشار الأوبئة والأمراض التي لم تعرفها البشرية من قبل .

وبالرغم من كثرة وسائل الإعلام إلا أنها لم تستطع أن تقدم تحليلا لأبعاد تلك الكارثة وتفسيرا لها ، يساهم في زيادة وعى الإنسانية وقدرتها على مواجهتها والتوصل إلى حلول مبدعة لها .

وهذا التحليل العلمي يجب أن يخرج من دائرة التسطيح والتجهيل والتضليل ، فالبشرية تحتاج إلى عقول تجتهد في البحث عن الأسباب كمقدمة ضرورية للتوصل للحلول .

فإذا ما درسنا أبعاد تلك الكارثة بعمق لاكتشفنا أن ثقافة الاستهلاك من أهم العوامل التي شكلت تلك الكارثة ، وأدت إلى تدهور النظام الاقتصادي العالمي ، وتعرض هذا النظام للأزمة الاقتصادية .

الشّعَار الاستهلاكى :

لقد قامت الرأسمالية منذ بداية عهد الاستعمار بعملية تشكيل ثقافي للعالم تهدف إلى أن تكون الدول الرأسمالية هي مراكز الإنتاج ، بينما كل العالم يتحول إلى سوق لتصريف المنتجات الغربية .

ولتحقيق هذا الهدف فقد تم نشر ثقافة تقوم على أن الإنسان يعيش فترة

محدودة من الحياة ، وأن الموت هو نهاية هذه الحياة لذلك فإن عليه أن يحصل على أكبر قدر من المتعة واللذة ، وأن تكون كل أعماله يحركها دافع المنفعة . أما الأخلاق والواجب والمسئولية والضمير والتضحية فلا مكان لها في عالم يقوم على الإنتاج والاستهلاك .

في ضوء ذلك فإن على الإنسان الغربي الأبيض أن يسيطر على العالم لكى يبني في الغرب مجتمع الرفاهية والوفرة .أما كل أجزاء العالم الأخرى فإن عليها أن تبيع المواد الخام الرخيصة لتشترى المنتجات الغربية غالية الثمن .

لقد كانت ثقافة الاستهلاك من أهم العوامل التي أدت إلى سيطرة القوى الاستعمارية على العالم ، فقد أصبح الإنسان الغربي مسعورا ، فقد زاد لديه الاستعداد للقتل والتدمير وتخريب المدن والحضارات بعد أن أقنعته الرأسمالية بأنه لكى يبنى مجتمع الرفاهية والوفرة لا بد أن يسيطر على الشعوب الأخرى ويستعبدها .

هذا الاتجاه كان كامنا في الشخصية الغربية منذ الحروب الصليبية ، ثم زاد بشكل كبير بعد اكتشاف أمريكا . فالبيض البروتستنت الذين هاجروا للعالم الجديد أصابتهم شهوة الامتلاك والمتعة والسيطرة ، وامتلأت نفوسهم بعقدة التفوق فأبادوا الهنود الحمر ليبنوا على أنقاضهم مستعمرات جديدة . لكنهم لم يكن لديهم القدرة على البناء فجلبوا العبيد من أفريقيا ليقوموا ببناء القصور والمزارع للسادة البيض .

وهؤلاء الزنوج قتل منهم في هذه العملية عشرات الملايين حتى تم بناء أمريكا بعرقهم وجهدهم ، بينما تمتع السادة البيض وغرقوا في اللذات وتفرغوا

لاختراع الأسلحة وآلات الدمار التي تنشر الرعب والموت .

استعباد البشر :

حياة الإنسان الأبيض المستعمر قامت على الاستهلاك بهدف الحصول على أكبر قدر ممكن من المتعة واللذة ، وفي سبيل ذلك أهدر كل قيم الإنسانية ، فأباد الهنود الحمر ، واستخدم العبيد ليقوموا بالعمل الشاق بينما كان يستمتع بمعاناتهم ومأساتهم ودموعهم وآلامهم .

لكن هذا الإنسان الغربي اكتشف بعد فترة أنه يستطيع أن يستعبد البشر باستخدام ثقافة الاستهلاك ، فتلك الثقافة هى القوة الناعمة التي يمكن أن يستخدمها للسيطرة . ولذلك قام بنشر هذه الثقافة في المناطق التي قام باستعمارها ، ثم استخدمتها أمريكا لخلق نوع من الاستعمار الجديد يشكل بديلا للاستعمار القديم القائم على الاحتلال .

ولقد ثبت أن هذا الاستعمار الجديد أخطر كثيرا من الاستعمار القديم ، فوجود جيش للاحتلال لا بد أن يثير مشاعر الوطنيين ويدفعهم للمقاومة والثورة وانتزاع الاستقلال .

لكن أمريكا تركت معظم الدول تستمتع بمظاهر الاستقلال ، بينما تعيش واقعيا حالة تبعية وعبودية لأمريكا .كانت ثقافة الاستهلاك من أهم أركان الاستعمار الجديد ، وكان نشر هذه الثقافة هو العمل الأساسى لوسائل الإعلام التي سيطرت عليها الرأسمالية .

وباستخدام هذه الوسائل تم إغراق العالم بمواد ثقافية تمجد الضعف الإنسانى ، والسعى للحصول على المتعة ، وتحقير الذين يصرون على

التمسك بالشرف والمسئولية والواجب والوطنية باعتبار أن تفكيرهم المتخلف يتناقض مع الواقعية .

وباستخدام هذه الثقافة وصل إلى الحكم في معظم دول العالم الأشخاص الذين يرتبطون بأمريكا ثقافيا ، وعلى استعداد لتقديم كل ما تريده من أجل الحصول على بعض المعونات ، وفتح المجال لإغراق الأسواق الوطنية بالمنتجات الغربية وقام هؤلاء بقهر الوطنيين الذين يتمسكون بمنظومة القيم الوطنية ، ويسعون لتحقيق الاستقلال الشامل والاكتفاء الذاتي والتنمية والمقاومة والهوية الحضارية والثقافية .

إذا نظرت إلى سجون العالم الثالث فسوف تكتشف أنها أصبحت المكان الطبيعي للوطنين الذين يكافحون من أجل الاستقلال الشامل بينما يحكم تلك البلاد التابعون لأمريكا الذين يستخدمون ثقافة الاستهلاك لاستعباد البشر .

انظر إلى برامج الأحزاب الحاكمة في دول الجنوب سوف تكتشف أنها خالية تماما من أفكار الهوية والاستقلال والقيم الوطنية والأخلاق ، وأن أهداف تلك البرامج تتركز على بناء إسكان فاخر وزيادة في الميزانية ومشروعات خدمية واستهلاكية وسياحية ، أي أنها في النهاية تبني اقتصاد العبيد والخدامين القائم على السياحة والتجارة في المنتجات الغربية ، وبيع المواد الخام لأمريكا .

أين أموالنا ؟!!

ولقد استطاعت بعض الدول أن تحصل على الكثير من الأموال نتيجة بيع المواد الخام مثل البترول ، لكن حكام تلك الدول قاموا بتخزين تلك الأموال

في البنوك الأمريكية والأوربية ليحصلوا على الربا .

أما المبالغ القليلة التي سمحت أمريكا لهم بالحصول عليها من عائدات بيع نفطهم ومعادنهم فقد تم استخدامها في بناء إسكان فاخر وعمارات شاهقة وأسواق تجارية (مولات) . فظهرت ما يمكن أن نطلق عليه ثقافة المول حيث تذهب الأسرة لتنفق كل ما استطاع الأب المسكين أن يحصل عليه من مال في شراء سلع استهلاكية ثم تتناول العشاء من محلات الوجبات السريعة ، بينما يستمتع الأب بتناول القهوة الأمريكية وبمشاهدة صدور النساء شبه العارية فيكره اليوم الذي رأى فيه زوجته ، وتملأ حياتّه خيالاتُ النساء الأجنبيات الجميلات الفاتنات .

السعار الجنسى :

لذلك ارتبطت ثقافة الاستهلاك بالسعار الجنسى ، فالرأسمالية وفرت للإنسان إغراءات من الصعب أن يقاومها ، وقللت لديه القدرة على الالتزام بالأخلاق . واستخدمت المرأة للإثارة والإغراء ، فأصبح جسد المرأة من أهم آليات نشر ثقافة الاستهلاك .

هذا الرجل المسكين يجلس على المقهى في المول العصرى ليشاهد السيقان والصدور ، ثم يعود إلى المنزل ليواصل المشاهدة عبر المئات من محطات التليفزيون التي أصبح جسد المرأة من أهم وسائلها في جذب المشاهدين .

لذلك أنفق الرجال مئات المليارات على المنشطات الجنسية ، بينما أنفقت النساء مئات المليارات أيضًا على وسائل الزينة والتجميل والعطور

والملابس المثيرة ومتابعة الموضة .

لكن هناك الملايين من الرجال الذين أصابهم الملل من الجنس الطبيعي فاتجهوا إلى الشذوذ ، كما ملت النساء أيضًا الجري وراء الرجال ومحاولة إغرائهم فاتجهن للمثلية الجنسية .

وهكذا أفقدت الثقافةُ الاستهلاكيةُ الإنسانَ مميزاتِه وأخلاقَه ووظيفتَه الإنسانيةَ ودورَه المجتمعيَّ فزادت الأمراض النفسية والسخط على الحياة وحالات الانتحار .

كان من الطبيعي أن يرتبط ذلك كله بتفشي الأمراض الغريبة مثل السرطان والإيدز وأنفلونزا الخنازير ، وهكذا تتوالى المصائب والأمراض على عالم فقد إنسانيته .

ولعل أخطر الأمراض التي تعرض لها الإنسان المعاصر هو السعار الاستهلاكي والجنسي . فهو يعيش ليأكل ويقيم في سكن فاخر ويلهث وراء المتعة الجنسية ، لكنه يعيش بلا وظيفة حضارية ولا أهمية ولا معنى للحياة .

لذلك اندفع الناس للاقتراض من البنوك التي أصبح الربا وسيلتها الوحيدة لتحقيق الأرباح ، وأصبحت تستخدم وسائل الإعلام لإغراء الناس بالاقتراض لشراء المساكن الفاخرة والسيارات والحياة في عالم الأحلام ، ثم يكتشف الإنسان بعد ذلك أنه أصبح مثقلاً بديون لا يستطيع تسديدها ، وأنه أصبح عبدا لشهواته وللرأسمالية والبنوك وللمسكن الفاخر الذي يعيش فيه وللتليفزيون الذي يتابع على شاشته أجساد النساء العاريات ، فيزداد سعاره الجنسي وجهله ويبحث عن عمل شاق يدر عليه المزيد من المال ليشتري

السلع الاستهلاكية والمنشطات الجنسية .

أما البنوك فقد اكتشفت أن هناك الملايين من الناس قد عجزوا عن السداد ، فأصبحت القروض وفوائدها ديونا معدومة ، بينما اقترض رجال الأعمال الفاسدون المليارات وتمتعوا بها ، وعلى أجهزة الأمن أن تبحث عنهم ، لكن تلك الأجهزة أصبحت وظيفتها مطاردة الوطنيين الذين ما زالوا يحلمون بالاستقلال الشامل ويتمسَّكُون بالشرف والأخلاق ، لذلك لا بد أن ينهار هذا العالم اقتصاديا ، وأن تنتشر فيه الأوبئة ، فتلك هي النتيجة المنطقية لثقافة الاستهلاك .

* * *

- ٧ -

هل الشعب الأمريكي جاهل ؟!!

حقُّ الإنسان في المعرفة من أهم الحقوق المرتبطة بكرامة الإنسان وتميزه عن غيره من المخلوقات ، وعلى أساس هذا الحق تزيد قدرة الإنسان على بناء الحضارة والتمتع بكل الحقوق الأخري .

والإنسان عدو ما يجهل لأنه ببساطة يخاف منه حتى لو كان يحقق لة منفعة مادية ، أو تطورا معنويا أو نفسيا .

لذلك استغل الطغاة عبر التاريخ حالة الجهل لتخويف الناس من الأفكار الجديدة ، وإرغامهم على الاستسلام للواقع ، وتنفيذ أهداف الطغاة وعدم مقاومة الظلم .

لكن هذا الجهل يؤدي إلى انهيار الحضارات وخراب العمران وهلاك الأمم . هكذا فعل أباطرة روما في الشعوب التي سيطروا عليها ، بهدف التحكم فيهم ومنعهم من الثورة على واقعهم البائس ، والبحث عن العدل ، ومقاومة الطغيان لكن الحضارة الرومانية انهارت لأن الشعوب التي غرقت في ظلام الجهل لم تستطع أن تطور حياتها ، أو تتوصل إلى حلول جديدة لمشكلاتها التي تزايدت مع الزمن ، ولم تستطع أن تواجه الأزمات والكوارث التي صنعها طغاة الإمبراطورية .

الشعب الأمريكي جاهل :

لكن هل ينطبق ذلك على الشعب الأمريكي ؟ هل يمكن أن يوصف هذا

الشعب بالجاهل وقد استطاع أن يبني ناطحات السحاب ويحقق تقدما ماديا لم تعرفه البشرية من قبل ، وأن يحقق ثورات علمية واتصالية . هل ينطبق ذلك على أمريكا التي تحولت إلى مجتمع معلوماتي ، حيث يستطيع الإنسان أن يحصل على ما يشاء من معلومات في لحظات ، وهو يستطيع أن يخزن على حاسُوبه الشخصي مكتبات كاملة ، وملايين الدراسات والمقالات والكتب والتقارير .. إنه ببساطة يستطيع أن يحصل على قدر من المعرفة يعادل كل ما حصلت عليه البشرية طوال تاريخها .. هل يجرؤ أحد على القول بأن الشعب الأمريكي جاهل بعد كل هذا ؟

حسنًا إن الأزمة الاقتصادية العالمية يجب أن تغير تفكيرنا فيما يختص بالمعرفة وحقوق الإنسان .. فلا شك أن نقص المعرفة من أهم أسباب الأزمة التي صنعتها الرأسمالية بالتحكم في المعرفة التي تصل إلى الناس .

نعم يستطيع الإنسان أن يحصل على أطنان من المعلومات يعجز عن استيعابها وتحليلها وتفسيرها ، وأن يخزن على حاسُوبه مكتبات كاملة ، لكنه يظل في النهاية محكوما بالأطر التي صنعتها الرأسمالية للمعلومات . تلك الأطنان من المعلومات التي يمكن أن نحصل عليها صنعتها الرأسمالية لتغييب وعي الإنسان ولتتحكم بها في حياته .

الإنسان المعاصر يغرق في طوفان المعلومات ، لكنه في الوقت نفسه يواجه مجاعة معرفية .. فمعظم المعلومات التي يحصل عليها الإنسان رديئة وتافهة تهدف إلى تسليته وإثارة غرائزه ودفعه للشراء وإرغامه على الاستسلام للرأسمالية التي استعبدته باستخدام هذه المعلومات .

إن الإنسان يمكن أن يكون جاهلا بعد أن حمل في رأسه ملايين المعلومات وشحن هذا الرأس حتى تورم بالأرقام والحكايات المسلية عن الجرائم ذات الطابع الجنسي ، وتسلى حتي الموت بقصص فضائح المشاهير وزواجهم وطلاقهم ومغامراتهم الجنسية .. وشاهد الآلاف من الأفلام عن مغامرات رعاة البقر وضحك ببلاهة على مواقف كوميدية لشخصيات معجونة من السفاهة والحمق والرعونة والسذاجة .

في الكثير من الأحيان يضحك الإنسان وهو لا يعرف على ماذا يضحك ، وهو في الحقيقة قد غاب عقله ، وانطفأت شعلة التميز الإنساني في نفسه ، وجلس متكورًا كقط أصابته التخمة أمام جهاز تلفزيون أو جهاز كمبيوتر .

نكد الزوجات :

يرسل ملايين الأشخاص كل يوم رسائل بالبريد الإلكتروني تتضمن الكثير من النكت ، فإذا ما درست غالبيتها تجد أن معظمها يدور حول نكد الزوجات وخوف الأزواج منهن ، واعتبار الزواج خطأ العمر وأنه كارثة وأن المرأة هي سبب الكارثة .

الغريب في الأمر أن الكثير من النساء هن مصدر هذه النكت ، ويقمن بترويجها ، والإنسان المعاصر المسكين عليه أن يحمل في عقله أطنان النكت التي تؤدي إلى كراهية الرجل للزواج وخوفه منه ، وبالتالي عدم تكوين الأسر فهل هذه هي المعرفة التي أرادت الرأسمالية فرضها على الناس .

هناك تفسير آخر وهو أن هذه النكت تعبر عن حالة الضعف التي أصابت الرجال وحطمت شخصياتهم وقللت شجاعتهم وأدت إلى سيطرة النساء

عليهم ، وبالطبع فإنه ليس من المتوقع أن يثور رجل على الظلم الذي يتعرض له من الطغاة إذا كان يستسلم للظلم من زوجته في البيت .

والثقافة الرأسمالية تشجع المرأة على الاستكبار وقهر زوجها بهدف إضعاف شخصيته بعد أن أوهمتها بأنها صاحبة مال وأنها تستطيع أن تنفق على نفسها ، وأن العلاقة الزوجية هي مجرد علاقة بزنيس تماما كالعلاقة بين العامل ورب العمل ، ولذلك تحولت بالفعل إلى علاقة نكد . ولأن الرجل خاف من الزواج نتيجة ذلك الكم الكبير من التجارب الفاشلة البائسة التي شاهدها في التلفزيون ، أو تلقاها عبر الإنترنت والإيميل والنكت التي رددها مع زملاء العمل ، فقد تناقص معدل الزواج ، وزادت العلاقات غير الشرعية التي أنتجت الملايين من الأطفال غير الشرعيين ، الذين تم استخدامهم في بناء اقتصاد يقوم على المخدرات والتهريب والبلطجة والمثلية الجنسية وصناعة التسلية القائمة على استخدام الجسد الإنساني شبه العاري .

أدى ذلك أيضًا إلى وجود ملايين النساء اللاتي أنجبن من علاقات غير شرعية ، وأصبحن عائلات لطفل أو أكثر ، كما زاد عدد النساء الباحثات عن المتعة بأي شكل لعدم إمكانية الزواج ... وأصبح الشكل الحديث في الغرب هو علاقة الصداقة المؤقتة بين ذكر وأنثى ، يقضي كل منهم حاجته من الآخر حتى إذا أصابه الملل والسأم انطلق يبحث عن شريك آخر دون التزامات أو مسؤوليات .

وهذا مرض اجتماعي سوف يؤدي إلى انهيار الحضارة الغربية كلها . والرأسمالية هي التي نشرت هذا المرض نتيجة طوفان المعلومات الذي أغرقت به البشر وأصبحوا غير قادرين على التفكير .

حالة استكبار :

رغم هذا المرض الاجتماعي الذي شكل بدوره الكثير من الأمراض العضوية مثل الإيدز والزهري والأمراض الجنسية الأخرى التي يزيد عدد المصابين بها في الولايات المتحدة عن ٢٠٪، بيدَ أن الأمريكيين أصبحوا ضحايا لمرض نفسي آخر هو مرض الاستكبار والغرور ، وهذا المرض أعمى بصيرتهم وقلل قدرتهم على البحث عن حلول حقيقية لمشكلاتهم ، واستعبد عقولهم وأرواحهم .

الأمريكي لم يعد قادرا على الاستماع إلى أية أفكار جديدة ؛ لأن الرأسمالية ملأت رأسه بصور نمطية مشوهة للشعوب والحضارات الأخرى ، وأوهمته بأنه الإنسان المتفوق المتميز الذي صنع كل هذا التقدم المادي ، وأن النموذج الأمريكي للحياه هو النموذج الأفضل .

الرأسمالية استخدمت ثورة الاتصال الحديثة لتملأ رأس الأمريكي بمعلومات تتحكم بها في قراراته وأحلامه وتفكيره ولتدفعه لتحقيق أهدافها وهو يتوهم أنه الأفضل والأحسن ، وأن نظامه الرأسمالي هو نهاية التاريخ وأن على كل البشر أن يتبعوه لا أن يعلموه .

حالة الاستكبار والغرور التي أصيب بها الإنسان الأمريكي بشكل خاص والإنسان الغربي بشكل عام جعلته عاجزًا عن التعلم والتفكير ، وجعلته عبدًا للشركات عابرة القارات التي تتحكم في الاقتصاد الأمريكي ، وتتحكم في المعرفة التي تصل للجماهير .

أنت حر وعبد !!

هل يمكن أن تجتمع الحرية والعبودية .. إنه المستحيل بعينه ، الحرية

نقيض العبودية ، ولا يمكن أن يجتمعا في نفس واحدة ، ولكن الحرية في الوقت نفسه هي قدرة الإنسان على الفعل واتخاذ القرارات بشكل مستقل والتفكير الناقد ، والشجاعة في التعبير عن الموقف والاتجاه ، والتمتع بكل حقوق الأحرار وأهمها المعرفة .

لكن الرأسمالية أوهمت الإنسان الأمريكي بأنه حر في الوقت الذي تحكمت في المعلومات التي تصل إليه ، وقيدت حقه في الحصول على معرفة ترقي حياته ، وتساعده على اتخاذ قراراته ، وتحقيق حريته الحقيقية والتمتع بحقوقه كإنسان .

لقد استعبدت الرأسمالية الإنسان الأمريكي بالمعلومات التي يحصل عليها ، وتلك المعلومات تطور قدراته على العمل كخادم للرأسمالية ، وكعامل في الشركات والبيزنس ، ثم تشكل له عالما خياليًا يستطيع أن يستمتع فيه بالجنس والعنف والرياضة والتسوق والطعام السريع الرخيص ... وهو في الوقت نفسه ينتخب من تريده الشركاتُ عابرةُ القارات .

وهذا الإنسان المسكين عليه أن يبحث عن امرأة تشاركه المتعة الجنسية لبعض الوقت ولا يبحث عن زوجة لها حقوق ويبني معها أسرة ويتقاسم معها المسئوليات والالتزامات ويتبادل معها التضحيات ، وإن أرادت تلك المرأة أن تنجب فعليها أن تتحمل وحدها المسئولية ، وتربي الطفل اليتيم الذي تخلى عنه والده الذي لم يكن يريد سوى المتعة الجنسية ، ففي ظل النظام الرأسمالي ليس هناك أمان والحياة مجرد بحث عن وهم السعادة المادية الحسية .

لذلك فإن أخطر جريمة ارتكبتها القوى الرأسمالية هي تقييد حق الإنسان

في المعرفة ، وإضعاف قدراته على البحث عن معرفة تساهم في تطوير حياته وتحريره من العبودية للرأسمالية .

لقد أغرقت الرأسمالية الناس في طوفان المعلومات المسلية واستعبدتهم بها وأخضعتهم لشروطها ، وصنعت لهم نموذج الحياة الذي يجعل الإنسان مجرد عامل ومستهلك .

وقد ساهم هذا المخطط الرأسمالي في صنع الأزمة الاقتصادية العالمية التي لا يمكن حلها دون تحرير الإنسان من عملية التجهيل والتضليل ، وتحقيق حق الإنسان في المعرفة .

* * *

- ٨ -

مواجهة الكوارث العالمية تحتاج إلى ثورة ضد النموذج الغربي للحياة !!

الكوارث المتوالية التي يتعرض لها العالم سببها الرئيسُ هو النموذج الغربي للحياة الذي فرضته الرأسمالية العالمية . هذا النموذج يهدف لتحويل الإنسان إلى مستهلك يعمل بشكل شاق ليحصل على أكبر قدر من المال ليشبع به رغباته المتجددة والتي تحفزها الرأسمالية بالإعلانات التي تدعوه بشكل مستمر للإنفاق السفيه .

والإنسان أصبح عبدًا لثقافة الاستهلاك التي تنشرها الرأسمالية باستخدام كل وسائل الاتصال الحديثة ، وأصبح يتصور أن السعادة تكمن في الحصول على المال اللازم لتمويل عملية الشراء المستمر . ولقد حددت الرأسمالية وظائف الإنسان في أن يعمل ويتسلى ويتسوق ويصمت .. تلك هي الصيغة التي أرادها أباطرة الرأسمالية الذين بنوا الاقتصاد المعولم ، وخدعوا العالم باستخدام شعارات التقدم والحداثة والعصرنة والعولمة .

استغلال طاقة العمل :

هذه الثقافة كانت ضرورية لاستعباد ملايين العمال واستغلال طاقاتهم في عملية الإنتاج الكبير ، وتحقيق أقصي قدر ممكن من الأرباح للشركات عابرة القارات . ولقد أثبتت التجربة التاريخية أن النظام القديم للسخرة الذي يقوم على إجبار العمال على تنفيذ الأوامر باستخدام السياط والقهر لم يعد مناسبا ، وأنه نظام فاشل يؤدي في النهاية إلى ثورات المقهورين ، ولذلك فقد تم

استبدال القوة الخشنة في قهر العمال بقوة ناعمة تقوم على دفعهم لتحقيق أهداف أباطرة الرأسمالية العالمية وهم يتصورون أنهم يكافحون للحصول على المال اللازم لإرضاء رغباتهم . وهذا النظام يبدو عادلا ، وهو يقوم على ظلم لم تشهده البشرية من قبل ، فهو عدالة زائفة ، وظلم خفي وعبودية قانونية وقهر مستمر . العمال في الرأسمالية يعملون بأقصى طاقاتهم وهم يتصورون أنهم يعيشون في نظام يوفر لهم إمكانيات للحياة ، حتى يضيع العمر ويفقدون القدرة على العمل ، أو تأتي الكارثة المتوقعة فيتم طردهم بعد الحصول على قدر من التعويض يكفي بالكاد لتغطية نفقات سنوات قليلة .

وكل عامل أغرق بعرقه المصانع والمناجم ولكنه في النهاية لم يحصل على مقابل لهذا العرق سوي بعض المال الذي أنفقة في شراء وجبات سريعة تسبب السرطان والسمنة والضعف الجنسي ، وفي شراء كميات من المشروبات الخفيفة التي تزيد إمكانيات الإصابة بالسكر ، وفي شراء منزل مرهون للبنك ، لذلك عليه أن يواصل العمل الشاق ليسدد الديون ليحمي نفسه من السجن .

تلك هي حال الملايين من العمال في أوروبا وأمريكا الذين قامت على أكتافهم المصانع ، واستغل الرأسماليون عرقهم ليبنوا تقدما زائفا يتمثل في ناطحات سحاب وشوارع نظيفة تسير فوقها ملايين السيارات في حالة زحام يدمر الأعصاب ويفني الأعمار ويحرق الدم ويصيب الإنسان بالاكتئاب ، ويدفع الإنسان للعنف مع غيره من الناس الذين يريدون أن يدمروا أنفسهم قبل أن يدمروا الآخرين .

المرتزقة :

قد يفسر ذلك وجود عشرات الآلاف من الجنود المرتزقة في الجيش الأمريكي الذي يحتل العراق وأفغانستان ، وهم يعاملون على أنهم أقل من مرتبة البشر ، ولذلك فإنهم يقتلون دون أن يضع الجيش الأمريكي أسماءهم في عداد القتلى ، ودون أن يدخلوا في خسائر الأمريكيين ، ويصابون دون أن يحصلوا على علاج مناسب .

فما الذي دفعهم لقبول ذلك الوضع المهين لكرامة البشرية كلها ؟! لقد جاء هؤلاء ليحصلوا على الجنسية الأمريكية ليتمكنوا من الإقامة فيها والعمل داخل النظام الرأسمالي ، وليحصلوا على المال اللازم لإشباع رغباتهم المادية التي تبدو ضرورية في إطار الحياة الحديثة .

هذا هو الهدف الذي جاء يقاتل من أجله هذا المرتزق المسكين ، وليقاتل بشرًا لا يعرفهم ، ولا يعلم لماذا يقتلهم ، وبذلك يكون مجرد قاتل مأجور وليس جنديا يحارب من أجل قضية عادلة .

أما الذين يحملون الجنسية الأمريكية فقد جاءوا ليحصلوا على المال الكافي لحل مشكلاتهم المادية فالعمل داخل الجيش أفضل من البطالة ، وربما تؤمن سنوات الخدمة في الجيش لهذا الجندي العمل لسنوات طويلة قادمة .

هذا الجندي أيضًا لا يحارب من أجل قضية عادلة ، وهو مجرد عبد استخدمه سادته من الرأسماليين البيض ليحققوا به أهدافهم في السيطرة على دولة غنية بالبترول لنهب هذه الثروة . المال الذي يحصل عليه هذا الجندي هو مقابل حريته لسنوات واستغلال طاقته الإنسانية هي ارتكاب مذبحة

تاريخية ضد شعب لا يعرفه ، وهو يجب أن يعامل كمجرم .

هذا الجندي العبد لا يختلف عن العامل الذي أنفق عمره كعبد للرأسماليين في المصانع والمناجم التي تديرها الشركات عابرة القارات ، وفي النهاية كان الثمن الذي حصل عليه مقابل عرقه هو قدر من المال أنفقه على شراء بعض السلع الاستهلاكية .

ثم تسوق :

لكي تعيش في هذا العالم الذي تديره الرأسمالية فإن عليك أن تستخدم كل طاقاتك في العمل الشاق لتحصل على المال . حسنًا ها أنت قد حصلت عليه فماذا تفعل به ؟

الإعلانات في التليفزيون والصحف والإنترنت والشوارع توجهك لإنفاقه وتغريك بالشراء ، وتوفر لك الفرص للحصول على المتعة المادية الحسية .

وفي النهاية تتحول عملية التسوق نفسها إلى إدمان ، فالإنسان يشتري ما لا يحتاج إليه ، ويشتري شيئاً لمجرد وجود تخفيض يجعله أقل من سعره في المواسم العادية أو المراكز التجارية .

الرأسمالية تريدك أن تدمن الشراء ، وأن تغير بشكل سريع كل الأجهزة والأدوات والملابس التي تمتلكها ، كما تغير البيت والسيارة ، فالحياة الحديثة سريعة ، وما تشتريه اليوم سيصبح غدًا دلالة على الفقر ، وسيعتبر متخلفًا بالنسبة للسلع الجديدة والتي تم إدخال الكثير من التحسينات عليها . التقدم يتطلب أن تسرع بشراء السلع الجديدة الأكثر أناقة وتقدمًا .

سيعتبر الآن من البؤساء من يحمل تليفونا محمولاً كان يعتبر متقدمًا منذ

سنوات قليلة ، وكذلك من يركب سيارة كان تشكل حلمًا لملايين الشباب منذ زمن لا يبدو بعيدًا .

والمشكلة أن الشراء لم يعد لتلبية الاحتياجات الضرورية ، ولكن لإشباع الشهوة للاستكبار على الآخرين ، والظهور بأنه أفضل منهم وأكثر ثراء ووجاهة .

تَسَلَّىٰ واخرس :

ثقافة التسلية أصبحت جزءا أسياسيا من ثقافة الاستهلاك ، فالإنسان الذي امتلك الوسائل الحديثة مثل التليفزيون والإنترنت يستخدمها للهروب من الواقع ، وقضاء أوقات الفراغ والحصول على متعه سريعة تقوم على مشاهدة الرقص والأجساد العارية والأغاني الهابطة والدراما التافهة .

هذه التسلية تستبعد روح الإنسان وتُقَلِّل من قدرته على التفكير في القضايا الجادة أو القيام بعمل منظم ، أو الاشتراك مع الآخرين في مقاومة الاستغلال الرأسمالي .

هذه التسلية توفر له فرصا لحلول فردية قد تشكل في حد ذاتها جريمة ، دون أن يفكر في المشاركة في التوصل إلى حلول للمشكلات العامة أو لمواجهة الظلم العام . وهكذا أصبح على الإنسان أن يتسلى ويخرس ، والتسلية تعلمه الخرس فأصبح كالشيطان الأخرس لا يستطيع أن يقاوم ظلما أو يقيم عدلا أو يبني حضارة . هذا هو النموذج الغربي للحياة الذي حوَّل الإنسانَ إلى عبد للرأسمالية وأفقده كرامته الإنسانية .. ولذلك تتوالى الكوارث على هذا العالم مثل الأزمة الاقتصادية والفقر والبطالة والأوبئة .

وهناك نذر كوارث قادمة قد تؤدي إلى فناء البشرية إذا لم يدافع الناس عن حقهم في الحياة .

مواجهة الكوارث القادمة تحتاج إلى ثورة على النموذج الغربي للحياة ، وعلى العبودية الحديثة وعلى ثقافة التسلية والاستهلاك .

* * *

- ٩ -

ما العلاقة بين الرأسمالية ونظرية دارون ؟!

يروج الكثير من أتباع الغرب في وطننا العربي لفكرة أن التقدم يرتبط باتباع خطى الغرب والأخذ بأساليب العلم الحديثة ، وعندما تحاول أن تكتشف تصورهم لتلك الأساليب العلمية تجد أنهم يختزلونها في ضرورة تدريس نظرية دارون .

ومنذ شهور عقدت مكتبة الإسكندرية ندوة عن هذه النظرية ، وتقدم باحث من حسن حظي وربما حظكم أيضًا أنني نسيت اسمه ليروج لفكرة غريبة تقول : إننا يجب أن نأخذ بنظرية دارون لكي نطور زراعة القمح في بلادنا !!

الغريب أن إذاعة البي بي سي أعطت هذا الباحث مساحة زمنية طويلة ليتحدث فيها عن أن نظرية دارون هي أساس التقدم .

وكنت أستمع إلى هذا الباحث وأنا أقود سيارتي بعد يوم عمل شاق عائدًا إلى بيتي ، وحاولت أن أركز فيما يقول ، لذلك تجاوزت السرعة المقررة فتكبدت خسارة لا بأس بها .

لذلك قررت أن أكتب محذرًا الأمة من أنها ستتكبد خسارة كبيرة جدا إن تركت المتغربون يسيطرون على وسائل الإعلام ويخدعون الجماهير ويزيفون وعي الناس ويكذبون عليهم !! فهل يمكن أن يتصور عاقل أننا لكي نطور زراعة القمح لا بد أن نقتنع بأن الإنسان تطور عن القرد ... هذا عين الحمق والسخف!!

ومرة أخرى كنت أستمع إلى إذاعة البي بي سي وكان الحديث عن جامعة حديثة في دولة خليجية ... وأنا عادة أفرح بإنشاء أي جامعة جديدة في وطنى العربي ، فأنا أرى أن العلم والمعرفة أساس النهضة والتقدم ، وأتمنى أن أرى كل إنسان في وطني قد حصل على درجة عالية من التعليم ، ودرجة أعلى من المعرفة .

لكن الإذاعة قالت إن الدليل على تقدم هذه الجامعة هو أنها ستقوم بتدريس نظرية دارون ... حمدت الله أن أعطاني القدرة على الصبر ، ويبدو أنني قد تعودت على مواجهة مصاعب الحياة وأحداثها الجسام وعلى تحمل المعاناة .

هكذا تم اختزال التقدم في نظرية دارون التي تشكل أكبر إهانة للإنسان .

الحيوان الكامل :

اسمحوا لي أن أنقل لكم تفسيرًا لذلك الهوس بنظرية دارون من علي عزت بيجوفيتش رئيس جمهورية البوسنة الأسبق ، والذي عاش في ظل الاشتراكية والرأسمالية ووجد بعد رحلة طويلة أن الإسلام هو الذي يمكن أن ينقذ البشرية .

يقول علي عزت بيجوفيتش : إن أصل الإنسان يعتبر حجر الزاوية في كل نظرية تختص بالعالم ، والعلم ينظر إلى أصل الإنسان باعتباره نتيجة لعملية طويلة من التطور من الأشكال الدنيا للحياة حيث لا يوجد فيها أي تمييز بين الإنسان والحيوان . أما الدين فيعتبر أن الإنسان فعل الإله ، وأنه هبط إلى الأرض . والماديون يخلصون إلى أن الإنسان هو الحيوان الكامل ، وعندهم

أن الفرق بين الإنسان والحيوان هو فارق في الدرجة وليس في النوع ، فليس هناك جوهر إنساني خاص ، وهناك فقط مفهوم اجتماعي وتاريخي محسوس للإنسان .

يضيف بيجوفيتش : في الفلسفة المادية يتم تشريح الإنسان إلى أجزائه التي يتكون منها وفي النهاية يختفي ، ولقد بين أنجلز إن الإنسان هو نتاج العلاقات الاجتماعية أو بدقة أكثر نتاج وسائل الإنتاج المتاحة ، فالإنسان عبارة عن لا شيء ، وهو لا يخلق شيئا بل إنه مجرد نتيجة لحقائق معطاة .

ويتناول دارون هذا الإنسان المجرد من الشخصية ويصف ارتقاءه إلى مرحلة الإنسان الذي يتكلم ويصنع الآلات ويسير منتصب القامة .

إن علم الأحياء يكمل هذه الصورة بتبيان أن كل شيء يرجع إلى الشكل البدائي للحياة والذي هو بدوره عملية فيزيقية كيميائية (لعب بالجزئيات) فلا وجود للحياة والضمير والروح لذلك فليس هناك جوهر إنساني .

يضيف بيجوفيتش : يتسم العلم بسوء فهمه للإنسان وللكائنات الحية فمن خلال تحليلاته المنطقية البحتة يجرد الحياة من الحياة والإنسان من الإنسانية .

وغالبًا ما تؤكد المادية على عناصر التشابه بين الإنسان والحيوان ، بينما يؤكد الدين على أوجه الاختلاف ... لذلك لم يجعل دارون الإنسان حيوانًا فقط ، وإنما جعله مدركًا لأصله الحيواني ، ومن هذا الإدراك استمر الآخرون في استخلاص النتائج المناسبة أخلاقيا وسياسيا ، فالمجتمع البشري في تصور الماديين هو قطيع في شكل متحضر ، والحضارة هي إيقاظ البشر والذي يسير

مصحوبًا بنبذ المحظورات وبالسيطرة على الطبيعة ، وبحياة الحواس بدلاً من حياة الروح .

مصادرة الحرية :

هكذا يمكننا أن نصل مع علي عزت بيجوفيتش إلى تفسير لتمسك الغرب بنظرية دارون حيث يقول بيجوفيتش : إن المقولة الأساسية للمادية "إن الإنسان هو نتاج بيئته" عملت كنقطة انطلاق لكل النظريات الإنسانية التي تلتها في القانون وعلم الاجتماع ولممارسات البشر التي وصلت إلى درجة متوحشة في عهد النازية والستالينية ، وكل النظريات الخادعة المشابهة عن أولوية المجتمع على الأفراد ، وعن التزام الإنسان بخدمة المجتمع وغيرها .

وهنا ستكون نقطة الافتراق الحاسمة بين الدين والعلم . وأنا أرى أن الإسلام وحده هو الذي يتضمن النتيجة الحاسمة التي وصل لها بيجوفيتش ، وليس الدين بشكل عام كما أشار ، فتلك النتيجة هي أن الإنسان لا يجب أن يستعبده أي إنسان ، ولا ينبغي أن يكون أداة ، وكل شيء مسخر لخدمة الإنسان ، والإنسان يجب أن يعبد الله فقط وهذا هو أسمى معاني الإنسانية .

ها نحن قد وصلنا إلى نقطة المفاصلة واتخاذ قرار حاسم : هل تريد أن تكون إنسانًا خلقه الله وكرّمَه وسخّر له كل ما في الأرض وجعله خليفة وحمله المسئولية وأعطاه الحرية ؟

هل تريد أن تكون عبدًا لله وحده الذي خلق أباك آدم بيديه ونفخ فيه من روحه ... ومن تلك العبودية لله تستمد حريتك ، فترفض أن تكون عبدًا لغير الله ؟

هل تريد أن تكون حرًا ومسئولاً وعضوًا فاعلاً في مجتمع إنساني ؟ هل تريد أن تكون متميزًا عن الحيوان ، وتعتز بأصلك الإنساني ، ومن هذا التميز تنطلق لتبني الحضارة ولتقيم علاقات سوية مع البشر ؟

الإجابة على تلك الأسئلة تبدو حاسمة ، ونقطة انطلاق للتفكير في وظيفة الإنسان وما ينتجه من علم ، وما يقوم به من عمل ، وما ينتجه من أفكار .

الرأسمالية مَجَّدت دارون :

وهنا يمكن أن نكتشف لماذا مجد الغرب المادي دارون ، وجعل نظريته أساسا لكل العلوم ، وبنى على هذه النظرية علوم الاجتماع والقانون والسياسة والاقتصاد .

لقد أرادت الرأسمالية للإنسان أن يبحث عن المتعة ويهرب من الألم كغاية أساسية للحياة . فإن أصبحت تلك هى غايته فإنه يمكن السيطرة عليه كواحد من قطيع يعمل بشكل متواصل وتسيره الرأسمالية كما تريد .

لقد تعاملت الرأسمالية مع الإنسان كحيوان ، فعليه أن يعمل ليحصل على أكبر قدر من المتعة واللذة ، وينسى في إطار سعيه للحصول على هذه المتعة إنسانيته وحريته .

ولقد اختزلت الرأسمالية مفهوم الحرية وضيقته ، فركزت على حرية المرأة في كشف جسدها وحريتها في استخدامها لإغواء الرجال وإثارة غرائزهم ، ثم شجعت الرجال والنساء على استخدام أجسادهم في الحصول على المتعة حتى باستخدام الأساليب الشاذة ، ولذلك احتفت بالشواذ جنسيا ، وأباحت لهم إقامة الاحتفالات التي تنقلها محطات التليفزيون وتقدمها كدليل على الحرية .

هكذا يمكن أن تتضح الصورة : لقد أرادت الرأسمالية علما ينتج أشياء مادية ، ويتعامل مع جسد الإنسان فيحاول أن يفهم هذا الجسد ، ويعالج أمراضه العضوية باستخدام العقاقير التي أصبحت أساسًا لصناعة الأدوية التي تساهم بشكل كبير في الاقتصاد الأمريكي .

ويمكن أيضًا أن يتم نشر أمراض معينة في بعض الأحيان لإبادة ما يزيد عن الحاجة من أفراد القطيع الذي بلغ أكثر من ستة مليارات ، ثم تقديم الأدوية الباهظة الثمن لكي يدفع كل فرد ما ادخره طوال سنوات عمره التعيسة في شراء تلك الأدوية لعلاج جسده الذي استخدمه طوال عمره بشكل لا يتفق مع إنسانيته ، وأصبح مدنسا بالأوزار والآثام والذنوب والجرائم .

مجرَّد قطيع :

الرأسمالية استخدمت نظرية دارون لتحويل البشر إلى قطيع ، وليس من حق فرد يعتقد أنه تطور عن القرد أن يعترض أو يثور أو يتمرد أو ينتج أفكارا ذات طبيعة إنسانية تتناقض مع ديكتاتورية الرأسمالية .

ليس من حق أحد أن يطالب بالكرامة الإنسانية أو بحرية حقيقية ... لذلك يثور الغرب إذا تعرضت امرأة سافرة كشفت عن أجزاء مثيرة من جسدها لأي نوع من العقاب باعتبار أن ذلك يشكل انتهاكا لحقوق الإنسان الداروينى ... بينما تعمل الدول الغربية على تقييد حرية المرأة المسلمة المحجبة ، ومنعها من تغطية جسدها ، وتدفع أمريكا النظم التابعة لها لمنع المحجبات من دخول الجامعات .. ولم يدافع أحد عن حريتهم لأن الحرية بالمفهوم الغربي مصممة على مقاس الإنسان الدارويني .

الرأسمالية تريد المرأة التي تستخدم الأشياء المادية في تزيين جسدها ... حيث إن ذلك يشكل أساسا لصناعة تحقق مليارات الدولارات ، فالمرأة حرة في أن تشتري المساحيق والعطور لتغري بها الرجال ، لكنها طبقا للرأسمالية الداروينية ليست حرة في تغطية جسدها ، حيث إن ذلك يشكل تمردًا على نظرية دارون ، ورفضًا للاعتراف بأن أصل الإنسان كان قردا .

والأزمة الاقتصادية جاءت لتفرض على الإنسانية كلها أن تبحث لنفسها عن مشروع حضاري جديد تبني على أساسه مستقبلها ، وأن تعيد بناء العلم على أسس جديدة تعترف بإنسانية الإنسان وحريته وحقوقه وبأن الله - سبحانه وتعالى - الذي خلقه قد كرّمه ، وأن الإنسان عبد لله وحده ، وأن الله قد خلق الإنسان ليعبده وليعمر الأرض ويبني فوقها حضارة تتفق مع إنسانيته .

۞ ۞ ۞ ۞

الفصل الرابع

وسائل الإعلام والأزمة الاقتصادية العالمية



- ١٠ -

عندما تحيزت وسائل الإعلام للرأسمالية !

هل كان لوسائل الإعلام دور في صنع الأزمة الاقتصادية العالمية ؟! لكى نستطيع الإجابة على هذا السؤال لا بد أن نعرف أولا أن حل تلك الأزمة يبدأ بالتوصل إلى فهم حقيقى لأسبابها ، وتشخيص حقيقى للواقع الذي صنعت فيه . وأنها ليست أزمة اقتصادية فقط لكن تلك الأزمة هى جزء من أزمة شاملة سياسية وثقافية وإعلامية واجتماعية . كما أننا يجب أن نعرف أن تلك الأزمة الاقتصادية ستنتج بالضرورة الكثير من الأزمات ، وأن الحضارة الإنسانية كلها تتعرض للخطر ، ومستقبل البشرية على شفا الهاوية .

ولكن لماذا نلوم وسائل الإعلام أو نحملها المسئولية عن أزمة صنعها الجشع الرأسمالي ، والاستغلال والنهب الغربي لثروات الشعوب ، وتبعية دول الجنوب ، واستسلام الشعوب الفقيرة لقهر الاستبداد والظلم الأمريكي .

الانحياز للرأسمالية :

إن وسائل الإعلام تتحمل مسئولية كبيرة ذلك أنها قد انحازت للرأسمالية ، وتحولت إلى وسيلة استخدمها الرأسماليون لتشكيل الواقع بحيث يسمح بنهب موارد الشعوب ، ومدخرات الناس واستغلال أحلامهم وعرقهم وأعمارهم ، وسرقة جهودهم وإنتاج عقولهم، وتدمير أرواحهم ، ثم قتلهم بشكل بطيء .

استغل الرأسماليون وسائل الإعلام لتحويل الإنسان إلى كائن استهلاكى ينحصر طموحه في امتلاك بعض الوسائل التي تيسر بعض مظاهر العز والترف

. في الوقت الذي يفقد فيه إنسانيته وكرامته وإيمانه وحقوقه وحريته ومواقفه ووظائفه الحضارية .

ووسائل الإعلام انحازت للرأسمالية ونتيجة هذا الانحياز فقدت وظائفها خاصة الوفاء بحق جماهيرها في المعرفة ..كيف ؟

يقول خبراء الإعلام : إننا نعيش في عصر ثورة المعلومات ، وإن الإنسان يستطيع أن يحصل على ما يشاء من معلومات ، وإن العالم أصبح صناعته الأساسية هى المعلومات .. وإن هناك آلاف الوسائل الإعلامية المطبوعة والفضائية والإلكترونية ، وإنها تقدم طوفانا من المعلومات يفوق قدرة عقول البشر على تحمله ، ومن ثم حدث تحميل زائد للعقل الإنسانى بالمعلومات فأصبح غير قادر على استيعابها .. وهذا كله صحيح ، لكن الأزمة الاقتصادية كشفت لنا أنه بالرغم من ثورة الاتصال والمعلومات فإن الإنسان قد حرم من حقه في الحصول على المعرفة التي تمكنه من اتخاذ قرارات صحيحة ، والحفاظ على إنسانيته وعدم تبديد عمره في دفع أقساط الديون .

الرأسمالية العالمية سيطرت على صناعة الإعلام والاتصال لأنها الوسيلة التي تستخدم في تصنيع اتجاهات الناس وموافقتهم وإلهائهم عن القضايا الأساسية والتقليل من قدرتهم على الكفاح ضد الظلم والقهر والاستبداد .

استسلام الناس للواقع كان أخطر نتيجة لسيطرة الرأسمالية على وسائل الإعلام ، فقد أصبحت معارضة تلك السيطرة ضربا من الجنون .

ووسائل الإعلام صورت الرأسمالية باعتبارها الأيديولوجية الوحيدة الصالحة لتشكيل الواقع العالمي .. أو كما عبَّر فوكوياما عن ذلك بأنها نهاية

التاريخ .

كما أنها ربطت بين الرأسمالية والديمقراطية ، وبذلك شوهت الديمقراطية حيث تم اعتبارها غطاء سياسيا للظلم والنهب الاستعماري .

معلومات مثيرة ولكن :

وبالرغم من كثرة المعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام بيدَ أنها قامت بإخفاء الكثير من المعلومات التي أرادت الرأسمالية أن تخفيها ، ولذلك فقد عانى الناس في كل المجتمعات من نقص المعلومات التي تساعدهم على تشكيل موقف صحيح من الرأسمالية .. لقد أصبح الإنسان جاهلا في عصر ثورة المعلومات والاتصال ، وفي الكثير من الأحيان كان إخفاء المعلومات يتم بغرض التضليل والخداع وعلى سبيل المثال ظلت وسائل الإعلام الأمريكية طوال عام ٢٠٠٩ تدَّعى أن ليس هناك أية معلومات تشير إلى أن الولايات المتحدة تسير نحو الكساد ، ثم اتضح في نهاية عام ٢٠٠٩ أن أمريكا تعيش بالفعل في مرحلة كساد منذ أكثر من عام .

هل وسائل الإعلام لا تعرف الحقائق ؟! من الصعب إخفاء الأسرار في عصر ثورة الاتصال ، وهناك الكثير من المؤشرات على أن وسائل الإعلام تعرف لكنها تخفي الحقائق ، ولا تنشر أية معلومات تكشف مساوئ الرأسمالية وظلمها ونهبها لثروات الشعوب .

لقد جاء في مذكرات ديفيد روكفلر إشارة واضحة إلى أن مدراء الصحف الأمريكية قد تآمروا مع الرأسماليين الكبار لإخفاء المعلومات عن الشعوب .

ووسائل الإعلام تقوم بنشر الكثير من المعلومات المثيرة التي تهدف إلى

تسلية الناس وإبعادهم عن التفكير في أى عمل منظم ضد الرأسمالية .

من أهم أنواع المعلومات التي تخفيها وسائل الإعلام ما يتعلق بالاحتجاجات والمظاهرات التي يقوم بها المعادون للعولمة خاصة خلال اجتماعات قمة الدول الغنية ، أو منتدى ديفوس ، فبالرغم من القيمة الإخبارية الكبيرة لهذه الأحداث فإن وسائل الإعلام تغطيها كنوع من التسلية ، وكأحداث طريفة وغريبة وشاذة .

التلاعب بالعواطف !

كما استخدمت وسائل الإعلام المعلومات للتلاعب بعواطف الجمهور ، وتصنيع الاتفاق حول صلاحية الرأسمالية ، ومشروعية العمل لتحقيق مصالح رجال الأعمال والشركات عابرة القارات .

على سبيل المثال ربطت وسائل الإعلام بين الانتماء لأمريكا وتأييد الرأسمالية ، وجاءت أحداث الحادى عشر من سبتمبر لتزيد هذا الاتجاه ، فأصبح تأييد الرأسمالية جزءًا من استراتيجية لتشكيل الاتجاهات ، فمن ليس معنا فهو ضدنا .. وطبقا لذلك فإن كل من يوجه نقدًا للرأسمالية فهو ضد أمريكا .

شكل ذلك نوعًا من الإرهاب للإعلاميين الذين اضطروا لفرض رقابة ذاتية على أنفسهم ، وتجاهل الكثير من المعلومات التي كان يمكن أن يشكل نشرها تحذيرًا للمجتمع في وقت مبكر ، مما يمكنه من العمل لتفادي الآثار السيئة للأزمة الاقتصادية .

كان يمكن أن يتفادى الكثير من الناس خسارة أموالهم في البنوك والسندات والأسهم لو أنهم حصلوا في الوقت المناسب على المعلومات التي

تشكل إمكانية لتوقع الأزمة الاقتصادية .

ولقد سبق أن وجه الكثير من المعلقين اللوم لوسائل الإعلام خلال أزمة الفضائح المحاسبية في عام ٢٠٠٣ فقد كانت تعرف أن هناك الكثير من الشركات تبالغ في تصوير أرباحها بهدف رفع أسعار أسهمها . وهذا يعنى أن وسائل الإعلام الأمريكية قد تآمرت مع الرأسمالية لخداع الجمهور ، وأنها لم تقم بدورها في الوفاء بحق الجمهور في المعرفة .

معرفة معقدة .. لماذا ؟!

لقد طرحت كولومبيا جورنالزم ريفيو سؤالا هو : هل قامت الصحافة الأمريكية بدور لحماية قرائها من الأزمة الاقتصادية ؟ وللإجابة على هذا السؤال قامت المجلة بتحليل ٧٢٧ قصة خبرية نشرتها الصحافة حول الأزمة الاقتصادية من عام ٢٠٠٠ حتى عام ٢٠٠٧ .

وكانت النتيجة أن الصحافة قد فشلت في تحذير الجمهور من إمكانية تعرض الاقتصاد الأمريكي لأزمة بالرغم من وجود الكثير من المؤشرات على ذلك .

أضافت المجلة أن الصحافة الأمريكية دفعت الجمهور لأن يضع ثقته في كهنة النظام المالي ، فمعظم الجمهور لا يقرأ الموضوعات الاقتصادية لأنها معقدة ، ولم تستطع الصحافة أن تقدم لجمهورها معرفة مبسطة عن الشؤون الاقتصادية تساعد الجمهور على فهم ما يجري في الأسواق .

لقد ظلت الصحافة الأمريكية تقدم الشؤون الاقتصادية بأسلوب معقد بحيث أصبح الذين يقرأون هذه الموضوعات هم المستثمرون ورجال الأعمال واللاعبون الأساسيون في الاقتصاد العالمي .

هل يعني ذلك أن الجمهور يجب أن لا يفهم إلا ما تريد له الرأسمالية أن يفهمه بحيث يترك للاعبين الأساسيين في الاقتصاد الأمريكي الفرصة كاملة لتوجيهه ونهب مدخراته واستغلال عرقه . أو كما قال أحد علماء الاتصال الأمريكيين : إن على المواطن أن يستريح ويتسوق ويخرس .

وهكذا فإن وسائل الإعلام قد ساهمت في صنع الأزمة الاقتصادية ، واستخدمتها الرأسمالية للسيطرة على الجمهور وتوجيهه والتلاعب به وسرقة مدخراته .

* * *

- ١١ -

الفساد يدمر النظام الرأسمالي العالمي ..
ولكن أين وسائل الإعلام ؟!

من أهم وظائف وسائل الإعلام تحذير المجتمع من أية أخطار وكشف الانحرافات والفساد ، فهذه الوسائل تقوم بحراسة مصالح المجتمع ، وتلك الوظيفة يطلق عليها في الغرب وظيفة كلب الحراسة watchdog.

ويرى فيليب سيب أن هذا الكلب قد نام ، فلم تعد الصحافة ووسائل الإعلام تستطيع أن تكشف الفساد الذي يدمر العمود الفقرى للنظام الرأسمالي .

ومن المؤكد أن كلب الحراسة النائم يتحمل قدرا كبيرا من المسئولية عن الأزمة الاقتصادية العالمية ، حيث شكل الفساد أهم العوامل التي صنعت هذه الأزمة .

لقد كانت الصحافة الأمريكية تفخر بأنها قد استطاعت أن تكشف بعض قضايا الفساد التي أجبرت الرئيس الأمريكي على الاستقالة مثل فضيحة ووترجيت ، وأنها كشفت أوراق البنتاجون التي أجبرت الحكومة الأمريكية على سحب الجيش الأمريكي من فيتنام .

كان من حق الصحافة الأمريكية أن تفخر بذلك ، وأن تصور نفسها بأنها الحارس لمصالح المجتمع .. لكن من الواضح أن الصحافة الأمريكية لم تعد قادرة على القيام بهذا الدور حيث سيطرت مجموعة من الشركات على صناعة الإعلام والاتصال في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الدول الغربية

وعلى النظام الإعلامي العالمي .

هذه السيطرة تشكل تفسيرا لعدم قيام وسائل الإعلام بكشف فساد الرأسمالية ، وقيام الشركات الكبرى بأعمال الخداع والتزوير واستغلال الشعوب ونهب مدخرات الناس .

فضائح جنسية فقط :

ولا شك أن الفضائح من أهم أنواع المضمون الإعلامي الذي يجذب الناس ويرفع معدلات التوزيع والمشاهدة . وقد اكتشف روبرت ميردوخ صيغة يقوم عليها المضمون الإعلامي وهى التركيز على الفضائح والجنس والرياضة ، باعتبار أن هذه الصيغة هي التي يريدها الجمهور ، واستطاع أن يفرض هذه الصيغة على صناعة الإعلام والاتصال في العالم كله .

لذلك أصبحت وسائل الإعلام تبحث بشغف عن أية فضيحة لتجذب القراء والمشاهدين ، لكن الشركات عابرة القارات منعت هذه الوسائل من الكشف عن فضائح الرأسماليين ، وقيام الكثير من رجال الأعمال بنهب المليارات كما حدث في فضيحة مادوف .

لذلك اتجهت وسائل الإعلام إلى البحث عن الفضائح ذات الطابع الجنسي ، فهذه الفضائح تجذب الجمهور ، ولكن دون صدام مع الرأسمالية كأيديولوجية وكنظام عالمي أصبحت الحكومات تدور في إطاره وتتخذ قراراتها طبقا لمتطلبات الخضوع له .

في ضوء ذلك يمكن أن نفهم لماذا ركزت وسائل الإعلام على فضيحة كلينتون- مونيكا ، فالشعب الأمريكي تسلى بهذه الفضيحة ، وتابع أسرار

العلاقة الجنسية التي استخدمتها وسائل الإعلام لإلهائه عن المشكلات الحقيقية ، وعن الإشارات التي كانت تزداد وضوحا عن انهيار الرأسمالية بسبب الفساد .

تماما كالصحافة السوفيتية :

لقد كررت وسائل الإعلام الأمريكية تجربة الصحافة السوفيتية .. بالرغم من وجود اختلافات كبيرة حيث إن الصحافة السوفيتية كانت تسيطر عليها السلطة ، لذلك يمكن تفسير عدم قدرتها على الكشف عن الفساد الذي انتشر في الاتحاد السوفيتى ، ونخر كالسوس في عظام القوة العظمى الثانية في العالم حتى انهارت هذه القوة ، وتم تفتيت هذا الاتحاد الذي كانت شعوبه تتطلع ليوم تتحرر فيه من الظلم والقهر والديكتاتورية والنهب والاستغلال وجشع الحزب الشيوعى ورموزه الفاسدين .

لكن وسائل الإعلام في أمريكا تفخر بحريتها وأن السلطة لا تستطيع أن تتدخل في شؤونها ، وأن التعديل الدستورى الأول يحمى حريتها . ومع ذلك فإنها كانت عاجزة عن كشف فضائح الرأسمالية ، ومن المؤكد أن فضيحة مادوف على سبيل المثال لا تقل أهمية عن فضيحة كلينتون - مونيكا ، فلماذا اهتمت وسائل الإعلام بفضيحة كلينتون وتركت الآلاف من رجال الأعمال ينهبون ثروات الشعوب ويخدعونها ويكذبون ويزورون ويسرقون .

وهناك الكثير من هؤلاء الرأسماليين لهم فضائح جنسية أسوأ بكثير من فضيحة كلينتون .

هل قررت الرأسمالية العالمية أن تلهي الشعب الأمريكي بفضيحة كلينتون

، وأن تترك هذا الشعب يتابع تلك الأسرار الجنسية ، ويزداد إعجابه بكلينتون بطل الفضيحة ، فهو على أية حال يفعل ما يفعله كل غربى ، فليس في الأمر ما يشين كلينتون طبقا للقيم الواقعية الغربية .

يضاف إلى ذلك أن كلينتون كان يوشك أن ينتهى سياسيا فلم تعد له قيمة أو أهمية للرأسمالية ، ولا بأس من الإجهاز عليه ، واستغلال الفضيحة للحصول على أكبر قدر من المكاسب لإسرائيل وللرأسمالية .

لم تَعُد حُرَّة :

لم يعد من حق وسائل الإعلام الأمريكية أن تتفاخر بحريتها بعد أن ثبت عجزها عن كشف فضائح الرأسمالية ، وبعد أن نام كلب الحراسة وترك اللصوص ينهبون البنوك والبورصات ويسرقون مدخرات الناس وأحلامهم .

الصحافة الأمريكية كررت تجربة الصحافة السوفيتية المفيدة ، فالأخيرة ساهمت في انهيار الاتحاد السوفيتى حيث ظلت تمجد النظام وتنشر قصائد المديح في إنجازاته . ثم اكتشف العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي أن الفساد قد دمر اقتصاد الدولة ، وأن ملايين الأفدنة قد تم تبويرها ، وملايين الناس جرى سجنهم وتهجيرهم وتعذيبهم ، وأن الملايين كانت تموت جوعا بينما يتمتع قادة الحزب الشيوعي بكل أشكال الترف .

والرأسماليون كذلك في أمريكا تركوا الملايين تعيش على حد الكفاف ، ونهبوا المليارات وتمتعوا بكل ألوان الترف .

وشاركت في الفساد :

الأخطر من ذلك أن وسائل الإعلام قد شاركت في انتشار الفساد حيث

خدعت الجماهير بنشر الكثير من المعلومات التي استهدفت جذب الناس للاقتراض من البنوك وشراء السلع الترفيهية واستخدام بطاقات الائتمان . ونتيجة للمعلومات التي أغرقت وسائل الإعلام الجماهير بها لم يستطع الناس أن يتخذوا قرارات صحيحة ، فهذه الوسائل تلاعبت بعواطف الناس وأحلامهم ودفعتهم للشراء والاستدانة حتى تراكمت عليهم الديون وعجزوا عن السداد ، وانهارت الشركات والبنوك بعد أن تضاعفت الديون المعدومة .

إن وظيفة وسائل الإعلام هي أن تحارب الفساد وتكشفه وتحمي المجتمع منه ، لكن وسائل الإعلام الأمريكية تجاهلت الكثير من التحذيرات من أن سلوكها سيؤدي إلى انهيار النظام العالمي .. حيث كتب راجورام راجان الخبير الاقتصادي في صندوق النقد الدولى والذي أصبح بعد ذلك مستشارا لرئيس الوزراء الهندى عام ٢٠٠٥م يحذر من فساد مديري النظام المالي العالمي ويؤكد أن هذا الفساد سيؤدي إلى أزمة اقتصادية عالمية .

لكن صرخة راجان ذهبت أدراج الرياح فقد تجاهلت وسائل الإعلام التي تسيطر عليها الرأسمالية حتى انهار النظام البنكي نتيجة الإقراض بدون ضمانات حقيقية ، واتضح صحة كلام راجان الذي أكد أن ذلك النظام لا يستحق الثقة .

إن أية دولة تتخلى فيها الصحافة ووسائل الإعلام عن وظيفتها في كشف الانحرافات والفساد ويسيطر فيها رجال الأعمال الفاسدون على صناعة الإعلام والاتصال لا بد أن ينخر سوس الفساد في عظامها حتى تنهار ، وهذا ما حدث للولايات المتحدة الأمريكية ، وهو ما يمكن أن ينطبق أيضا على

الكثير من الدول ، فالفساد ينتشر وأصحاب الثروات يستعبدون أصحاب الأقلام ويشلون قدرتهم على تجذير المجتمع من أخطار النهب والسلب والرشوة وتكوين الثروات الحرام .

ولكى تعود وسائل الإعلام للقيام بوظيفتها في كشف الانحرافات لا بد أن تحررها من سيطرة الرأسماليين الفاسدين .

* * *

- ١٢ -

وسائل الإعلام حوّلت الناس إلى عبيد للرأسمالية !!

أصبح الإنسان المعاصر مربوطا من رقبته بسلسلة ترتبط بالتليفزيون ، ثم تمتد هذه السلسلة لتربطه بمجموعة الشركات عابرة القارات التي تسيطر على الاقتصاد العالمي وتنهب ثروات الشعوب عن طريق شراء المواد الخام من دول الجنوب بثمن بخس ، وإعادة تصنيعها وبيعها بأثمان مرتفعة .

إنه الشكل الحديث والمتحضر للعبودية ، وهو بالتأكيد أكثر قسوة من كل أشكال العبودية التي عرفتها البشرية من قبل .

الإنسان المعاصر أصبح عبدًا لشهواته وغرائزه ثم تحول إلى عبد للبنك ولرب العمل وللمتاجر الحديثة التي تعرف كيف تغريه بالشراء ، وتدفعه إلى المزيد من الاقتراض ليشتري أكثر . الغريب أن الإنسان المعاصر يزداد جوعه كلما زاد استهلاكه ، وهو يجري دائما وراء سراب السعادة التي لا يعرف معناها لأنه ببساطة لم يجربها .

كابوس هو كسلي :

الرأسمالية استطاعت أن تلغي عقل الإنسان ، وجعلته يلهث بشكل دائم ليشبع غرائزه .

ولتحقيق ذلك استخدمت صناعة التسلية التي تنوعت أساليبها . وكانت أكثر الصناعات ازدهارًا في العصر الحديث حتى إنها أصبحت تحقق

للولايات المتحدة ٧٠٪ من دخلها القومي .

كما حولت الرأسمالية وسائل الإعلام إلى وسائل للتسلية ، فالإنسان المعاصر يتعرض لهذه الوسائل ليتسلى لا ليعرف ، ويهرب من نفسه وجهله وخوفه لا ليشارك في تحقيق التغيير الإيجابي للمجتمع .

لذلك فإنه يدمن متابعة المسلسلات ومشاهدة الأفلام ومباريات كرة القدم ، وهو مغرم إلى حد الهوس بمتابعة فضائح النجوم والمشاهير ومغامراتهم وخياناتهم الزوجية خاصة الرئيس كلينتون ومونيكا .

هكذا تحقق كابوس الدوس هو كسلي الذي عبر عنه في كتابه عالم جديد شجاع ... حيث الناس يضحكون بدلا من أن يفكروا ، ولا يعرفون على ماذا يضحكون ولماذا توقفوا عن التفكير .

ولقد رأيت ذلك الكابوس في وطننا العربي ، فمنذ أكثر من ربع قرن وأنا أدرس في الجامعات العربية ، ولقد درست للكثير من الطلاب ، بذلت كل جهدي لكي أشحذ هِمَمَهُم لتلقي العلم ... لكن كان الحزن يملأً قلبي وأنا أرى الكثير من الشباب يجلسون أمامي وأجفانهم منتفخة من السهر أمام شاشات التلفزيون ... والتفكير في الأفلام والمسلسلات التي شاهدوها شل قدرتهم على تلقي العلم .

لقد أضاعت صناعةُ التسلية على الأمة إمكانية إعداد شبابها للمستقبل ، وأضاعت على شبابنا الفرص لتعلم فنون القيادة والإدارة والسياسة والبطولة .

لقد تحقق كابوس هو كسلي في العالم كله ... وكان هذا الكابوس من أهم تجليات زواج الإعلام بالرأسمالية .

لقد أدت صناعة التسلية إلى تناقص قدرات الناس على التفكير بشكل منطقي وتحليلي .

ديكتاتورية الرأسمالية :

استخدام التسلية في السيطرة على الجماهير وإلهائها عن التفكير في القضايا الكبرى مثل الحرية والاستقلال والعدالة والتنمية والإيمان ليس اتجاها جديدا ، فلقد استخدمته الدول الديكتاتورية لفرض الخضوع على الناس وقهرهم ومنعهم من مواجهة مظالمها ومقاومة طغيانها .

فالطغاة نشروا الانحلال الخلقي لكي يتمكنوا من السيطرة على الناس والتحكم في قدراتهم واستعبادهم وقد تجلى ذلك بوضوح في عهد الإمبراطورية الرومانية ، فلقد استمتع الأباطرة بفضائح جنودهم وقادة جيوشهم ، بعد أن شجعوهم على ارتكاب كل الفواحش والمنكرات ، ولقد شهدت روما ألوانا من اللهو والمجون لم تعرفها أية حضارة أخرى ، وقد امتد هذا اللهو من الرياضات العنيفة كالمصارعة ، وإطلاق الأسود على العبيد بغرض إثارة الخوف إلى ممارسة الجنس بشكل علني أمام الإمبراطور والعامة .

ولقد ساهم كل ذلك في تدهور الإمبراطورية الرومانية ، فأحد أباطرتها وهو نيرون أراد أن يتسلى ، فأحرق روما التي كان يحبها لكي يبكي عليها ، ولكي يستمتع بلحظة متفردة من الألم والحزن .

نيرون الجديد :

لكن الرأسمالية حلت محل نيرون فأغرقت العالم في التسيلة لكي تخضعه

لأهدافها ، وتستعبد بها البشر وإذا كان أباطرة روما قد شجعوا على إقامة الحفلات الماجنة في الشوارع ، فلقد استخدمت الرأسمالية قنوات التلفزيون لكي تنقل للناس ألوانا من الفجور والإباحية والعري لم تعرفها روما .

الذين لا يعرفون نموذج الحياة الأمريكية والأوروبية يصيبهم الانبهار بالمظهر الخارجي الجذاب ، لكنهم يجهلون ما سبَّبه هذا النموذج للناس من إحباط وأحزان .

كل إنسان في أمريكا وأوروبا عليه أن يعمل بشكل فيه قدر كبير من القسوة على النفس لكي يحصل على المال اللازم للتمتع بنموذج الحياة الغربية المترفة .

إنه يستيقظ مبكرًا ليلتهم إفطارًا مُكَوَّنًا من أطعمة رديئة معظمها من لحم الخنزير ، أو تم طهيها باستخدام دهن الخنزير ، ولذلك فإنه يفقد مع الزمن صفات الرجال ونخوتهم وغيرتهم على العرض .

ثم يذهب إلى عمله ، ومن المؤكد أنه لا يعمل بإخلاص - كما يتخيل البعضُ - حبا في العمل ، ولكنه يعمل خوفا من أن يفقد تلك الوظيفة فلا يجد مالا يسدد به أقساط البنوك .

عند منتصف النهار يتناول غداء خفيفا أغلبه من البطاطس المحمرة بدهن الخنزير ، أو شرائح الهامبورجر ، مع بعض المشروبات الخفيفة .

ويعود إلى عمله حتى الساعة الخامسة ، حيث يكون قد أنهك جسده ، وتوقف عقله ، وكلت روحه . وعميت بصيرته فيعود إلى منزله ليتناول عشاء دسما أغلبه من شرائح الخنزير . ثم يلقي بجسده على مقعد أمام التليفزيون

لمتابعة الأفلام الإباحية والمسلسلات الرديئة التي تدور حول الخيانات الزوجية ، أو يتابع مباريات كرة القدم أو المصارعة حتي ينام نوما يقترب من الموت .

ونتيجةً لمتابعة الأفلام الإباحية فقدَ معظمُ الرجال قدراتهم الجنسية وأصيبوا بالعجز ، فاشتدت حاجتهم إلى الأدوية المنشطة التي أصبح الإنفاق عليها يتجاوز عشرات المليارات . كما اشتدت حاجة النساء إلى البحث عن وسائل لجذب الرجال وإثارتهم ... فزاد الإنفاق على أدوات التجميل وعملياته ، والأزياء التي تكشف أكثر مما تستر .

ومع ذلك يتزايد النفور بين الرجال والنساء ، وفقد الجميع القدرة على الحياة ، وتزايد الخوف ، وانتشرت الكثير من الأمراض مثل الإيدز والأمراض السرية .

وهكذا قامت الرأسمالية بالدور الذي قام به نيرون في روما ... فاستعبدت الناس بالتسلية القائمة على الجنس والفضائح والرياضة ، وأحرقت بها حياتهم ودمرت قلوبهم وعقولهم وأعمت بصائرهم .

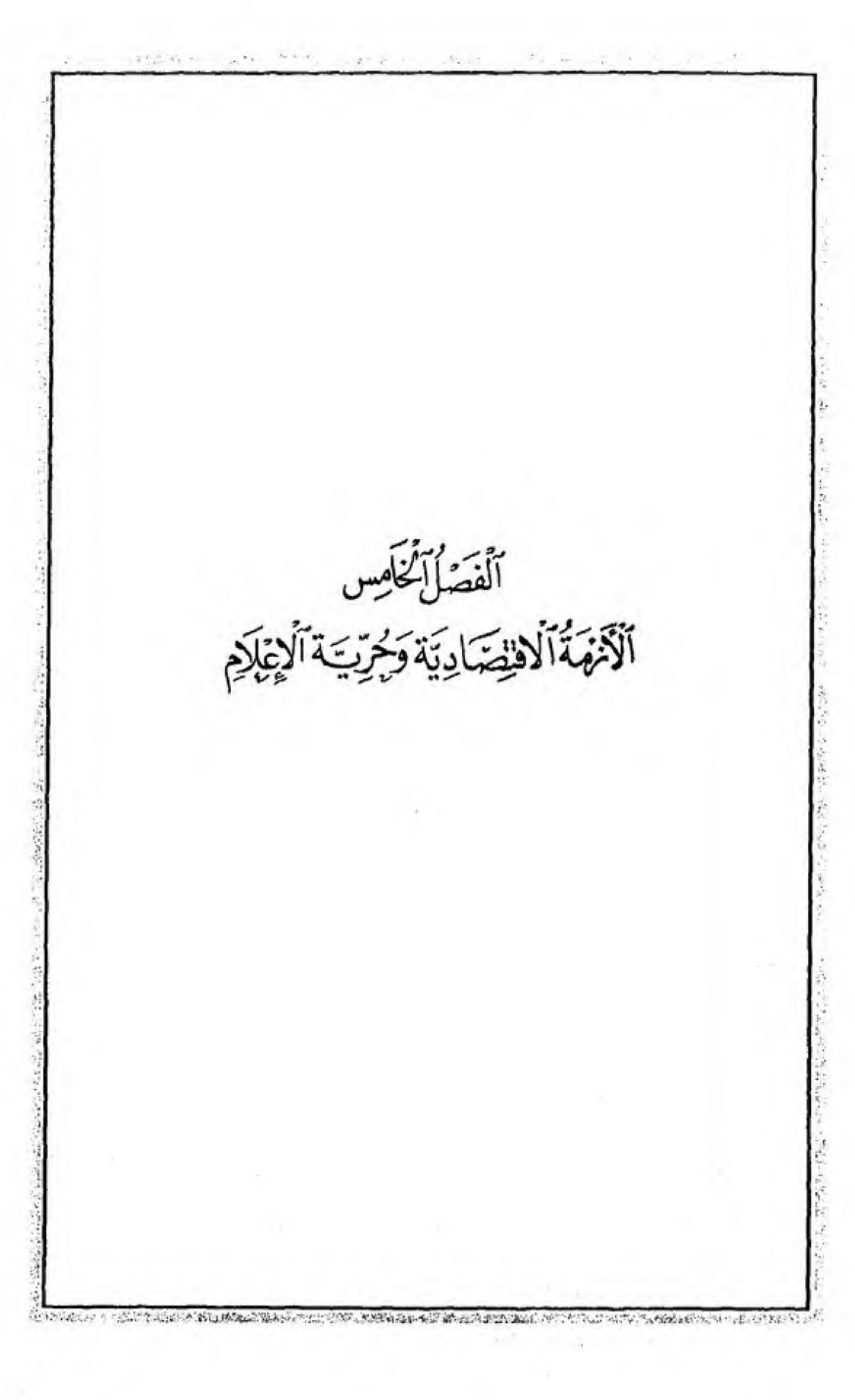
صدقوني أيها السادة إن العالم يحترق ، ووسائل الإعلام أشعلت الحريق بنشر التسلية الإباحية ، ونشر الثقافة الاستهلاكية ، وإخضاع الناس للرأسمالية .

ولكي ننقذ شباب أمتنا لا بد أن نستخدم وسائل الإعلام لتقديم مضمون جاد يجعل لحياة الإنسان معنى ويشجع الناس على أن يكون لهم أهداف كبيرة تتجاوز تلك الأهداف الرديئة . لكي ننقذ شبابنا لا بد أن نعلمهم القيادة

والمشاركة السياسية والطموح والإيمان والعلم .

ولذلك لا بد أن نواجه التحدي بشجاعة وأن نعمل لإقامة صناعة مضمون إعلامي وثقافي يجعل لحياة الإنسان معنى ، وبذلك نساهم في إنقاذ العالم ، وتحرير البشر من العبودية للرأسمالية .

* * *



الفصل الخامس

الأزمة الاقتصادية وحرية الإعلام

- ١٣ -

الإعصار المالي وحرية الإعلام !

الإعصار المالي الذي يهدد اقتصاد العالم كان محصلة لمجموعة من السياسات التي بنيت على أساس غرور القوة ، فأمريكا التي خرجت منتصرة من الحرب الباردة لم تشعر بأنها في أشد الحاجة إلى الاستماع إلى أفكار جديدة تختلف عن تلك الأفكار التي سادت خلال الحرب الباردة أو الناتجة عن لحظة الانتصار .

الاحتكار المدمر :

ولقد كانت سيطرة الشركات عابرة القارات على صناعة الإعلام والاتصال في الولايات المتحدة والكثير من دول العالم من أهم العوامل التي أعاقت قدرة وسائل الإعلام على تقديم أفكار جديدة .

لقد قامت تلك الوسائل بالدفاع عن الرأسمالية والبرهنة على انتصارها التاريخي على الاشتراكية دون تقديم نقد للرأسمالية ، أو كشف عيوبها الأيديولوجية والواقعية .

وبذلك ساهمت وسائل الإعلام في جمود الفكر الرأسمالي وإعاقة قدرة الرأسمالية على تصحيح نفسها .

لم يكن الأمر كذلك في ثلاثينات القرن العشرين حيث حدث الكساد العظيم ، وتعرضت الرأسمالية لأزمة قد تكون أخطر من الأزمة الحالية ، لكن الصحافة الأمريكية ساعدت الرأسمالية على تصحيح نفسها ، وتجاوز أزمتها

عن طريق فتح المجال أمام المناقشة الحرة للخروج من الأزمة ، وإنتاج أفكار جديدة ساهمت في تحقيق نمو اقتصادي .

لكن الأمر اختلف تماما في أواخر القرن العشرين إذ إن الشركات عابرة القارات قد سيطرت على أهم وسائل الإعلام في الولايات المتحدة ، فأصبحت عشر شركات كبرى تسيطر على عدد كبير من وسائل الإعلام ، حتى وصفت هذه الشركات بأنها إمبراطوريات إعلامية ، ومن أهمها تايم وارنر ونيوز كوربوريشن التي يسيطر عليها روبرت ميردوخ وديزني .

وزارة إعلام رأسمالية :

ولقد وصف المفكر الأمريكي بين باجدكيان هذه الإمبراطوريات بأنها تشكل وزارة إعلام رأسمالية خاصة ، ذلك أن دور هذه الشركات لا يختلف عن الدور الذي تلعبه وزارة الإعلام في الدول الديكتاتورية . وهي تقوم بدور أيديولوجي لا يختلف عن الدور الذي كانت تلعبه وزارة الإعلام السوفيتية في عصر الشيوعية .

ولقد ساهمت تلك الوزارة في انهيار الشيوعية وتمزيق الاتحاد السوفيتي عندما منعت أية إمكانية لنقد النظام أو إنتاج أفكار جديدة تساهم في إصلاحه ، وعندما جاء جورباتشوف كان الوقت قد فات ، والنظام قد تم تدميره من داخله ، وثبت للجميع زيف الأفكار التي قامت عليها الشيوعية ، وأنها غير صالحة للحياة .

ولقد تكررت التجربة مع الرأسمالية التي ظن الجميع غداة انهيار الشيوعية في بداية التسعينات أنها قد حققت انتصارها الحاسم ، وأن أمريكا قائدة النظام

الرأسمالي العالمي يجب أن تسيطر على العالم ، وتبني إمبراطورية عالمية ، وتقهر الشعوب على تغيير نظمها الاقتصادية ، والتحول إلى الرأسمالية .

كان أخطر التحولات التي حدثت خلال التسعينات أنه قد تم بناء تحالف استراتيجي بين الشركات الرأسمالية الكبرى ووزارة الدفاع الأمريكية ووسائل الإعلام ، وهو ما أطلق عليه التجمع الصناعي العسكري .

وقام هذا التحالف على أساس أن تقوم وسائل الإعلام التي أصبحت تتحكم فيها الشركات الكبرى بالدفاع عن الرأسمالية ، وعدم توفير أية فرصة لنقدها وفرض النموذج الأمريكي للحياة على البشر ، وهذا النموذج يوفر للرأسمالية الفرصة لكي تحول العالم إلى سوق كبيرة لمنتجاتها ، ونشر الثقافة الاستهلاكية التي تقوم على إغراء الناس بالعمل للحصول على أكبر قدر من الربح ، ثم إنفاق ما يربحون على المنتجات الاستهلاكية الترفيهية .

في ضوء ذلك كان على المواطن أن يعمل ويتسوق ويخرس .

ولقد أصيب الناس بالخرس فلم يتمكنوا من التعبير عن شعورهم بالظلم ، ولم يقاوموا رغبة اليمين المسيحي المحافظ في شن الحروب على الشعوب بهدف بناء الإمبراطورية الأمريكية .

اندفعت الشركات الرأسمالية تغزو الأسواق العالمية ، واندفعت البنوك تمول عمليات القروض وإغراء المواطنين بالشراء ، واندفعت وسائل الإعلام تزين للناس واقعا يتعارض مع كل قيم العدالة والحرية . لقد حولت وسائل الإعلام الناس إلى عبيد .... إنها عبودية جديدة لم تعرفها البشرية من قبل . حيث يصبح الإنسان عبدًا للبنك ، وعبدًا للمنزل الذي اشتراه ، وعبدًا

للشركات الرأسمالية التي تغريه بالشراء ، وعبدًا لنموذج الحياة الأمريكية القائم على الاستهلاك الترفي .

بذور التدمير :

كان النظام الرأسمالي يحمل في داخله بذور تدميره ، لكن وسائل الإعلام أخفت الحقائق واستمرت في تمجيد هذا النظام والدفاع عنه ، وظلت تنشر ثقافة الخضوع لهذا النظام ، وتدافع عن شرعية القوانين التي تكرس الظلم العام .

لذلك كان لا بد أن يصل النظام الرأسمالي إلى المرحلة التي تنكشف فيها الحقائق وتسقط الأوهام وتنهار الأحلام .

ووسائل الإعلام فقدت قدرتها على النقد وكشف الانحرافات والفساد ، وفقدت قدرتها على مناقشة القضايا الجادة فساهمت في انهيار النظام الرأسمالي بينما كانت تدافع عنه وتحاول أن تحميه .

الأمر يختلف كثيرا عما حدث في الكثير من النظم الديكتاتورية في العالم الثالث ، حيث ظلت وسائل الإعلام تمجد النظم ، بينما يزداد الظلم ، وتعاني الشعوب مرارة الفقر والقهر .

كما أن الأمر لا يختلف عما حدث في الاتحاد السوفيتي ، حيث كانت وسائل الإعلام تمجد النظام وتصور السعادة التي يعيش فيها الناس ، بينما كانت أحزانهم تتجمع وتتراكم ، وتضيق بهم الدنيا .

لقد كانت حرية الإعلام هي أفضل ما توصلت له أمريكا في تاريخها ، فتلك الحرية كانت هي العامل الرئيس في حماية أمريكا وتطورها وازدهارها .

لذلك كانت أسوأ كارثة حلت بأمريكا هي تقييد حرية وسائل الإعلام ، حيث تمكنت عشر شركات كبرى من السيطرة على معظم هذه الوسائل ، وتحويلها إلى وكالة لتبرير الظلم الرأسمالي ، وتعبئة الشعب الأمريكي لتأييد قرار الإدارة بالعدوان على الشعوب خاصة أفغانستان والعراق .

أين النقد ؟

الذين ينظرون إلى النظام الأمريكي من بعيد يصابون بالانبهار من قدرة وسائل الإعلام على توجيه النقد للرئيس ، أو كشف فضيحة كلينتون- مونيكا ، ويتصورون أن تلك هي الحرية ، بينما الحقيقة أن الرأسمالية كانت تقوم بتصنيع تلك الفضائح بهدف إلهاء الناس عن التفكير في القضايا الجادة والمشكلات الحقيقية.

فلا بأس من أن يخرج كلينتون من البيت الأبيض بفضيحة رغم كل ما قدمه للرأسمالية ، فهو في النهاية مجرد تفاحة متآكلة كان يجب إزالتها .

لكن الشركات عابرة القارات منعت وسائل الإعلام الأمريكية من نقد النظام الرأسمالي ، وكشف مساوئه ، و وصف حالة الظلم العام التي أصبحت كل الشعوب تعانيها .

كما منعت تلك الشركات الوسائل الإعلامية من تقديم أية أفكار جديدة تتحدى هذا النظام ، وتوضح للناس البدائل التي تعطيهم الفرصة للاختيار الحر . وهكذا فقد الناس حريتهم حيث فقدت وسائل الإعلام الحرية ولم تستطع أن توفر لهم الأفكار والبدائل الجديدة .

وهكذا استيقظ عشرات الملايين فاكتشفوا أنهم كانوا يعيشون في

كابوس ، وأنهم مهددون بالطرد من منازلهم ووظائفهم ، وأنهم لن يتمكنوا من الاستمرار في الاستهلاك الترفي ، وأن شعوب العالم تكره أمريكا التي أصابها الغرور فاندفعت تدمر المدن التاريخية الجميلة مثل بغداد وسامراء ، وأن كل شعوب العالم تكره الرأسمالية الظالمة المتوحشة وتريد نظاما أكثر عدلا وإنسانية .

* * *

- ١٤ -

حرية الإعلام وانهيار الرأسمالية

كانت حرية الإعلام أهم العوامل التي أدت إلى تقدم الغرب وتفوقه . فلقد استخدمت الشعوب الغربية بشكل عام والشعب الأمريكي بشكل خاص هذه الحرية لتحقيق الاستثمار الأمثل للآراء والأفكار والمشروعات الإنسانية والفكرية بعد أن أتاحت هذه الحرية إمكانيات النقاش والحوار ، وزادت إمكانيات المجتمعات في التوصل إلى أفضل القرارات .

كما أدت هذه الحرية إلى زيادة قدرات المجتمع الأمريكي على تصحيح اتجاهاته والتغلب على مشكلاته وكشف الانحرافات والفساد ومعالجتها بشكل يضمن للمجتمع أن يستمر في تحقيق أهدافه .

الاحتكار الرأسمالي :

لكن الأمر لم يستمر فقد تصورت الرأسمالية عقب انهيار الاتحاد السوفيتي أنها حققت انتصارها الحاسم ، ولذلك اتجهت إلى السيطرة على صناعة الإعلام والاتصال ، وشكلت إمبراطوريات إعلامية كبرى تدافع عنها ، وأصبحت الوظيفة الأساسية لوسائل الإعلام هي نشر ثقافة الاستهلاك والخضوع للرأسمالية .

ولقد ازدادت الرأسمالية توحشًا وقسوة في ظل سيطرة الشركات عابرة القارات على وسائل الإعلام حيث شعرت بالأمان وأن الإعلاميين لن يستطيعوا توجيه النقد للرأسمالية بعد أن أصبحوا يعملون في مؤسسات ضخمة تتحكم فيها الشركات الرأسمالية .

فلِكَيْ يأمن الإعلاميون على وظائفهم لا بد أن يفرضوا الرقابة الذاتية على أنفسهم بما يتماشى مع منطق السوق .

لقد ازدادت محنة الإعلاميين منذ بداية التسعينات ، فلقد تطورت قدراتهم المهنية ، لكنهم لم يتمكنوا من استخدام هذه القدرات لكشف الكثير من الحقائق عن فساد الرأسمالية وجشعها واستغلالها للبشر .

ولقد بدا ذلك واضحا منذ الفضيحة المحسابية للشركات الأمريكية عام ٢٠٠٠ ، حيث تم الكشف عن هذه الفضيحة فجأة ، كأن وسائل الإعلام قد غابت عن الوعي .

لقد أوضحت تلك الفضيحة أن وسائل الإعلام في ظل سيطرة الاحتكارات الكبرى عليها لم تعد قادرة على حماية المجتمع من الأخطار وتحذيره في الوقت المناسب ، وأنها أصبحت وسيلة للدفاع عن الرأسمالية ولم تعد قادرة على نقد هذه الرأسمالية وكشف مساوئها وانحرافاتها .

كان على المجتمع الأمريكي أن ينتبه بعد الفضيحة الحسابية إلى ضرورة البحث عن وسائل لتحرير وسائل الإعلام من السيطرة الاحتكارية الرأسمالية .. لكن المجتمع الأمريكي لم يستطع أن يفعل ذلك ، فلقد تم بناء تحالف بين وزارة الدفاع الأمريكية والشركات الرأسمالية ووسائل الإعلام ، وذلك بهدف بناء إمبراطورية أمريكية عالمية تفتح الأسواق العالمية أمام الشركات الرأسمالية ، وتخفي انحرافات هذه الشركات وفسادها ، وتخضع العالم لمتطلبات الرسملة المتعولمة ، حتى يمكن أن تنهب الشركات الرأسمالية ثروات الشعوب فتقوم بتعويض خسائرها ، وترفع قيمة أسهمها .

إلهاء الشعوب :

ولقد جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر لكي يتم توظيفها في إلهاء الشعب الأمريكي عن فساد الشركات الرأسمالية ، وتخويفه من عدو خارجي ، ودفعه لتأييد قرار الإدارة الأمريكية بشن العدوان على شعوب العالم بهدف بناء الإمبراطورية الأمريكية .

ولقد استطاعت الشركات الرأسمالية أن توظف الوسائل الإعلامية التي تسيطر عليها في تحقيق أهداف الرأسمالية وإلهاء الشعب عن التفكير في الظلم الناتج عن سيطرة هذه الشركات .

وبرز دور شركة نيوز كوربوريشن التي يمتلكها روبرت ميردوخ والذي يعتبر الوكيل الإعلامي للرأسمالية ، والمتحدث باسمها ، حيث قامت قناة فوكس التابعة لهذه الإمبراطورية بدور مهم في التمهيد لحربي أفغانستان والعراق وتعبئة الشعب الأمريكي لتأييد العدوان الأمريكي .

هكذا اندفعت الرأسمالية الأمريكية في مشروعها الذي يهدف إلى بناء إمبراطورية أمريكية عالمية تقهر الشعوب وترغمها على قبول الأيديولوجية الرأسمالية ، وتدمر نظمها الاقتصادية الوطنية .

ولقد تمت عملية نهب منظمة لثروات الشعوب ، لكن النظام الرأسمالي كان يزداد فسادا ، وكان السوس الذي نخر عظام الإمبراطورية السوفيتية دون أن تتمكن وسائل الإعلام من الكشف عنه ينخر في عظام الرأسمالية الأمريكية والغربية ، ولم تستطع وسائل الإعلام أن تحذر المجتمع من خطورته .

كان فيروس الفساد ينتشر في الجسد الرأسمالي العالمي العملاق ، ويدمر

قدراته على المقاومة حتى انكشفت الحقائق فجأة عندما انهار بنك ليمان برازرز ، ثم اتضح أن القصة أكبر بكثير من مجرد انهيار بنك ... إنها بداية انهيار الرأسمالية كأيديولوجيا وثقافة وشركات ومؤسسات سياسية وإعلامية .

مسؤولية وسائل الإعلام :

لقد غاب الدور النقدي لوسائل الإعلام ، ولم تستطع هذه الوسائل أن تكشف الحقائق في الوقت المناسب تماما كما حدث عندما انفجرت فجأة الفضيحة الحاسبية للشركات الأمريكية عام ٢٠٠٠ .

وحتى الآن فإن وسائل الإعلام لم تقم بدورها في نقد الرأسمالية ، والبحث عن حلول للأزمة الاقتصادية العالمية .

انظروا إلى نشرات الأخبار في محطات التليفزيون فسوف تكشفون أننا أمام وسائل إعلامية تجمدت قدراتها على تغطية الأحداث ، فأنت تستطيع أن تتعرف على بعض ملامح انهيار البورصات وتناقص أسعار الأسهم وهبوط المؤشرات العالمية ... ولكنك لا تستطيع أن تكتشف لماذا يحدث ذلك ... لأن وسائل الإعلام لم تعد قادرة على تقديم تغطية تحليلية وتفسيرية ونقدية للأحداث .

تستطيع أن تتابع عبر شاشات التليفزين أخبار الإدارة الأمريكية وهي تحذر من خطورة الأزمة ، وتطالب الكونجرس بالموافقة على ضخ المزيد من الأموال لإنقاذ شركاتها ... لكنك لا تعرف خطورة هذه القرارات على الاقتصاد العالمي .

لقد أصبح العالم في حالة فوضى اقتصادية وكذلك وسائل الإعلام ، فهي

لا تعرف ماذا تفعل ... هل تتابع الأحداث بشكل سريع وتترك للناس أن يفهموا من خلال تلك التغطية فيسارعون إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، وبيع الأسهم التي يمتلكونها بثمن بخس .

العالم يتعرض لكارثة اقتصادية ، والرأسمالية تنهار كما انهارت الشيوعية من قبل ، والحل هو أن نحرر وسائل الإعلام من السيطرة الاحتكارية الرأسمالية لكي تتمكن هذه الوسائل من إدارة مناقشة حرة تفتح المجال التوصل إلى حلول حقيقية للأزمة ، ولبناء نظام اقتصادي عالمي جديد .

* * *

- ١٥ -

الأزمة الاقتصادية العالمية و تناقص مصداقية وسائل الإعلام

آثار الأزمة الاقتصادية العالمية سوف تمتد على كل المستويات ، وسوف تنعكس على مجالات الثقافة والتعليم والإعلام ، ومن يريد أن يكون مستقبله أفضل من حاضره لا بد أن يدرس تلك الآثار بعمق ، و يستعد لمواجهه تحديات المستقبل . إن الأزمة الاقتصادية سوف تشكل أزمة لصناعة الإعلام والاتصال في كل دول العالم ، ولوسائل الإعلام الأمريكية بشكل خاص . وأهم جوانب تلك الأزمة تناقص مصداقية وسائل الإعلام، وتلك المصداقية هي رأسمال المؤسسات الإعلامية، ووسيلتها لجذب الجماهير . وتدهور المصداقية يعني فشل هذه الوسائل ، وعدم قدرتها على تشكيل الرأي العام، وظهور عوامل أخري أكثر قدرة على تشكيله .

ولكن لماذا ؟

لقد ساهم النظام الإعلامي الدولي في صنع الأزمة الاقتصادية ،وهذا النظام دفع العالم إلى حافة الانهيار قبل أن ينهار بدوره ، وسوف يكون لانهياره الكثير من الآثار التي ستظهر تجلياتها كلما زادت حدة الأزمة الاقتصادية .

لقد سيطرت الولايات المتحدة على النظام الاعلامي الدولي ، واستخدمته في إدارة حربها الباردة ضد الاتحاد السوفيتي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتي انهيار الاتحاد السوفيتى في بداية التسعينات . ثم استخدمت الولايات

المتحدة هذا النظام الإعلامى العالمي لفرض الأيديولوجية الرأسمالية على العالم .

ولقد كان دور الإعلام لا يقل خطورة عن دور الجيش الأمريكي الذي استخدم في الغزو وارتكاب المذابح والسيطرة على الدول .

لقد قامت وسائل الإعلام بالترويج للرأسمالية باعتبارها الأيديولوجية المنتصرة التي تشكل التقدم ، ومن لا يطبق الرأسمالية فهو متخلف .

ولقد أصبحت تلك المقولة غير قابلة للنقاش والجدل ، ولذلك خضعت شعوب العالم لعملية النهب والاستغلال الغربي الذي تم تحت عنوان الخصخصة ، وتخلي الدولة عن دورها في المحافظة على أسس الاقتصاد الوطني .

كانت عملية الخصخصة هي أكبر عملية نهب استعماري في العصر الحديث ، فلقد باعت الكثير من الدول أصول اقتصادها بثمن بخس خضوعا لمتطلبات العولمة التي كانت تعني بوضوح أمركة الاقتصاد والثقافة والإعلام .

التقدُّم نحو الهاوية :

كان ذلك التقدم الذي صورته وسائل الإعلام هو عملية إفقار للشعوب واستعباد للبشر وتدمير للإمكانيات الذاتية التي يمكن استخدامها لتحقيق تنمية هدفها توفير حياة كريمة للإنسان.

الرأسمالية التي صورتها وسائل الإعلام بأنها وسيلة التقدم كانت وسيلة استعمارية لتدمير إمكانيات الشعوب وقدرتها على تحقيق الاستقلال الاقتصادي والاكتفاء الذاتي والتنمية والتحرر .

هل يمكن أن يكون التقدم هو أن يغرق الناس في الديون ، وأن يتم تقييم الإنسان بما يمتلكه من مال ، ومن مظاهر مادية ، وأن يتم قتل قدرات الإنسان على التحرر من العبودية للرأسمالية ؟! لقد فرضت وسائل الإعلام على الناس في كل أنحاء العالم عبودية عصرية أكثر تخلفًا من كل أشكال العبودية التي عرفتها البشرية طوال التاريخ . هل يمكن أن يكون الإنسان سيدًا وبيته مرهون للبنك ، وهو يلهث لتسديد أقساط السيارة ، وهو يأكل أطيب الطعام في أفخر المطاعم باستخدام بطاقة الائتمان ، ويعرف تماما أن مصيره سيكون الإفلاس أو السجن ؟! وهل يمكن أن تدعي دولة السيادة الوطنية وهي ترزح تحت أعباء الديون وشعبها يئن من الفقر والجوع ، وهي تسدد فوائد القروض التي تتراكم حتي يعجز اقتصادها عن الوفاء ؟

جريمة تاريخية :

لقد كان الترويج للرأسمالية منذ بداية التسعينات جريمة تاريخية ساهمت فيها وسائل الإعلام في العالم كله ، فهذه الوسائل مجدت الرأسمالية وصورتها على أنها الوسيلة الوحيدة للتقدم ، وبالتالي فإنها خدعت الشعوب وضللتها ، وانتهكت حقوق الإنسان في المعرفة وفي الحصول على معلومات تكشف له عن إمكانيات تطوير حياته وحماية نفسه ، وتحذيره من الأخطار .

والرأسمالية سيطرت على وسائل الإعلام في العالم ، وعملت على تضييق نطاق الحرية حتى لا تظهر وسائل إعلامية تقدم للناس البدائل ، وتوضح للشعوب الاختيارات ، وتطرح أفكارا جديدة ، لتبدو الرأسمالية وحدها أمام الشعوب تشكل الاختيار الوحيد . إنها عملية تجهيل وتضليل وخداع

واستعباد للبشر . لقد تحولت وسائل الإعلام إلى وكالة كبرى للترويج للأيديولوجية الرأسمالية ، ولتبرير سيطرتها على الشعوب ، ونهبها لثروات الدول ، وتدمير الاقتصاديات الوطنية .

ولقد أدى ذلك إلى زيادة حدة التبعية الاقتصادية التي تعاني منها دول الجنوب الفقيرة حتى وصلت إلى مرحلة يتقاتل فيها الناس على رغيف خبز ، تشير بعضُ التقارير إلى أنه يسبب الكثير من الأمراض نتيجة المعالجة الهرمونية والكيميائية .

كارثة على الشعب الأمريكي :

وإذا كانت تلك الأزمة الاقتصادية العالمية سوف تكشف حقيقة النهب الرأسمالي الاستعماري الذي تسبب في إفقار دول الجنوب ، وتجويع شعوبها ، فإن الكارثة ستحل أيضا بالشعب الأمريكي حيث إن ملايين الأمريكيين أصبحوا مهددين بالطرد من وظائفهم ومساكنهم ، وسوف يعاني الملايين منهم مرارة الجوع والتشرد تماما مثل شعوب الجنوب التي أفقرتها الرأسمالية .

وسوف تدرك الشعوب أن وسائل الإعلام قد خدعتها وضللتها عندما صورت لها الرأسمالية باعتبارها وسيلة للتقدم . ولذلك ستنهار مصداقية وسائل الإعلام في كل أنحاء العالم .

إن الناس سيفقدون ثقتهم في كل تلك المعلومات التي تقدمها لهم وسائل الإعلام ، فلقد شكلت تلك الأزمة الاقتصادية اختبارا قاسيا لوسائل الإعلام التي سيطرت عليها الرأسمالية ، واستخدمتها في تضليل الشعوب وخداعها .

لكن ذلك سيفتح المجال للتحرر من التبعية الإعلامية ، وإنشاء وسائل إعلامية جديدة تستطيع أن تقدم رؤية نقدية للواقع ، وتقدم للجماهير البدائل والأفكار والبرامج الجديدة التي يمكن أن يقوم عليها عصر جديد تتحرر فيه الشعوب من السيطرة الرأسمالية ، ومن النظام الإعلامي العالمي .

الأزمة الاقتصادية العالمية سوف تؤدي إلى انهيار النظام الإعلامي الدولي ، فهو الذي ساهم في صنعها ، وفي فرض الرأسمالية على البشر ... فهل يمكن أن نستعد لعصر إعلامي جديد ؟!

* * *

- ١٦ -

حرية الإعلام وإصلاح الاقتصاد العالمي

التشخيص الصحيح للأزمة التي تضرب الاقتصاد العالمي في مقتل هو المدخل الوحيد للإصلاح . والذي يمكن أن يشخص الأزمة هم العلماء الذين يمتلكون قوة العقل والبصيرة ، وجرأة العلم وقدرته على تغيير الواقع .

لذلك لا بد أن يستمع صناع القرار لصوت العلم حتى لا يستمروا في نهجهم الأهوج الذي واجهوا به الأزمة حتى الآن .

إصلاح الاقتصاد العالمي لا يمكن أن يتحقق بضخ المليارات في بنوك مفلسة للمحافظة عليها ، أو بدعم الشركات الخاسرة ، أو إخفاء الحقائق والادعاء بأن الأزمة لن تؤثر علينا ، أو متابعة أسعار الأسهم على شاشات التليفزيون ، أو انتظار الكساد الرهيب ليضرب النمو الاقتصادي في الكثير من الدول .

مواجهة الأزمة لا يمكن أن يتم أيضا بالتخلي عن الفقراء ، وتركهم يواجهون الجوع ، فمن المؤكد أن ملايين الجائعين سيخرجون قريبا بحجارتهم أو حتى بصدورهم العارية ، وويل للمستكبرين يومئذ من المستضعفين .

حرية النقاش :

لكي نتوصل إلى حلول صحيحة لهذه الأزمة لا بد أن نواجه الحقيقة بشجاعة وهي أن هذه الأزمة تضرب اقتصاديات كل دول العالم بلا رحمة ، وأنه لن ينجو أحد من آثارها السلبية ، وأن الكساد قادم ، وأن الفقر سيشتد

والبطالة تتزايد ... ولذلك فإن مواجهة الأزمة تحتاج إلى تفكير مبدع ورؤية حضارية ومناقشة مفتوحة بدون مصادرة لأي فكر أو رأي ... ذلك أن سياسات القهر والمنع وتخويف أصحاب الرأي سيزيد حدة الأزمة .

لذلك فإن مواجهة الأزمة الاقتصادية العالمية تحتاج إلى وسائل إعلامية تدير المناقشة الحرة بين كل أصحاب الفكر والرأي دون أية محاولة للنفي أو الإقصاء أو المنع .

هذه المناقشة الحرة التي يمكن أن تديرها وسائل الإعلام هي الوسيلة الوحيدة للتوصل إلى قرارات صحيحة ، وتشكيل رأي عام يساند تلك القرارات .

كما أن المناقشة الحرة هي التي يمكن أن تحفز العلماء والمفكرين وأصحاب الرأي على البحث عن حلول ، والتفكير في البدائل ، وتزيد وعي الجمهور واهتمامه ومشاركته .

يجب أن نتفق أيضا أن الحضارة الغربية هي التي صنعت هذه الأزمة ، وأنها سوف تزيدها تعقيدا ، ولن تفلح في التوصل إلى حلول جديدة ومبدعة .

ولذلك فإن مواجهة هذه الأزمة تحتاج إلى الإسهام التاريخي لحضارات أخرى ، وأهمها الحضارة الإسلامية التي يمكن أن تقدم نموذجا للحياة يختلف عن النموذج الغربي .

إننا لا يمكن أن نواجه أزمة بالسياسات نفسها التي صنعتها ، لذلك فإن الأيديولوجية الرأسمالية لا يمكن أن تقدم حلا لهذه الأزمة .

ولا بد أن نفتح النقاش ، للتوصل إلى حلول حضارية جديدة .

جمود الفكر الرأسمالي :

من أهم الأسباب التي شكلت الأزمة الاقتصادية العالمية أن وسائل الإعلام الغربية قد ضيقت نطاق المناقشة ، ولم تفتح المجال لأية آراء جديدة ، وظلت تمجد الرأسمالية وتدافع عنها دون نقد ، أو محاولة لكبح جماحها .

لقد ظلت وسائل الإعلام الغربية تقدم المظاهرات ضد العولمة كأعمال غير مشروعة يقوم بها مجموعة من الناس الذين لا يعرفون شيئا كأنهم جاءوا من كوكب آخر ، أي أن تلك المظاهرات كانت تقدم على أنها أخبار طريفة أو غريبة يمكن أن تجذب الجمهور الأمريكي الغارق في الترف .

الحقيقة أن تلك المظاهرات كانت تضم الذين شعروا بالخطر الناتج عن توحش الرأسمالية وقسوتها . لقد ثبت الآن أن هؤلاء الذين تظاهروا أمام منتدى ديفوس ، أو في المدن التي عقدت فيها مؤتمرات قمة الثمانية الكبار كانوا هم العقلاء الذين رأوا ببصيرتهم أن الرأسمالية ستؤدي إلى خراب العمران وتدمير البلاد وهلاك البشر .

ماذا لو كانت وسائل الإعلام قد فتحت المجال أمام هؤلاء الذين تظاهروا ضد العولمة ليعبروا عن آرائهم ويعرضوا رؤيتهم ويدافعوا عن وجهة نظرهم ... هل كان من الممكن أن يتجنب العالم تلك الأزمة الاقتصادية ؟!

من المؤكد أن جمود الفكر الرأسمالي ، ونفي أية أفكار تواجهه أو تتحداه ، كان من أهم أسباب الأزمة ، وهذا يشير لنا إلى أهم آليات البحث عن حل وهو المناقشة الحرة ، وفتح المجال أمام أصحاب الآراء المختلفة .

تماما كالشيوعية :

لقد كررت وسائل الإعلام التي سيطرت عليها الشركات الرأسمالية العملاقة تجربة وسائل الإعلام السوفيتية التي ظلت تمجد الشيوعية دون أن تقدم أية آراء معارضة ، لذلك انهارت الشيوعية ، وفجأة اكتشفت الشعوب حجم الجريمة التاريخية ، فقد كان هناك ملايين الأفدنة التي جرى تبويرها ، والكثير من الكنوز الحضارية التاريخية التي تم تدميرها ، والملايين من البشر الذين تم قتلهم أو تعذيبهم .

وهكذا كان تقييد حرية الإعلام من أهم العوامل التي أدت إلى انهيار الشيوعية . ولكن دول الغرب لم تفهم الدرس فجاءت الأزمة الاقتصادية لتكشف أن حرية الإعلام كانت ضرورة ، وأن الرأسمالية توحشت عندما تعولمت واستكبرت على النقد وتحولت إلى جريمة تاريخية وإلى اعتداء على الإنسانية وإلى حالة ظلم عام .

ولقد دفعت الرأسمالية الإدارة الأمريكية لشن العدوان على أفغانستان والعراق بهدف إخضاع دول الشرق الأوسط ونهب ثرواته .

ووسائل الإعلام الأمريكية استخدمت لإخفاء الجريمة ، وتبريرها ومنع أي نقد لها ، ومنع الآراء المخالفة ، وتقديم المظاهرات العادية للحرب على أنها أعمال غير مشروعة .

وهكذا فقدت وسائل الإعلام الغربية حريتها حين تحولت إلى أداة لترويج الرأسمالية ، وتمجيدها ، والدفاع عنها وتبرير العدوان الأمريكي على الشعوب .

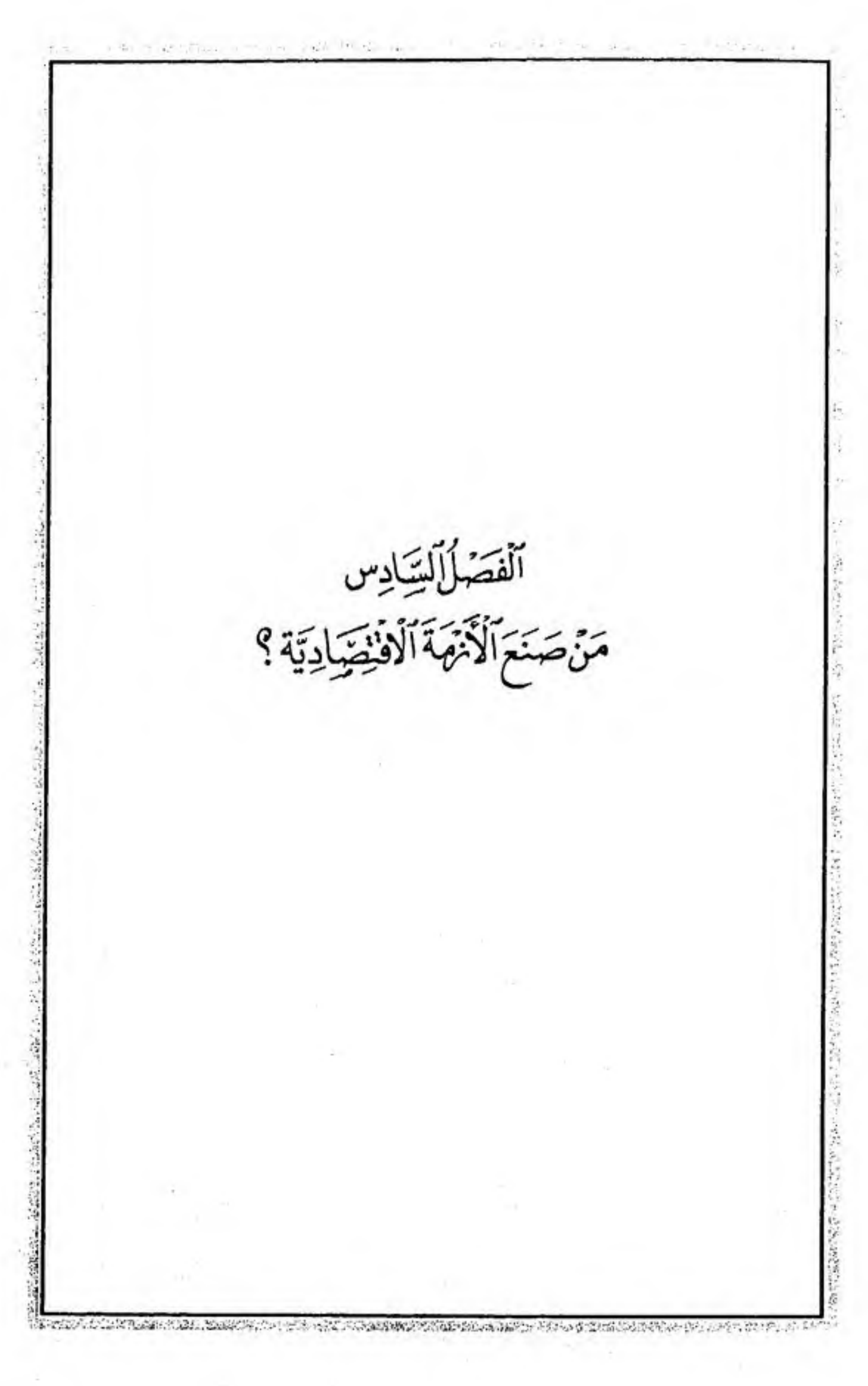
والدليل على جمود الفكر الرأسمالي ، وعمى بصيرة أباطرة الاقتصاد المتعولم أنهم كانوا يتصورون أن العدوان على أفغانستان والعراق مجرد نزهة وسوف تنتهي سريعا بإعلان الانتصار التاريخي لأمريكا زعيمة الرأسمالية .

ولذلك لم يتصوروا أن ذلك العدوان سيكون من أهم العوامل التي ستؤدي إلى أزمة اقتصادية عالمية تنهار فيها معظم رموز هذه الرأسمالية مثل البنوك الكبرى وشركات السيارات العملاقة ، كما أنها ستؤدي إلى انهيار الاقتصاد العالمي كله ودخوله إلى مرحلة كساد ... وستقل حاجة هذا الاقتصاد للطاقة لأنه ببساطة فقد القدرة على النمو .

لذلك فإن البحث عن حلول جادة لهذه الأزمة يحتاج إلى تحرير وسائل الإعلام من السيطرة الرأسمالية ، ومن احتكار الشركات عابرة القارات لكي تتمكن من إدارة مناقشة حرة ، وتقدم إسهامات حضارية جديدة ، وأفكار مبدعة .

هناك الكثير من العقول القادرة على التوصل إلى حلول للأزمة ، لكنها لا تجد الوسيلة لتوصيل صوتها للجمهور لأن وسائل الإعلام ليست حرة !

* * *



الفصل السادس

من صنع الأزمة الاقتصادية ؟

- ١٧ -

ما دور اليهود في الأزمة الاقتصادية العالمية ؟!

فتحت الإنترنت مجالاً واسعًا لنشر المعلومات والآراء التي لا تجرؤ وسائل الإعلام على نشرها ، فلقد ظهرت الكثير من المواقع التي تتحدث عن الدور اليهودي في تشكيل الأزمة المالية العالمية .

هذه المواقع تحمل اليهود المسئولية عن صنع هذه الأزمة ، ومن الواضح أن هذه المواقع قد أثرت على اتجاهات الرأي العام حيث أوضح استطلاع جمعية ضد القذف ، وهي منظمة متحيزة لإسرائيل ، وتعمل على كشف أية اتجاهات معادية لإسرائيل أن ٣١٪ من الأوروبيين يوجهون اللوم لليهود عن الأزمة الاقتصادية العالمية الحالية .

وقد أجري هذه الاستطلاع على عينة اشتملت على ٣٥٠٠ شخصًا من النمسا وفرنسا والمجر وبولندا وألمانيا وأسبانيا والمملكة المتحدة .

كما أوضحت نتائج الاستطلاع أن أكثر من نصف الأوروبيين يعتقدون أن اليهود أكثر ولاء لإسرائيل من البلاد التي يعيشون فيها ، وأن ٤٠٪ من الأوروبيين يعتقدون أن اليهود يتمتعون بقوة كبيرة جدا خاصة في عالم المال والأعمال .

وتعليقا على نتائج الاستطلاع قال إبراهيم فوكسمان رئيس جمعية ضد القذف : إنها توضح أن مشاعر العداء للسامية ما زالت موجودة لدى الكثير

من الأوروبيين .

وأضاف : إنه بعد الأزمة الاقتصادية العالمية تزايد الاعتقاد بأن لليهود تأثيرا مرعبًا على حركة المال والاقتصاد .

تفسير زائف :

لكن فوكسمان وهو معروف بتحيزه الشديد لإسرائيل يفسر النتائج بأنها ترجع إلى أن العداء للسامية ما زال موجودا بقوة في أوروبا ... لكن هل تلك هي الحقيقة أم أن هناك الكثير من الأدلة التي عرفها الأوروبيون عن طريق بعض الذين تعرضوا لخسائر كبرى في الأزمة المالية فسربوا الحقائق عبر مواقع الإنترنت ... وهي حقائق يمكن أن يشكل القليل منها فضائح عالمية تفوق كثيرا فضيحة ووترجيت ، لكن السيطرة اليهودية على وسائل الإعلام تمنع كشف هذه الحقائق مما جعل الإنترنت هي الملاذ للذين يمتلكون هذه الأدلة ولا يستطيعون نشرها عبر وسائل الإعلام .

الكثير من التعليقات عبر الإنترنت نشرت بدون أسماء ، وذلك يرجع إلى خوف أصحابها من الاتهام بالعداء للسامية .

وهناك الكثير من أصحاب هذه التعليقات امتلكوا قدرا كبيرا من الشجاعة للتأكيد على أن اليهود هم الذين صنعوا هذه الأزمة الاقتصادية وهم المستفيدون منها .

إذا اعتمدنا فقط على التعليقات التي رصدتها منظمة ضد القذف المؤيدة لإسرائيل ، والتي تهدف إلى الكشف عن أية اتجاهات معادية لإسرائيل أو كما تطلق عليها (معادية للسامية) فسوف نكتشف أن الاعتقاد بأن اليهود

هم الذين صنعوا الأزمة ينتشر بسرعة كبيرة ويزداد قوة .

على سبيل المثال كشف موقع ألماني متخصص في الأخبار المالية أن اليهود يسيطرون على النظام المالي العالمي ، وأنهم تمكنوا من بناء إمبراطوريات مالية كبيرة واستطاعوا أن ينهبوا تريليونات الدولارات ، وأنهم يستخدمون هذه الأموال لتمويل الحروب .

ومن الواضح أن الموقع يشير بذلك إلى العدوان الإسرائيلي المستمر ضد الفلسطينيين ، والعدوان الأمريكي ضد العراق .

أضاف هذا الموقع أن الولايات المتحدة هي المركز المالي لليهود ، وهي الوطن الثاني لهم ، حيث نجح اليهود مثل روكفلر وروتشيلد وليمان برازرز وجولدمان في بناء إمبراطوريات مالية كبرى استخدمت في السيطرة المالية على العالم ، وتشكيل الاقتصاد العالمي .

حكومات ضعيفة :

انتشرت الاتهامات الموجهة لليهود في الكثير من أنحاء العالم ، وارتبطت هذه الاتهامات بوصف الحكومات الأوروبية والأمريكية بالضعف أمام قوة اليهود ، وأن الشعوب الأوروبية قد ضاقت بحكوماتها الضعيفة .

هذا الاتهام انتقل إلى بعض الصحف الروسية مثل البرافدا التي أكدت أن الحكومات الفرنسية والألمانية والإيطالية تقوم بضخ الأموال لصالح أصحاب البنوك اليهود مثل روتشيلد وكوهان لوب ، وأن أصحاب البنوك اليهود قد استهدفوا الشعب الروسي والشعب الأمريكي ، وقاموا بنهب أموالهم .

في روسيا تم نشر بعض المواد التي أكدت أن سبب الأزمة الاقتصادية هو

وحشية الرأسمالية ، وأن الذي صنع هذه الأزمة هم تلاميذ الصهيوني ميلتون فريدمان .

كما فتحت الصحف الروسية المجال لعرض آراء القراء وتعليقاتهم على مواقعها الإلكترونية ، وقد بدا واضحًا أن الكثير من الروس يرون أن اليهود هم الذين صنعوا هذه الأزمة ، فاليهود هم الذين يشكلون مجلس إدارة بنك ليمان برازرز ، وأن اهتمامهم الوحيد كان الحصول على أكبر قدر من الفوائد بغض النظر عن النتائج .

في المملكة المتحدة قالت جريدة الإندبندانت : إن البنوك مملوكة لليهود ، وقد ظهر على موقع الجريدة التفاعلي آراء تؤكد مسئولية اليهود عن الانهيار المالي ، وقال أحد القراء واسمه إيرول فلين : إنه قد تم تحويل مبلغ ٤٠٠ مليون دولار إلى بنوك إسرائيل من بنك ليمان برازرز قبل ساعات من انهياره ، لكن إدارة موقع الجريدة قد قامت بحذف هذه الحقيقة التي انتشرت بعد ذلك في الكثير من مواقع الإنترنت .

انتشرت أيضًا معلومات على مواقع أخرى تؤكد قيام اليهود بسحب مليارات الدولارات من البنوك الأمريكية ، ولكن الحكومة الأمريكية لم تمتلك الشجاعة للتحقيق في هذه المعلومات ، واتجهت إلى ضخ الأموال في هذه البنوك لإنقاذها .

كما أنه تم التضحية بحرية الإعلام حيث تم منع نشر هذه المعلومات حتى في بريطانيا التي تتفاخر بحرية الإعلام فيها حيث تدخلت إدارة موقع الإندبندانت لحذف هذه الحقيقة .

اليهود مثل السرطان :

في دول أمريكا اللاتينية كانت مواقع الإنترنت أكثر صراحة وشجاعة فقد اتهمت العائلات اليهودية التي تسيطر على البنوك بأنها ضحت بدول أوروبا وأمريكا ، وأنها مثل السرطان الذي يدمر الجسد ثم ينتهي بتدمير الخلية التي استضافته .

المدونون في الأرجنتين على سبيل المثال قدموا حقائق تاريخية خطيرة عن كيفية نمو الإمبراطوريات المالية اليهودية ، كما اتهموا اليهود بالمسئولية عن صنع الأزمة الاقتصادية في الثلاثينات خاصة في ألمانيا .

أضاف هؤلاء المدونون : إن كل أزمة اقتصادية عالمية يقف وراءها « الشعب المختار » ، وأن الجيش اليهودي الذي يعمل في وول ستريت هو الذي صنع هذه الأزمة .

هناك الكثير من المدونين اليساريين في أمريكا اللاتينية قدموا معلومات تؤكد أن الأزمة الاقتصادية العالمية صناعة يهودية ، وقال أحد المدونين الارجنتينيين : إنه ليس مستغربًا أن يقوم المجتمع اليهودي في أمريكا بصنع هذه الأزمة ، فقد عرفنا من تجاربنا في الأرجنتين أن البنوك التي يمتلكها ويديرها اليهود تقوم بنهب أموال الناس .

أما في المكسيك فقد ظهرت في المدونات رؤية تقول : إن اليهود هم سادة العولمة فهم الذين استفادوا من الأموال التي ضختها إدارة بوش بهدف إنقاذ الاقتصاد الأمريكي .

كما أكد كاتب على موقع صحيفة يسارية أن بنك ليمان برازرز قد أرسل

مئات المليارات إلى إسرائيل قبل ساعات من انهياره .

لماذا لا يحقق النائب العام الأمريكي في صحة هذا الاتهام الذي ينتشر في الكثير من مواقع الإنترنت ويردده الكثير من الكتاب في مدوناتهم ؟ ولماذا لا تقوم وسائل الإعلام الأمريكية بوظيفتها في كشف الانحرافات والفساد .

أما في فنزويلا فقد نشر موقع يعبر عن الثورة الاشتراكية في فنزويلا حقائق وآراء عن الدور اليهودي في صنع الأزمة العالمية ، وتساءل هذا الموقع : لماذا يتم إيداع المليارات بشكل غامض في البنوك الإسرائيلية في وقت يتم فيه إعلان إفلاس البنوك في أمريكا الشمالية ؟!

أضاف هذا الموقع : إن اليهود هم الإرهابيون الحقيقيون على كوكب الأرض ، وإن هؤلاء الإرهابيين يتحكمون في النظام المالي العالمي ويبتلعون كل شيء .

هناك مواقع أخرى تحدثت عن إيداع أموال الشركات الأمريكية التي أعلنت إفلاسها في إسرائيل ، وهذا يؤكد أن الجماعات الصهيونية هي التي صنعت الأزمة ، واستهدفت بذلك أن تتحكم في العالم سياسيا واقتصاديا ، وأن الطبقة الوسطى في أمريكا وأوروبا قد انهارت بسبب هذه الأزمة التي صنعتها هذه الجماعات الصهيونية ... فهل تلك هي النتيجة التي تريدها هذه الجماعات ؟!! وهل يعني انهيار هذه الطبقة أن تتزايد القوة السياسية والاقتصادية للصهيونية .

أضاف المدونون اليساريون على الإنترنت : إن النظام الرأسمالي العالمي تسيطر عليه الجماعات الصهيونية المتمركزة في وول ستريت والعواصم

الأوروبية ، كما تسيطر هذه الجماعات على البيت الأبيض والكونجرس والمخابرات المركزية الأمريكية والبنتاجون ، وإن هذه السيطرة أتاحت للصهاينة معرفة مسبقة بالأحداث العالمية التي تؤثر على الاقتصاد العالمي ، واستغلال هذه المعرفة في السيطرة الاقتصادية على العالم .

هذه هي بعض الحقائق التي نجحت الصهيونية في منع وسائل الإعلام من نشرها ، ولكن الإنترنت فضحت الأسرار وكشفت ما تحاول الصهيونية أن تخفيه .

* * *

- ١٨ -

أمريكا تدمر نفسها وتحطم الاقتصاد العالمي ...

ولكن لمصلحة من ؟!!

بيتر تشامبرلين كاتب أمريكي يرى أن أمريكا تدمر نفسها ، وأن النخبة الأمريكية تدرك أن الاقتصاد العالمي الذي بنته الولايات المتحدة في طريقه للانهيار .

يضيف تشامبرلين : إن انهيار الرأسمالية والديمقراطية الأمريكية نتيجة حتمية للعولمة ، وللرأسمالية الاحتكارية ، وأن الجشع هو السمة الأساسية للنظام الاقتصادي الأمريكي ، وهذا الجشع أدى إلى تآكل التركيب السياسي والاقتصادي نتيجة تزايد الظلم وعدم الأخلاق .

يستشهد تشامبرلين على صحة النتيجة التي توصل لها بتقرير أعده مجموعة من الباحثين في جامعة ستانفورد عام ١٩٧٤ أكدوا فيه أن المصير الحتمي للاقتصاد الأمريكي هو الانهيار من داخله ، وأن هذا الانهيار سيكون مصحوبًا بكارثة اجتماعية .

رأسمالية طفيلية :

بالرغم من أن هذا التقرير قديم ، وتم تجاهله لفترة طويلة ، بيدَ أن ما تضمنه من حقائق وتوقعات قد ظهرت صحتها ، وتأكدت مصداقيتها خاصة عقب الأزمة الاقتصادية التي تجتاح العالم .

هذا التقرير تضمن توصيفا خطيرا للاقتصاد الأمريكي ، حيث أكد أنه يقوم على الرأسمالية الطفيلية وأن مجموعة قليلة تسيطر على هذا الاقتصاد ، وتحصل على أرباح عالية ، وتقوم بتدمير النظام الاجتماعي الأمريكي .

لذلك فإن الظلم وعدم المساواة الناتج عن هذا النظام يتزايد ، وهذا سيؤدي بدوره إلى تزايد التوتر الاجتماعي . فهذا النظام الاقتصادي مصدر للبؤس .

يتنبأ التقرير بأن أمريكا سوف تتحول لدولة بوليسية لمواجهة هذا التوتر الاجتماعي الناتج عن الظلم الرأسمالي .

يطلق على هذا التطور « سيناريو يوم القيامة » ، وقال هذا التقرير في نهايته : إن الحل هو إقامة نظام يسمح باستخدام موارد الأرض لمصلحة الإنسان وبما يتفق مع الطبيعة الإنسانية .

ويتهم تشامبرلين الرأسماليين الأمريكيين بالنفاق ، وبأنهم قللوا من أهمية التقرير أو تجاهلوه .

استغلال النظام الأمريكي :

يرى تشامبرلين أن هناك مجموعة من الرجال مثل روكفيلر قد استغلوا النظام السياسي والاقتصادي الأمريكي لتعظيم أرباحهم ، وإقامة شركات عابرة القارات تتميز بالجشع وتستغل الموارد العالمية .

إن أصحاب هذه الشركات قد وظفوا أمريكا لمصلحتهم ولفرض سيطرتهم على العالم ، وذلك بإقامة مشروعات يتم تصويرها بأنها إنسانية بينما

هي في الحقيقة تُستخدم كآليات للحصول على أكبر قدر من الأرباح لهذه الشركات .

ويشير تشامبرلين إلى بعض هذه المشروعات مثل مشروع الثورة الخضراء التي انتشرت في العالم الثالث ، وكانت وسيلة لفرض العولمة ، وعدم استقرار أسواق العمل ، وخلق ما يطلق عليه (العمال اللاجئون) ، والذين هم على استعداد للذهاب إلى أي مكان في العالم للحصول على عمل . وهذه وسيلة لفرض العبودية الحديثة ، حيث يحصلون على أجر يكفي بالكاد متطلبات الحياة الضرورية ، وكان ذلك من أهم أسباب الهجرة غير الشرعية إلى الولايات المتحدة خاصة من المكسيك .

وقد ساهم النظام الأمريكي في توفير الآليات لعملية الاستغلال الرأسمالي ، والسيطرة الرأسمالية على العالم ، وقد بلغت هذه العملية ذروتها عندما سيطر المحافظون الجدد على البيت الأبيض في عهد بوش .

يضيف تشامبرلين : إنه تم بناء النظام الرأسمالي على أساس حصول الشركات العملاقة عابرة القارات والبنوك الكبرى على أكبر قد ممكن من الأرباح ، لكن معظم هذه الأرباح تأتي من الفقراء ، وهو ما يؤدي إلى زيادة الظلم ، وتناقص الاهتمام بالإنسان وبالخدمة العامة والشؤون المجتمعية ، وهذا يؤدي إلى انكسار أمريكا طبقًا لتعبير تشامبرلين كمجتمع وكديمقراطية ، وكرأسمالية ، وانكسار أمريكا سيؤدي إلى انهيار الاقتصاد العالمي ، فالرأسمالية الاحتكارية تعجز عن الوفاء بالاحتياجات الإنسانية لشعوب العالم .

ويتهم تشامبرلين إدارة بوش بأنها كانت تدرك حقيقة أن النظام الاقتصادي الأمريكي لا بد أن ينهار ، لكنها حاولت أن تواجه تلك الحقيقة بشن الحروب والتمهيد لحرب عالمية .

ومن أهم أسباب شن هذه الحروب أن المحافظين الجدد يريدون فرض حالة طوارئ في أمريكا وفرض السيطرة العسكرية لمواجهة أية ثورة اجتماعية داخل أمريكا . وهذا يتطلب إقناع القوات العسكرية بأنها هي التي تحمي الوطن ، وأن بقاء أمريكا يعتمد على جهد العسكريين وولائهم للسلطة ... ولذلك تم استدعاء الاحتياطي ، وتقوية قوات الحرس الوطني ... أي أنه تم عسكرة أمريكا لحماية الرأسمالية وتحويلها إلى دولة بوليسية .

لقد تحولت القوات العسكرية الأمريكية إلى وسيلة للسيطرة الاجتماعية على الشعب الأمريكي بالإضافة إلى استخدامها كأداة للسيطرة على العالم .

في خدمة الرأسمالية :

هكذا تحولت الدولة الأمريكية (البيت الأبيض- الحكومة- الكونجرس- القوات العسكرية) إلى وسيلة لحماية الرأسمالية الاحتكارية ، وفرض الأمر الواقع ، وتكريس حالة الاستسلام والخضوع داخليا وخارجيا .

وتحولت القوات العسكرية الأمريكية إلى وسيلة لحماية الرأسمالية العالمية ، وإخضاع الشعب الأمريكي وشعوب العالم كله .

وهكذا فإننا نرى بوضوح الانهيار المخطط لأمريكا ، وكيف أن أمريكا تمضي بخطوات سريعة نحو السقوط والفشل .

إدانة لوسائل الإعلام :

وكما أن النظام السياسي والاقتصادي الأمريكي يتحمل قدرًا كبيرًا من المسئولية عن سقوط دولة أمريكا وفشلها ، فإن وسائل الإعلام تتحمل أيضًا مسئولية كبيرة .

لقد ساهمت هذه الوسائل في وصول أمريكا إلى تلك الحالة ، ولكي نبرهن على ذلك فإننا نسوق هنا ما قاله ديفيد روكفلر الذي عبر عن شُكره باسم الرأسماليين الأمريكيين والشركات عابرة القارات للصحف الأمريكية ، والتي ذكر منها بالاسم (واشنطون بوست ونيويورك تايمز ومجلة تايم) ، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الصحف .

وكشف روكفلر أن مديري هذه الصحف - ربما يقصد بذلك رؤساء التحرير - يحضرون اجتماعاتنا ، ويحترمون وعودهم طوال ٤٠ عامًا .

أضاف روكفلر : لقد كان من المستحيل أن نطور خطتنا للسيطرة على العالم لو أن وسائل الإعلام قد كشفت عن هذه الخطة طوال السنوات الماضية ، لكن الآن أصبح العالم معقدًا ويسير بخطًى متدرجه نحو الحكومة العالمية ، ونحو سيطرة النخبة المثقفة من رجال البنوك .

ماذا يعني ذلك ؟ إن وسائل الإعلام الأمريكية قد أخفت عن الشعب الأمريكي وعن شعوب العالم مخططات الرأسماليين الاحتكاريين للسيطرة على العالم ، واستغلال النظام الأمريكي لشن الحروب .

إذا عُدْنا لمذكرات روكفلر سنجده في صفحة ٤٠٥ يقول : البعض يعتقد أننا جزء من مجموعة سرية تعمل ضد مصالح الولايات المتحدة ،

وتطلق على أسرتي « العالميين » ، وأننا نتآمر مع آخرين حول العالم لبناء نظام اقتصادي وسياسي عالمي متكامل ... عالم واحد !! فإذا كان هذا هو الاتهام فأنا مذنب ، وأنا فخور بهذا الذنب !!

دَعْنا الآن نوضح الحقيقة : لقد قام الرأسماليون الاحتكاريون ومن أهمهم ديفيد روكفلر بالعمل لسنوات طويلة لتحقيق العولمة ، ولفرض الرأسمالية الجشعة المستغلة على العالم لنهب ثروات الشعوب ، وتحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح على حساب الفقراء .

واستغلوا في ذلك النظام السياسي والاقتصادي الأمريكي ، كما استغلوا الجيش الأمريكي لشن حروب هدفها إخضاع العالم .

كما قاموا باستغلال وسائل الإعلام الأمريكية التي سيطرت عليها الشركات عابرة القارات لفرض السيطرة الثقافية والتحكم في العقول وتغييب الوعي وتشكيل السلوك وإعادة بناء الحياة الإنسانية لتصبح شعوب العالم كله ، ومن بينها الشعب الأمريكي عبيدًا للرأسمالية العالمية الاحتكارية ، ولكي يحصل الذين يسيطرون على الشركات عابرة القارات على أكبر قدر من الأرباح بينما تعيش الشعوب في بؤس وفقر وجوع وذل .

روكفلر يعترف بالمؤامرة ويفخر بها ، وبأنه قد شارك في صنعها ، وفي تحقيق العولمة وهو الهدف الرئيسي للرأسمالية .

لكن من هي تلك المجموعة السرية التي يعترف روكفلر بالمشاركة فيها ؟ هل هي حكومة عالمية حولت حكام الدول إلى عبيد ، وعلى رأسهم الرئيس أوباما ؟

لكن على أية حال فإن نجاح تلك المؤامرة نفسها يمكن أن يؤدي إلى انهيار أمريكا وانهيار الاقتصاد العالمي كله ، وبالتالي تنهار العولمة التي حلم الرأسماليون الاحتكاريون ببنائها .

ويبقى السؤال : ما صلة تلك المجموعة السرية أو الحكومة الخفية بإسرائيل في ضوء مقولة شارون : نحن الذين نحكم أمريكا ؟ وما دور روكفلر والمسيطرين على البنوك في بناء عالم رأسمالي متعولم يستغل ثروات الأرض وعرق الشعوب ليحقق الرأسماليون أكبر قدر ممكن من الأرباح وليحمي أمن إسرائيل ويكرس سيطرتها على العالم ؟

لكن تلك المؤامرة نفسها سوف تؤدي إلى انهيار أمريكا وتحطيم الاقتصاد العالمي !!

* * *

- ١٩ -

هل يستطيع أوباما أن ينقذ الاقتصاد الأمريكي ؟!!

يقف أوباما في مواجهة أعاصير سياسية واقتصادية وعليه أن يتخذ قرارات تعالج الكارثة التي صنعها بوش وأعوانه من المسيحيين المحافظين الذين أرادوا أن يدمروا العالم من أجل إقامة الإمبراطورية الأمريكية ، فأدى ذلك الطموح المدمر إلى انهيار الاقتصاد الأمريكي .

ولكي يستطيع أوباما أن يتخذ قرارات صحيحة فإنه لا بد أن يدرك أن زيادة تكاليف الحروب على قدرة الاقتصاد يؤدي إلى انهيار الدولة .

تلك الحقيقة أوضحتها التجربة البريطانية ، فلقد ظل القادة الإنجليز يصرون على المحافظة على إمبراطوريتهم التي لم تكن تغرب عنها الشمس ، وخاضوا من أجل هذا الهدف الكثير من الحروب ... ولقد حقق هؤلاء القادة انتصارًا في الحرب العالمية الثانية ، واستطاعوا أن يهزموا ألمانيا ويمنعوها من احتلال أجزاء من العالم كانوا يسيطرون عليها .. لكن بعد الانتصار أدرك القادة الإنجليز أن عليهم أن يتوقفوا عن طموحهم الإمبراطوري وأن يعودوا إلى بريطانيا حتى لا تنهار اقتصاديا ، وهكذا ارتضى القادة الإنجليز لدولتهم أن تكون تابعة لأمريكا التي كانت يومًا إحدى المستعمرات البريطانية .

تلك كانت أهم نتائج الحروب التي أثقلت كاهل الاقتصاد البريطاني ، فلم يعد هذا الاقتصاد قادرًا على تحمل أعباء المحافظة على الإمبراطورية .

درس انهيار الإمبراطورية السوفيتية !

كذلك لا بد أن يفهم أوباما درس انهيار الإمبراطورية السوفيتية ، فلقد كان طموح القادة السوفيت للسيطرة على أفغانستان هو أهم عوامل الانهيار .

لقد ظل الجيش السوفيتي يحارب الأفغان أكثر من عشر سنين ، ثم أدرك القادة السوفيت أنهم لا بد أن يرحلوا حفاظا على بعض مقومات الدولة ، وبعد أن أدركوا أن الاقتصاد السوفيتي لا يمكن أن يتحمل المزيد من تكاليف الحرب .

لكن القرار كان متأخرا ، وجاء بعد أن تم تدمير أهم مقومات الاقتصاد السوفيتي فلم يكن أمام جورباتشوف سوى أن يتعامل بشفافية ، وأن يعلن الحقائق ويترك للشعوب السوفيتية أن تقرر مصيرها ، ويعطي للشعوب قدرًا من الحرية التي افتقدتها لزمن طويل ، فاختارت الشعوب أن تستقل وأن يتفكك الاتحاد السوفيتي فلم يعد في بقائه سوى الفقر والخراب .

ولقد رأت روسيا نفسها أنه من الأفضل أن يتفكك الاتحاد السوفيتي ، وأن تستقل الدول التي كان هذا الاتحاد يضمها حفاظا على مقومات الاقتصاد الروسي ، ولكي تظل روسيا دولة ، فلم يكن من الممكن أن يستمر الاقتصاد الروسي في الإنفاق على دول أخرى لم تعد قادرة على الإنتاج .

ولقد اكتشف العالم الكثير من الحقائق عن تلك الإمبراطورية ، ففي سنوات الحرب الطويلة تم تبوير ملايين الأفدنة بعد أن أهملت الدولة الزراعة ، وعض الفقر بنابه الملايين ، ولم تعد تكفيهم المرتبات الهزيلة التي كانوا يحصلون عليها ثمنًا لخضوعهم لدولة القهر والديكتاتورية .

حرب بلا نهاية :

أما أمريكا فإنها قد أشعلت حربًا عالمية ضد ما أطلقت عليه الإرهاب ، وجرت معها الكثير من الدول الغربية ، وسيطرت على أفغانستان ثم أغراها ما حققته من نجاح في أفغانستان بشن المزيد من الحروب لإقامة الإمبراطورية الأمريكية ، لذلك شنت عدوانها الظالم على شعب العراق ، ودمرت المدن العراقية الجميلة ، وأغرقت العراق بالدم والموت والخراب ، فقتلت أكثر من مليون عراقي .. فماذا كانت النتيجة ؟!

يقول فيليب جيرالدي : إن أمريكا لجأت إلى الاستدانة من الأجانب لتمويل حروبها ، وكان ذلك من أهم العوامل التي أدت إلى انهيار الاقتصاد الأمريكي .

يضيف جيرالدي : إن على أوباما أن يقوم بعملية تحليل للفائدة مقابل التكلفة ، وسوف يكتشف أن التكلفة التي تحملها الاقتصاد الأمريكي كانت أكبر من كل ما تخيله اليمين المسيحي المحافظ من وراء بناء الإمبراطورية ، وشن العدوان على الشعوب ، وأن الاقتصاد الأمريكي سوف يستمر في التدهور إذا لم تتوقف تلك الحرب التي تبدو حتى الآن بلا نهاية ، وأن استمرارية هذه الحرب تفوق قدرة الاقتصاد الأمريكي ، وسوف تؤدي إلى نتيجة لا تختلف عن تلك التي انتهت بها الحرب العالمية الثانية بالنسبة لبريطانيا والعدوان السوفيتي على أفغانستان .

لقد أوضح الإعصار المالي أن الاقتصاد الأمريكي لا يستطيع أن يتحمل عبء الميزانية العسكرية الضخمة ، وأن النتيجة الوحيدة لاستمرار تلك

الحرب هو انهيار الاقتصاد الأمريكي .

لقد آن للشعب الأمريكي أن يعرف الثمن الفادح الذي دفعه مقابل الطموح الإمبراطوري ، وشن العدوان على الشعوب ، ولذلك لا بد أن يقوم أوباما بعملية مكاشفة ويعلن الحقائق بشفافية تمامًا كما فعل جورباتشوف ، ولكن هل يأتي هذا القرار متأخرا ؟

وعلى أوباما أن يحذر من الجنرالات والمتحدثين باسمهم في وسائل الإعلام الذين يشنون حملات إعلامية تهدف إلى التأكيد على الحاجة لهذه الحروب لحماية الأمن القومي الأمريكي ، فهذه الحملات الإعلامية هدفها منع أوباما من اتخاذ قرارات صحيحة في الوقت المناسب ، وإنقاذ الاقتصاد الأمريكي ، فحماية الأمن الأمريكي لا يكون باستمرار احتلال العراق وأفغانستان ، ولكن بحماية الاقتصاد الأمريكي من خطر الانهيار .

على أوباما أن يدرك أن الشعب الأمريكي لم يعد يُصدق جنرالات جيشه أو يثق بهم فهم الذين جعلوا الشعب الأمريكي يواجه الآن أوقاتًا عصيبة .

لكي ينجح أوباما !

إن أوباما يحتاج إلى أن يعيد التفكير بشكل راديكالي في أحداث التاريخ القريب ، وفي أساليب تعامل الإدارة الأمريكية مع هذه الأحداث ، وهو بهذا التفكير يمكن أن يضع الأساس لنجاحه في إنقاذ اقتصاد أمريكا فتلك أكبر التحديات التي تواجهه .

وحتى الآن يبدو أوباما مقتنعا بأهمية الانسحاب من العراق ، لكنه ما زال يصر على أن يستمر في الحرب ضد أفغانستان بالرغم من أن تلك الحرب

تشكل عبئًا على الاقتصاد الأمريكي ، ولا يمكن تحقيق أي نجاح أمريكي في أفغانستان .

جنرالات أمريكا الذين تم توصيفهم بأنهم عباقرة لم يتمكنوا من حماية أمن أمريكا بحروبهم ، ولكن عبقريتهم أدت إلى حرب طويلة أثقلت كاهل الاقتصاد الأمريكي وأدت إلى انهياره .

ولذلك لا بد من مراجعة ميزانية الحكومة الفيدرالية ، وهي ميزانية ترتبط بالنفقات الخفية للحرب والتي تشوه الاقتصاد الأمريكي .

لقد تحمل الاقتصاد الأمريكي خلال الحرب على العراق وأفغانستان ما يفوق التكاليف التي تحملها في الحرب ضد فيتنام .

ويقدر جوزييف ستجلتز أستاذ الاقتصاد بجامعة هارفرد تكاليف الحرب على العراق وحدها بأكثر من ثلاثة تريليونات من الدولارات (أي ثلاثة آلاف مليار دولار) .

وما زالت هذه الحرب مستمرة :

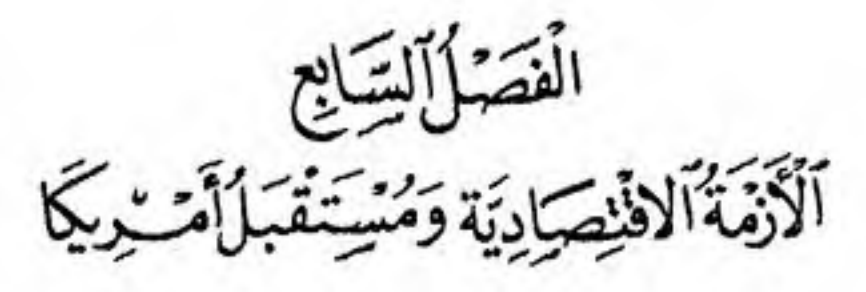
أما أفغانستان فإن هناك الكثير من المؤشرات على أن التكاليف التي يتحملها الاقتصاد الأمريكي سوف تتزايد نتيجة لقطع طريق إمداد القوات الأمريكية عبر ممر خيبر . حيث إن ذلك سيؤدي إلى زيادة تكاليف توصيل الإمدادات للجيش الأمريكي .

لذلك لا بد أن يفكر أوباما في التفاوض مع جميع الأطراف بهدف تأمين الاستقرار وسحب الجيش الأمريكي من العراق وأفغانستان ، حيث إن ذلك يشكل الأمل الوحيد لأوباما في إنقاذ الاقتصاد الأمريكي .

أما إذا اختار الاستمرار في هذه الحرب فإن عليه أن يواجه النتيجة التي توصلت لها من قبل بريطانيا والاتحاد السوفيتي .

إن أوباما الآن في أشد الحاجة للتفاوض مع المقاومة العراقية ، ومع طالبان حتى يتمكن من الانسحاب ، وليس أمامه سوى أن يواجه الحقيقة ، ويعلنها للشعب الأمريكي بشفافية كما فعل جورباتشوف من قبل .

* * *


الفصل السابع
الأزمة الاقتصادية ومستقبل أمريكا

- ٢٠ -

فوز أوباما ليس ثورة ... إنه يدعم الرأسمالية على حساب الفقراء !!

حار الإعلاميون والمفكرون في تفسير فوز أوباما ، واعتبروا أن فوزه يعبر عن عملية تغيير في العقلية الأمريكية ، وأن أمريكا قد تخلت عن عنصريتها لأول مرة وانتخبت رئيسًا ينتمي إلى الزنوج الذين بنوا أمريكا تحت سياط السادة البيض .

وأوباما رفع خلال حملته الانتخابية شعار التغيير الذي نريده أو نعتقده دون أن يوضح ماذا يريد أن يغير وكيف ؟ لذلك فإن الأمريكيين انتخبوا الشعار لأنهم يريدون أي تغيير .

ليس ثورة :

لكن روبرت شير يتهم أوباما بالخداع ، ويرى أن فوزه لم يكن ثورة ، وأنه كذب على الشعب الأمريكي ، لماذا ؟!

يرى شير أن أوباما قد استمر في تدعيم الرأسمالية وضخ المليارات لإنقاذ البنوك والشركات المفلسة على حساب الفقراء الذين تزايد عددهم بشكل كبير .

يضيف شير : إن أوباما قد استمر في تنفيذ السياسة الاقتصادية للحكومة الأمريكية ، وهذه السياسة هي التي ساعدت المؤسسات والشركات الرأسمالية على أن تتضخم وأن تستغل الناس .

وحتى الآن لم يقم أوباما بإحداث أي تغيير في السياسة الاقتصادية الأمريكية ، وقد استمر في تطبيق الحلول التي طبقها سلفه مستر بوش ، حيث استخدم أموال دافعي الضرائب الأمريكيين في إنقاذ البنوك والشركات التي أفقرتهم .

وبالرغم من أن أوباما قد عرف الفقر وقسوته في بداية حياته بيدَ أنه تنكر للفقراء ولم يقم بأي عمل لتحقيق مصالحهم !!

لقد أثبت أوباما أنه مجرد رأسمالي لا يختلف كثيرًا عن أصحاب الشركات والبنوك الذين دمروا حياة الناس بجشعهم وبضيق أفقهم .

فهل انتخب الشعب الأمريكي أوباما ليقوم بتنفيذ سياسات بوش ؟!

إن طرح السؤال يشكل صدمة لملايين الأمريكيين الذين تعرضوا للتشرد بعد أن فقدوا منازلهم بسبب عجزهم عن دفع فوائد القروض التي حصلوا عليها من البنوك .

لقد انحاز أوباما للرأسماليين الذين يريدون مواجهة الأزمة الاقتصادية بالأموال الفيدرالية التي تم جمعها عن طريق فرض الضرائب والتي ساهمت في زيادة فقر ملايين الأمريكيين .

وهذا يعني أن أوباما قد تخلى عن الفقراء الذين انتخبوه ، وخدع الأمريكيين بشعار التغيير ، وترك ٥٠ مليونا من الأمريكيين يعانون مرارة الجوع ، في الوقت الذي يستخدم فيه المحللون الاقتصاديون مؤشرات ارتفاع أسعار الأسهم في البورصة لخداع العالم بأن الاقتصاد الأمريكي ينتعش وأن احتمالات الكساد قد انتهت بينما الحقيقة أن أسعار الأسهم ترتفع بفضل

الأموال الفيدرالية الحكومية التي تقوم إدارة أوباما بضخها لإنقاذ الشركات والبنوك المفلسة .

أوباما يزيد الأزمة :

هذا يعني أن أوباما لم يفتح المجال للبحث عن حلول حقيقية ومبدعة للأزمة الاقتصادية ، وأن سياسته سوف تزيد الأزمة ، فضخ الأموال الفيدرالية يؤدي إلى تناقص الأموال المخصصة للرعاية الصحية والإنفاق على التعليم والضمان الاجتماعي ومساعدة الفقراء الذين أصبحوا يدفعون الضرائب لمساندة الشركات والبنوك التي أفقرتهم وشكلت مأساتهم .

يرى آلان جرينسبان رئيس النظام الاحتياطي الفيدرالي السابق أن الرأسمالية تنهار ، لكن الرأسماليين لا يعترفون بذلك طالما أن شركات البترول وشركات إنتاج الأسلحة والمواد اللازمة للحرب تحقق أرباحا ، وهم لا يهمهم مقاييس أخرى مثل البطالة أو فقدان الملايين من الناس القدرة على الحياة ، أو تعرضهم للجوع أو تشردهم بعد فقدان منازلهم .

وسوف يتحمل مجموع الناس في المجتمع أعباء الأزمة والخسائر الناتجة عنها ، ويدفعون الضرائب لإنقاذ الشركات والبنوك المنهارة ، أما المؤسسات الرأسمالية فإنها سوف تستمر في تحقيق الأرباح ... مع ذلك فإن انهيار الرأسمالية مسألة حتمية .

لكن بدلاً من أن يواجه أوباما الحقيقة ، ويبحث عن مستشارين يمتلكون الجرأة والشجاعة على تقديم حلول مبدعة وجديدة ، ويقوم بإصلاح النظام الرأسمالي ، فإنه اعتمد على مجموعة من المستشارين الرأسماليين أغلبهم من

اليهود ، وهم قد استطاعوا أن يستغلوا أوباما لسحب المزيد من الاحتياطات المالية الفيدرالية لتحويل الشركات المفلسة إلى شركات تحقق أرباحا ، وترتفع أسعار أسهمها في البورصة لكي يتم إعطاء انطباع خادع بأن الاقتصاد الأمريكي بدأ ينتعش ويتعافي ، ويتغلب على الأزمة .

انحاز أوباما للرأسمالية وللوضع الراهن وسيطر عليه المستشارون اليهود يوجهونه لتحقيق مصالحهم . أما الفقراء الذين انتخبوه فلم يعد يهمه أمرهم بعد أن وصل إلى البيت الأبيض . ويكفيه أنه يستعرض خطواته بجوار ميتشل أمام عدسات المصورين ، وتشاهده شعوب العالم كأول رئيس أسود للولايات المتحدة الأمريكية .

دَعْهُ يفقد شعبيته :

يمكننا أن نلاحظ أيضًا أن معظم الذين يعانون الجوع والتشرد في المجتمع الأمريكي هم من السود ، ولذلك فإنهم لم يكسبوا شيئا من أوباما .

ربما يشكل لهم نوعًا من الفخر أن رئيس أمريكا التي ذاق أسلافهم فيها مرارة العبودية وقهر سياط الجلاديين البيض قد أصبح أسود .

ولكن ماذا بعد أن يستيقظ السود على الحقيقة الصادمة وهي أن رئيسهم الأسود قد انحاز للرأسماليين على حساب الفقراء ، وأنه خدع الشعب الأمريكي ، وربما تكون الرأسمالية قد أرادت في هذه الفترة رئيسا أسود لكي يتحمل المأساة التي صنعتها ، وليرتكب جريمة نهب أموال دافعي الضرائب وضخها لإنقاذ الشركات والبنوك المفلسة . والخاسر الوحيد هم الفقراء من السود الذين ينتمي لهم أوباما ، لكن من المؤكد أن أوباما قد خسر فرصة

عمره التي تتمثل في تغيير حقيقي يقوم على إنقاذ العالم من فساد الرأسمالية وجشعها ، والاعتراف بأن العالم يحتاج إلى نظام جديد يتميز بالعدالة والمسؤولية .

* * *

- ٢١ -

أمريكا تقترب من النهاية وعصر جديد يبدأ ...

ولكن أين نحن ؟!

الأمة التي تريد أن تبني النهضة وتحقق التقدم والانتصارات لا بد أن تقرأ الواقع بشكل صحيح ، وتستفيد من الفرص التي يوفرها لبناء المستقبل .

لذلك تحتاج الأمة لعلمائها في هذه الفترة ليبنوا الأساس العلمي للنهضة ، فالواقع يوفر لنا فرصة تاريخية لدورة حضارية جديدة ، ولا بد أن نفهم الواقع وننتهز الفرصة ، فلقد بدأ عصر جديد لم تتضح ملامحه بعد ، لكن من المؤكد أن خريطة العالم الجيوسياسية سوف تتعرض لتغيرات كبرى ، وسوف تتهاوى قوى لتحل محلها قوى أخرى ، وسيتم بناء علاقات دولية جديدة .

لذلك لا بد أن نتعرف على القوى الصاعدة لنبني علاقات قوية معها ، ونحرر أنفسنا من التبعية للقوى التي سيطرت على العالم خلال القرن العشرين .

اقتراب النهاية :

لقد سيطرت أمريكا على العالم في النصف الثاني من القرن العشرين ، وتطلعت الإدارة الأمريكية إلى بناء إمبراطورية عالمية خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ، ولبناء تلك الإمبراطورية استخدمت أمريكا كل قوتها لقهر الشعوب اقتصاديا وثقافيا وسياسيا وعسكريا .

لكن تلك الإمبراطورية تقف الآن على حافة الانهيار ، لكنها قبل أن تنهار

سوف تجذب معها للهاوية اقتصاد العالم القديم ، والفكر الاستعماري الغربي ، والثقافة الاستهلاكية والرأسمالية والنظم التابعة الضعيفة في العالم الثالث .

ولأننا في الوطن العربي ما نزال نعاني من عقدة الانبهار بالغرب ، ونصدق المصادر الأجنبية ، فسوف أنقل لكم بعض الحقائق التي تعترف بها هذه المصادر ، بالرغم من أن تلك الحقائق التي يعترفون بها لا تقدم تصويرا صحيحا للواقع ، فنحن نعرف من الحقائق ما هو أشد هولاً .

على سبيل المثال فإن آلان بوك يرى أن اقتصاد أمريكا ، والاقتصاد العالمي كله ينهار بشكل تدريجي ولكنه مستمر ، ومع ذلك فإن قادة أمريكا لا يريدون التعامل مع هذه الحقيقة حتى أوباما الذي تعرض لخداع مساعديه وظن أن إرسال عدد من الجنود إلى أفغانستان يمكن أن يحل المشكلة ويحقق الاستقرار للولايات المتحدة ، لكنه لم يستمع إلى آراء الخبراء الذين يؤكدون أن التواجد في أفغانستان لفترة طويلة لا تستطيع الموارد الأمريكية أن تتحمله . فهل قرار أوباما بزيادة القوات الأمريكية في أفغانستان ، واستمرار الحرب يمكن أن يكون قرارا صائبا في ظل الأزمة الاقتصادية .

يضيف آلان بوك : إن هذه الأزمة الاقتصادية تفرض على أمريكا أن تقوم بتفكيك قواعدها العسكرية والعودة إلى العزلة .

وهذا هو الحل الوحيد الذي ستجد أمريكا نفسها مضطرة لتنفيذه . ويرى بوك أن هذا هو أفضل نتائج الأزمة الاقتصادية .

في المرحلة الأخيرة :

قبل بداية الأزمة الاقتصادية نشر باسيفتش كتابه « حدود القوة » ، والذي

أكد في نهايته وبعد تحليل تاريخي لأوضاع أمريكا والعالم أن الإمبراطورية الأمريكية قد وصلت إلى المرحلة الأخيرة ، وأن الشعب الأمريكي لم يعد قادرًا على تحمل فكرة بناء الإمبراطورية .

ويلاحظ أن باسفيتش الذي يعمل أستاذًا للتاريخ بجامعة بوستن هو يميني محافظ ، أي أنه يمثل رأيًا معارضًا داخل النخبة الأمريكية الحاكمة ، وهذا ما يعطي لهذا الرأي الذي عبر عنه القوة والإثارة . فاليمين المحافظ هو صاحب المصلحة في بناء الإمبراطورية ، وهو الذي يضغط لكي تظل أمريكا في وضع يسمح لها بالسيطرة على العالم .

يضيف باسفيتش تحليلاً يتميز بعمق ثقافي ، يقوم على أن أمريكا قد قامت على الحرية ، والتركيز على المجتمع الأمريكي وعدم الاهتمام بالشؤون العالمية ، لكنها اندفعت للتوسع العالمي بعد الحرب العالمية الثانية ، بهدف فتح أسواق العالم والسيطرة على موارده .

إمبراطورية الاستهلاك :

أدى ذلك إلى أن تتحول أمريكا من إمبراطورية الإنتاج إلى إمبراطورية الاستهلاك ، كما أدى إلى زيادة رغبتها في وجود جيشها في كل أنحاء العالم للسيطرة على الموارد ، وإخضاع النظم التي تتحكم في هذه الموارد أو ضمان أن تكون هذه النظم صديقة للولايات المتحدة .

ومن الواضح أن باسفيتش يحاول أن يستخدم تعبيرا رقيقا ودبلوماسيا ، بينما نحن نصف ذلك بصراحة بأنه فرض التبعية على نظم الحكم في العالم الثالث ، فأمريكا لم تكن يومًا تريد أصدقاء ، ولكنها تريد نظم حكم تابعة لها .

لم يكن فرض السيطرة بواسطة الجيش يبدو ضروريا لتأمين حصول أمريكا على الموارد ، فالقواعد الأمريكية في الخليج لم يكن لها ضرورة ، حيث إن النظم الخليجية تريد بيع البترول لأمريكا بمجرد أن تطلبه .

وهذا يعني أن وجود القواعد الأمريكية في الخليج لم يساهم في حصول الأمريكيين على بترول رخيص بل إنها ساهمت في زيادة أسعار البترول ، كما أن وجود هذه القواعد يؤدي إلى عدم الاستقرار ، ولا يضمن تدفق البترول للغرب . لذلك فإن ضمان المصالح الأمريكية يعتمد على سحب هذه القواعد .

يضيف آلان بوك رأيا جديدا ومهمًا ، هو أن وجود هذه القواعد الأمريكية في دول العالم قد أضرت بالأمن القومي الأمريكي بدلاً من أن تشكل حماية له ، وكان وجودها من أهم أسباب أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، والفشل في العراق وأفغانستان .

محاكمة المسئولين :

إن الفشل في حماية الأمن القومي الأمريكي يثير تساؤلات جادة حول كفاءة المسئولين عن هذا الأمن ، وقدرتهم على القيام بمسئوليتهم ، فهؤلاء المسئولين يجب محاكمتهم ؛ لأنهم دفعوا الجيش الأمريكي للهزيمة في العراق وأفغانستان ، وأنفقوا الكثير من الأموال التي يحتاجها الاقتصاد الأمريكي ، وألحقوا الضرر بالأمن القومي .

وترتيبًا على ذلك فإن أمريكا لا تحتاج إلى جيش كبير ، ولكنها تحتاج إلى سياسة خارجية معتدلة ، وهذا الاعتدال يفرض على أمريكا أن تتخلى عن أوهام القوة التي سيطرت عليها عقب نهاية الحرب الباردة ، فهذه الأوهام لا

تتناسب مع قدرات الجيش الأمريكي ، كما أنه يجب أن تتخلى الإدراة الأمريكية عن وهم بناء الإمبراطورية الأمريكية العالمية ، والانسحاب من شؤون العالم .

لكن من المؤكد أن الرؤساء الأمريكيين لن يستمعوا لنصائح المفكرين الأمريكيين الذي ينتمي بعضهم للنخبة الحاكمة ، وسوف يستمرون لسنوات قليلة في الحفاظ على تلك القواعد العسكرية ، بالإضافة إلى استمرار الحرب في أفغانستان حتى ينهار الاقتصاد الأمريكي وينهار معه الأمن القومي الأمريكي .

مع ذلك فإن الأزمة الاقتصادية العالمية سوف تفرض على أمريكا أن تفكك قواعدها وتسحب جيوشها وتعود لعزلتها وتتخلى عن النظم التابعة لها ، فالاقتصاد الأمريكي لم يعد قادرًا على تحمل نفقات كل هذه القواعد والحروب .

أما النظم التابعة فستجد أنها خسرت شعوبها من أجل إرضاء الغرور الأمريكي ، ولم تستطع أمريكا حمايتها ، ولذلك ستنهار هذه النظم ، ليفتح هذا الانهيار طريق التحرر أمام الشعوب التي عانت الفقر والقهر طويلاً ، ولم تعد قادرة على أن تتحمل المزيد .

والأمة الإسلامية لا بد أن تستعد لعصر جديد فهي تمتلك الكثير من الموارد والثروات المادية والبشرية ، فإذا أحسنت استثمار هذه الموارد والثروات فإن قوتها ستزداد ، ونهضتها ستتحقق ، ويمكن أن تبني اقتصادا عالميا جديدا أكثر عدلاً ، وهو ما يمكن أن يجذب الكثير من الشعوب . إنها فرصتنا التاريخية ويجب أن لا نضيعها .

* * *

- ٢٢ -

نظرية جديدة تؤكد أن أمريكا في طريقها للانهيار !

أعترف أنني أتعامل بحذر شديد مع الدراسات المستقبلية ومع كل الكتابات التي تقدم توقعات للمستقبل مهما كانت مبنية على أسس علمية ، ومهما كانت المكانة العلمية لكُتابها .

وموقفي هذا ينبع من إيماني بأنه لا يعلم الغيب إلا الله ، بيدَ أنني سأحاول أن أقدم لكم قراءة لنظرية العالِم الروسي إيجور بانارين ، وهو أستاذ العلوم السياسية بالأكاديمية الدبلوماسية التابعة لوزارة الخارجية الروسية ، وسأحاول أن أتعامل مع هذه النظرية بقدر كبير من الحيادية .

هذا العالِم أصدر كتابا خلال الشهر الماضى ، واحتفالا بظهور هذا الكتاب عقد مؤتمرا صحفيا ، وأعلن للصحفيين ملخصا لنظريته .

رئيس الأمل .. ولكن :

مِن أهم ما جاء في هذا المؤتمر الصحفي أن إيجور بانارين يرى أن أوباما هو رئيس الأمل ، ولكنه جاء في عام بلا أمل ، فهو مثل جورباتشوف ، يتكلم كثيرا ، ويتحدث بشكل لطيف ، وهو بالفعل رجل لطيف ، لكنه ليس قائدا ، لذلك فإنه سيدفع أمريكا نحو الانهيار . وعندما يفهم الأمريكيون ذلك ، فإن القنبلة ستنفجر .

لكن انهيار أمريكا لا يرتبط بأوباما ، حيث بدأ بانارين يكتب متوقعا

حدوث هذا الانهيار منذ عام ١٩٩٨ ، وهو يرى أن أمريكا سوف تتفكك ، وأن الدولار سوف ينهار .

ويسوق بانارين الأدلة ليبرهن على صحة توقعاته ، ومن أهمها فوز الحزب الديمقراطي في الانتخابات اليابانية ، حيث إن هذا الحزب يخطط لتحويل الاحتياطات النقدية اليابانية من الدولار إلى عملة أخرى ، وهذا سيؤدي إلى تزايد أزمة الدولار وسيشجع دولا أخرى مثل الصين على البحث عن بديل للدولار كأساس للاحتياطيات النقدية .

ويتوقع بانارين أن الولايات المتحدة سوف تتفكك إلى ستة أجزاء هى الساحل الباسيفكي الذي يضم عددا كبيرا من السكان من أصول صينية ، والجنوب الذي يضم السكان الهسبانك ، وتكساس التي تتزايد فيها الحركات المطالبة بالاستقلال ، والساحل الأطلنطى ، بالإضافة إلى عدد من الولايات الفقيرة في الوسط ، وعدد من الولايات الشمالية التي يغلب عليها التأثير الكندي ، وسيكون وضع الولايات المتحدة مشابها لوضعها في عام ١٨٦٥ عندما نشبت الحرب الأهلية . أى أن أمريكا لن تكون موحدة كما نعرفها الآن .

يضيف بانارين : إن النخبة السياسية تتحمل مسئولية انهيار أمريكا حيث تبنت سياسة عدوانية تقوم على خلق الصراعات حول العالم ، ويشير إلى زيادة مبيعات الأسلحة داخل الولايات المتحدة نفسها ، وهذا يعني أن سكان الولايات المتحدة يتوقعون الانهيار ، وأنهم يحاولون امتلاك هذه الأسلحة لاستخدامها في الحرب الأهلية .

ويرى بانارين أن يونيو ٢٠١٠ سوف يشهد بداية الانهيار ، وأن احتمال هذا الانهيار في هذا التاريخ يزيد على ٥٠٪ .

على محمل الجد :

ولأننى لم أستطع الحصول على الكتاب الذي يتضمن هذه النظرية فلقد حاولتُ أن أعرف ردود أفعال الأمريكيين على ما يقوله بانارين .

وعلى سبيل المثال يقول أندرو اسبورن الصحفي بجريدة وول ستريت جورنال : إن بانارين يقدم تنبؤاته بانهيار أمريكا منذ عام ١٩٩٨ ، لكنه لم يجد من يستمع له . أما الآن فإن الأزمة الاقتصادية تجعلنا نأخذ كلامه على محمل الجد ، خاصة وأن جمهورا كبيرا أصبح متلهفا على الاستماع له . وإن الاهتمام به قد أصبح متزايدا .

وقد عرض أندروا اسبورن بعضَ المعلومات عن بانارين توضح أنه يحتل مكانة علمية رفيعة تجعل من الضرورى الاهتمام به ، فهو يعتبر عميد علماء السياسة الروسيين ، وكان يعتبر المحلل الرسمي للمخابرات السوفيتية ، وهو خبير في العلاقات الروسية الأمريكية ، ويستمع الكرملين بانتظام لآرائه وتحليلاته . وهو يُحَمِّلُ الولاياتِ المتحدةَ المسئوليةَ عن عدم الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط وعن الأزمة الاقتصادية .

اما وكالة أنباء الأسوشيتدبرس فقد نقلت عن بانارين توقعاته بأن يقوم أوباما بإعلان حالة طوارئ ، وأن أمريكا سيتم تقسيمها إلى ستة أجزاء ، وأن روسيا والصين سوف يشكلان العمود الفقري للنظام العالمي الجديد .

لكنها اتهمت بنارين بالعداء لأمريكا وأنه يردد ما يود الكرملين سماعه ،

ولذلك فقد فتحت له روسيا قنوات التليفزيون ليقدم فيها تحليلاته .

وبالرغم من هجوم الأسوشيتدبرس عليه بيدَ أنها أشارت إلى أنه من الصعب أن يتم تجاهله .

أشارت الأسوشيتدبرس إلى أن توقعات بانارين تتفق مع تصريحات بوتين رئيس وزراء روسيا ، والذي دأب على تحميل روسيا المسئولية عن الأزمة الاقتصادية التي أثرت على الاقتصاد الروسي ، ويشبه الولايات المتحدة بألمانيا النازية .

بالرغم من هجوم الأسوشيتدبرس على بانارين واتهامه بالعداء لأمريكا وارتباطه بالسياسة الروسية بيدَ أن توقعاته لقيت رواجًا ، وأعطت لها الأزمة الاقتصادية قدرًا كبيرا من المصداقية .

لذلك بدأت توقعاته تثير مخاوف الناس على مدخراتهم حيث نقلت وسائل الإعلام عن بانارين قوله : إن الدولار لم يعد آمنا ، وإن ديون أمريكا الخارجية قد بلغت ١١ تريليون دولار ، وهذا سيؤدى إلى الانهيار .

الاقتصاد الأمريكي ينهار بالفعل :

جريدة إزفستيا السوفيتية وجهت سؤالا لبانارين : متى سينهار الاقتصاد الأمريكي ؟ فأجاب : إنه ينهار بالفعل ، والدليل على ذلك أن ثلاثة من كل أكبر خمسة بنوك في وول ستريت قد توقفت ، وأن خسائر هذه البنوك كانت أكبر معدل للخسائر طوال التاريخ . وهذا يشكل تغييرا في النظام المالي العالمي ، وأن أمريكا لم تعد المنظم المالي العالمي . وأن الصين وروسيا سيحلان محل أمريكا وتقومان بدور المنظم للاقتصاد العالمي .

لكن ما العلاقة بين توقعات بانارين وزيارة أوباما للصين ؟ والتي حاول خلالها أن يقنع الصين برفع سعر عملتها في محاولة لإنعاش الاقتصاد الأمريكي ودعم الدولار .

بالرغم من محاولة تصوير توقعات بانارين بأنها تنطلق من العداء لأمريكا بيدَ أن هذه التوقعات قد بدأت تؤثر على تشكيل سياسات أمريكا التي تحاول البحث عن وسائل لتقليل تزايد قوة الصين في مواجهة تناقص قوة أمريكا وانهيار اقتصادها .

. ما يؤكد صحة ذلك التحليل أن دور بول عضو الكونجرس الأمريكي حذَّر من انهيار الدولار وعقب هذا التحذير مباشرة ألقى باراك أوباما بيانا أكد فيه أن الدولار ما زال قويا .

لكن بيان أوباما لم يُفلح في تهدئة المخاوف فقد كان هناك تأكيد من أطراف متعددة أن الدولار ليس قويا ، وأن بنك الاحتياطى الفيدرالي يقوم بطبع أوراق الدولارات دون قيمة حقيقية .

وانتهزت الصين الفرصة ، فالرئيس الصيني تساءل في اجتماع قمة الثمانية عن الدور المسيطر للدولار كعملة للاحتياطي العالمي .

مجرد طرح التساؤل من جانب الرئيس الصيني أثار القلق بين القادة الغربيين بما فيهم باراك أوباما .

كما ارتبط ذلك القلق بتصريحات مستشار الرئيس الصيني بضرورة تنويع العملات في نظام الاحتياطي العالمي .

هذا يعني أن توقعات بانارين ليست ضربا من الخيال ، ولكنها مبنية على حقائق وتكشف عن نوايا حقيقية للصين وروسيا للبحث عن بديل للدولار ، وهو ما سيؤدي إلى زيادة أزمة أمريكا الاقتصادية ، وزيادة أزمة الدولار .

انهيار شامل للدولار :

الأمر لم يقتصر على تنبؤات بانارين ، لكن التوقعات بانهيار الدولار تزايدت ، وجاءت من اقتصاديين غربيين يتمتعون بمكانة مهمة مثل وليم بويتر أحد أعضاء لجنة السياسات المالية ببنك إنجلترا الذي تنبأ بانهيار شامل للدولار خلال العامين القادمين ، وأكد أن زيادة نفقات الحكومة في عهد الرئيس أوباما سيكون كارثة .

كما توقع أن يتحول المستثمرون عن الدولار إلى عملة أخرى أكثر أمانا ؛ لأن العامين القادمين سيشهدان انهيارا لأصول الدولار ، ومن بينها أصول الحكومة الأمريكية .

أضاف بويتر الذي يشغل الآن منصب أستاذ الاقتصاد بمدرسة لندن الاقتصادية التابعة للمعهد الأوروبي : إن إساءة استخدام القوة في عهد إدارة بوش وخلق صراعات عالمية أدى إلى إضعاف أمريكا ماليا وماديا وسياسيا وأخلاقيا . وعلى أمريكا أن تعترف أن نظامها الاقتصادي قد فشل ، وأن استمرار أمريكا في مخططاتها العسكرية على المستوى العالمي سيؤدي إلى انهيار الدولار .

تخلصوا من الدولار :

لكنْ هل كان لهذه التوقعات تأثيرٌ على المستثمرين ؟! هناك مستثمر اسمه

جيم روجرز حثَّ الناسَ على التخلص من الدولار ، وقال : إنه سيحاول التخلص من كل الدولارات التي يمتلكها قبل الصيف القادم .

وفي مقابلة تليفزيونية قال روجرز : إذا كان لديك دولارات فأنصحك أن تسرع بالتخلص منها .

هكذا فإن الأمر يفوق توقعات بانارين ، ويجعل لهذه التوقعات مصداقية وأهمية علمية . لكن الأخطر من ذلك هو أن أمريكا هى مركز الاقتصاد العالمي ، وهناك الكثير من الدول التابعة التي يعتمد اقتصادها بشكل كبير على الاقتصاد الأمريكي ، وهذه الدول من المؤكد أنها ستنهار اقتصاديا وسياسيا عند ظهور أية بوادر لانهيار الاقتصاد الأمريكي .

يضاف إلى ذلك أن أمريكا قد عملت لسنوات طويلة على ربط اقتصاديات الكثير من الدول باقتصادها ، وفرض التبعية عليها . وهذا معناه أن أمريكا ستدمر العالم قبل أن تدمر نفسها .

ولكنْ ما الذي جعل ذلك العالِم السوفيتي الكبير يتوقع انهيار أمريكا وبهذا الشكل المشابه لانهيار الاتحاد السوفيتي ؟! هل جاءت هذه التوقعات بالفعل كما تقول الأسوشيتدبرس نتيجة العداء لأمريكا وتنفيذ سياسة الكرملين وبوتين ؟ قدْ يكون الدافع هو العداء لأمريكا ، فالروس لا يمكن أن ينسوا عداءهم لأمريكا ، ومن حقهم أن يعبروا عن مشاعر الشماته بها ، ويفرحوا بمؤشرات انهيارها .

لكن الأمر أكبر من ذلك ، فعالِم مثل عميد علماء السياسة الروس لا يمكن أن يستسلم لمشاعر الشماتة ، ولكن هناك خبرة تاريخية مع انهيار

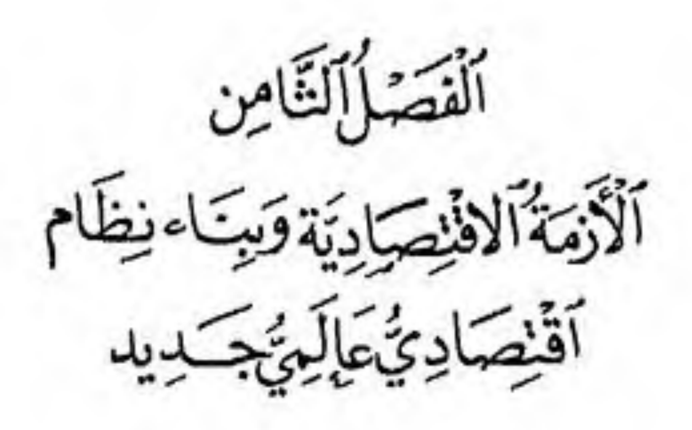
الإمبراطوريات ، وربما تكون معرفته بالعوامل التي أدت إلى انهيار الإمبراطورية الروسية قد جعلته يرى بوضوح تلك العوامل التي تنخر في عظام الإمبراطورية الأمريكية التي تكرر تجربة الإمبراطورية السوفيتية ، ربما بشكل يختلف قليلا . وربما يكون هناك عامل أساسى رآه بانارين ، وهو أن كلا الإمبراطوريتين قد أنفقتا أموال الشعب على حرب خاسرة في جبال أفغانستان وأن الله قد أراد أن يكون انهيار أكبر إمبراطوريتين في التاريخ على يد أفقر عباد الله وأضعفهم وأقلهم سلاحا وعتادا ومالا وهم الأفغان .

بانارين لم يصرح بذلك ، لكن ربما تكون خبرته التاريخية بتأثير هذا العامل هي التي أعطته القوة بأن يصرح أن أمريكا في طريقها للانهيار .

ربما يختلف الكثيرون مع السرعة التي يتوقع بها بانارين أن يحدث الانهيار ، فربما يمتد عمر تلك الإمبراطورية سنوات أخرى ، وربما تستمر دول العالم في كنز الدولارات لسنوات قادمة . لكن من الحكمة أن تفكر الدول العربية في مستقبلها ، وأن تكافح للتحرر من التبعية والبحث عن استثمارات آمنة داخل الوطن العربي .

أعرف أن معظم الساسة العرب لا يريدون أن يصدقوا التوقعات بانهيار الاقتصاد الأمريكي وربما يجدون أنفسهم فجأة أمام واقع جديد ، ولكن بعد أن ينهار اقتصاد دولهم أيضا .

* * *


الفصل الثامن
الأزمة الاقتصادية وبناء نظام
اقتصادي عالمي جديد

- ٢٣ -

الأزمة الاقتصادية فرصة تاريخية لإقامة نظام اقتصادي إسلامي عالمي

استبداد حُكامنا أفقدنا الطموح والقدرة على إنتاج أفكار جديدة والتفكير في تحويل الأزمات إلى انتصارات ، وفي استغلال الفرص التي تتيحها الأحداث العالمية .

والأزمة الاقتصادية الحالية تقدم الدليل على صحة تلك النتيجة ، ذلك أن حكامنا حاولوا أن يخفوا الخسائر التي تعرضت لها الدول العربية ، ومحاولة تعويض تلك الخسائر على حساب الشعوب عن طريق زيادة الضرائب وتقليل الإنفاق على التعليم والرعاية الصحية والخدمات العامة ، والمشروعات التي تحقق التقدم .

لكن لم يفكر أحد من هؤلاء الحكام في دعوة العلماء والمفكرين والباحثين للتفكير في استغلال هذه الأزمة لتحقيق مصالح الأمة .

ويبدو أن التبعية للغرب قد شلت قدرات النخبة في بلادنا على التفكير ، فالجميع يفكرون في إطار الأيديولوجية الرأسمالية التي صنعت الأزمة ، ولا يمكن أبدا أن نتوصل إلى حلول لأزمة من خلال الفلسفة التي صنعتها .

الأيديولوجية الرأسمالية كان لا بد أن تصل بالبشرية إلى تلك النتيجة ، وإن استمر العالم في التفكير اعتمادا على تلك الأيديولوجية فسوف ينهار .

إفلاس الفكر المادي :

الأزمة - أيها السادة - أخطر بكثير مما تتصورون ، والعالم يندفع نحو الانهيار ، وإدراك حقيقة الأزمة هو ما دفع بابا الفاتيكان بيندكت الخامس إلى الدعوة إلى إعادة تفكير راديكالي في الاقتصاد العالمي .

وهذه الأزمة تعني أن الفكر المادي الذي قامت عليه الحضارة الغربية قد أفلس ، وأوصل الإنسان المعاصر إلى حالة تعاسة وبؤس وإحباط .

واليونان قد وصلت إلى حافة الإفلاس ، وسُلطتها تناشد أوروبا وأمريكا عدم التخلي عنها فهي أساس الحضارة الغربية .

وإفلاس اليونان حالة شاهدة ودليل قاطع على أن الفكر المادي الغربي المنفصل عن الدين والضمير والأخلاق ، والذي يجعل هدف الحياة هو الحصول على أكبر قدر من الأرباح قد جلب الخراب والدمار على البشرية .

كما تشير حالة اليونان إلى أن ذلك الاقتصاد الخدمي الترفيهي ، أو بمعنى آخر اقتصاد السياحة هو اقتصاد ضعيف قابل للانهيار في أية لحظة ، ويمكن أن يدمر كل قدرات الدولة على تحقيق التنمية .

لقد حققت اليونان ازدهارا اقتصاديا خلال العقود الأربعة الماضية ، فقد كانت المنتجع السياحي المفضل لأثرياء العالم ... وهذا ما أراده لها الغرب ، باعتبار أن تلك الدولة هي أساس الحضارة الغربية ، ولذلك لا بد أن يتمتع أهلها بالثراء دون تعب وجهد . وقد أدت تلك الصيغة إلى انتشار الفساد المادي والأخلاقي بكل أشكاله في اليونان .

والمشكلة أن الكثير من دول العالم تطلعت إلى تقليد حالة اليونان ، ومن بينها دول عربية فأرادت أن يكون اقتصادها قائمًا على السياحة ، ولم تدرك أن ذلك يأتي على حساب الإنتاج الحقيقي ، وهذه الدول تعاني في صمت ، وحُكامها يجيدون إخفاء الحقائق لأنهم يقيدون حرية الصحافة الإعلام ، لكنهم لن يتمكنوا من التعتيم طويلاً على انهيار قادم بلا ريب .

واقتصاد السياحة هو اقتصاد خدامين وعبيد ، والدولة التي تتبنى هذا النوع من الاقتصاد تحول مواطنيها إلى عبيد لا يجيدون العمل في المجالات الإنتاجية ، ولا يتطلعون لتحقيق النهضة والتقدم .

اقتصاد الفساد :

المشكلة الأخطر أن اقتصاد السياحة يرتبط باقتصاد الفساد ، حيث تتزايد الفهلوة والشطارة والانتهازية والكذب ، ويقل الالتزام بالدين والأخلاق ، وتنتشر الدعارة والتجارة في أعضاء البشر .

وهذه السمة أصبحت تشكل الاقتصاد العالمي كله ، فالذين يعملون وينتجون ويتعبون أصبحوا يوصفون بالغباء والتخلف وعدم معرفة متطلبات العصر .

كما ساهمت ثورة الاتصال والمعلومات في زيادة سيطرة اقتصاد الفساد ، وأصبح الأثرياء هم الذين يتاجرون في المعلومات والأسهم والسندات والعملات والبنوك والصفقات ، لقد أصبحوا هم النجوم الذين يركبون السيارات الفارهة ويسكنون القصور ، وتحيط بهم الجميلات ويمولون الحملات الانتخابية ، ويصلون إلى مراكز صنع القرار فيشكلون السياسات

ويصنعون القوانين ويرسمون الاستراتيجيات .

هكذا حدث الزواج بين السلطات واقتصاد الفساد ، فسيطرت الفهلوة والجهل على السياسة . وانسحب العلماء والفضلاء من السياسة كما انسحب المنتجون من الاقتصاد ، ففسدت الحياة وازداد عدد الفقراء الذين يتزايد إحباطهم وهم يشاهدون نجوم الفساد يحصلون على المال دون تعب ، وينفقونه ببذخ ، بينما تحميهم أجهزة الأمن .

وهؤلاء الفاسدون هم الذين صنعوا الأزمة الاقتصادية ، وأكملت السلطات الدور فقامت بمعالجة رديئة لهذه الأزمة .

وعلى سبيل المثال قامت الإدارة الأمريكية بضخ المليارات من أموال دافعي الضرائب لإنقاذ البنوك والشركات التي توشك على الانهيار ، تمامًا كما تحاول دول الغرب أن تنقذ اليونان .

لكن تلك الوسائل لن تجدي ، وسوف تزيد الأزمة حدة ، والسنوات القادمة سوف تشهد المزيد من انهيار البنوك والشركات والدول .

نحن في بداية الأزمة ، والقادم بالتأكيد هو الأسوأ ، فكل يوم تظهر حقائق جديدة تؤكد أن الرأسمالية تدفع العالم إلى الانهيار قبل أن تنهار .

وبانهيار الرأسمالية سوف تنهار الحضارة الغربية بكل ما أنتجته من فكر مادي وفساد أخلاقي وانفصال بين الحياة والضمير .

اقتصاد الحضارة :

ولكن بالرغم من أن وطننا العربي سوف يعاني نتيجة تلك الأزمة

الاقتصادية ، بيدَ أنها سوف تقدم لنا فرصة تاريخية للتغيير ، وللقيام بوظيفة حضارية لإنقاذ البشرية .

إن الإنسانية تحتاج إلى فلسفة اقتصادية بديلة ، فالرأسمالية هي سبب الخراب والانحطاط الحضاري والأخلاقي ، ولا يمكن أن يكون البديل هو الاشتراكية كما يتصور هوجو شافيز مع تقديري واحترامي لتجربته وكفاحه ، فالاشتراكية قد انهارت ، وكانت سبب خراب الاتحاد السوفيتي وتفككه .

وقد اكتشفنا بعد ذلك الانهيار كيف استخدمت الاشتراكية لنشر الفساد والديكتاتورية والقهر والظلم وتدمير نفسية الإنسان وممتلكاته وتبوير الأرض وتبديد الأموال .

لذلك فليس أمام الإنسانية سوى الإسلام فهو وحده الذي يستطيع أن ينقذها ويقيم لها نظاما اقتصاديا يحقق لها العدالة .

الرأسمالية أقامت اقتصاد الفساد والعبيد ، والإسلام وحده يمكن أن يقيم اقتصاد الحضارة وإعمار الأرض .

الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يقيم اقتصادا يقوم على كفالة حقوق كل مواطن ، وإتاحة الفرصة له ليكسب حلالاً ، ويعبد الله ويعمر الأرض ويحمي دينه ونفسه وعرضه .

الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يقيم اقتصادا أخلاقيا تحميه دولة عادلة تكفل حقوق الإنسان ، وتوظف طاقاته وتستثمرها لإعمار الأرض .

الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يجمع الثروة الثقافية والحضارية مع

الثروة المادية ، فيجعل تلك الثروة المادية تخدم الحضارة والثقافة .

والإسلام ثروة حضارية وثقافية عظيمة ، وهو الذي يمكن أن يشكل نفسية الإنسان الأخلاقي المنتج الذي يعمر الأرض ويتخذ القرارات طبقًا لضميره ومبادئه ، وليس طبقًا لمصلحته المادية ، وبذلك فإن الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يحمي الاقتصاد من الفساد ، ويحول ثروة الأمة المادية إلى وسيلة لإسعاد الإنسان وتحقيق مصالح الأمة ، ووسيلة لإعمار الأرض وبناء الحضارة ، وحماية الإنسانية من الاستبداد وتحقيق العدالة الشاملة .

الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يبني نظاما اقتصاديا عالميا جديدا يقوم على العدل والأخلاق وبناء الحضارة وإعمار الأرض وإسعاد الإنسان وحماية حقوقه وحريته ... كيف ؟ هذا هو التحدي الذي فرضته الأزمة الاقتصادية على المسلمين ، فهل يمكن أن تتبنى عاصمة عربية الدعوة لعقد مؤتمر عالمي لمناقشة : كيف يمكن أن نقيم اقتصادا إسلاميا عالميا ؟!

إنها فرصتنا التاريخية فهل يمكن أن نتقدم لإنقاذ العالم ... إنها وظيفتنا الحضارية ودورنا الإنساني وأساس نهضتنا القادمة . ويجب أن نقبل التحدي فنحن له أهل .

* * *

- ٢٤ -

الأزمة الاقتصادية العالمية والتحرر من التبعية

أوضحت الأزمة الاقتصادية العالمية مدى خطورة تبعية دول العالم الثالث لأمريكا ، والسيطرة الأمريكية على الاقتصاد العالمي .

كما أوضحت أن الرأسمالية العالمية قد طغت وتجبرت ونهبت ثروات الشعوب ، وأنها ليست الأيديولوجية التي يمكن أن يقوم عليها اقتصاد يستهدف تحقيق سعادة الإنسان ورفاهيته . إنها أيديولوجية الظلم والنهب والاستغلال ، ولذلك فإنها لا يمكن أن تستمر .

إن أكبر جريمة تاريخية هي أن أمريكا قد استغلت قوتها منذ بداية التسعينيات لفرض الأيديولوجية الرأسمالية ، وعولمة الاقتصاد العالمي بهدف السيطرة عليه .

لقد أصبح الاقتصاد العالمي لا يقوم على تطوير المجالات الحقيقية للإنتاج ، وتوظيف الثروات المادية والبشرية لبناء الحضارة الإنسانية وتعمير الأرض وإسعاد الإنسان ... لذلك أوضحت الأزمة أن الرأسمالية أيديولوجية غير إنسانية .

أزمات مستقبلية :

إن فهم طبيعة الأيديولوجية الرأسمالية هي البداية الحقيقية لمواجهة الأزمة وإصلاح الاقتصاد العالمي ، أما مواجهتها بسياسات ضخ النقود والحلول

المؤقتة فسوف يجلب المزيد من الأزمات في المستقبل ، وستؤدي إلى انهيار الاقتصاد العالمي والحضارة الإنسانية كلها ، ذلك أن الكثير من شعوب العالم سوف تعاني الفقر المدقع الذي يصل بها إلى حد الموت . ولكي نتجنب هذا المصير الأسود لا بد أن نبحث عن الوسائل التي نحرر بها اقتصادنا من السيطرة الأمريكية والأيديولوجية الرأسمالية والعولمة ، ونتجه إلى التنمية القائمة على الاكتفاء الذاتي .

إن الأزمة الاقتصادية الحالية هي بداية سلسلة من الأزمات التي سيشهدها المستقبل القريب ، ومن المؤكد أن هذه الأزمات سوف تؤدي إلى انهيار اقتصادي للكثير من الدول خاصة تلك التي ربطت اقتصادها بالرأسمالية وارتضت التبعية لأمريكا .

فهذه التبعية أدت إلى انتشار الأزمة التي بدأت في أمريكا لتؤثر على كل اقتصاديات الدول ، كما اتضح أن معظم دول العالم تعاني من التبعية الاقتصادية لأمريكا حتى دول أوروبا والصين والهند واليابان .

لذلك وجهت الكثير من الدول اللوم لأمريكا ، حيث إن انهيار البنوك الأمريكية خلق حالة رعب في كل أنحاء العالم .

الاسم الحقيقي :

في بداية التسعينات انتشر مصطلح العولمة ليشكل بداية فترة تغيير كبرى في حياة البشرية ، ومعظم دول العالم اتجهت لربط اقتصادها بالاقتصاد الأمريكي وبررت ذلك بالحاجة للاستفادة من فوائد العولمة .

لكن الأزمة الاقتصادية أوضحت أن هذه العولمة هي الاسم الذي اخترعته

أمريكا للتبعية ، وأنها كانت عملية قهر للشعوب لتحويل اقتصادها إلى اقتصاد تابع يسير طبقًا لآليات الاقتصاد الأمريكي وتتحكم فيه البنوك الأمريكية .

هذه التبعية تتضح كلما تطورت الأزمة الاقتصادية ، وما يضيف إلى تلك الأزمة أبعادًا جديدة أن أمريكا - كما يقول آلان بوك - ليست مؤهلة لإدارة إمبراطورية مالية عالمية ، فالسياسات التي اتخذتها الحكومة الأمريكية والتصريحات التي أدلى بها المسئولون الأمريكيون أدت إلى زيادة حدة الأزمة وانتشارها عبر أنحاء العالم .

وهذا يدل على أن فهم المسئولين الأمريكيين للاقتصاد كان محدودا ، فالأزمة لم تنتشر عالميا حتى خرج وزير المالية الأمريكي ليصرح لمحطات التليفزيون أن السماء تقع ، وأن الحل الوحيد للإنقاذ هو إعطاء البنوك المزيد من الأموال ، وهو ما أدى إلى زيادة الشكوك حول صحة الاقتصاد الأمريكي وخطورة الأزمة المالية ، كما خلق حالة الرعب السيكولوجي التي اجتاحت العالم .

وهكذا أوضحت الأزمة أن الإدارة الأمريكية بكل مستوياتها افتقدت الحكمة والنضج والقدرة على إصدار أحكام صحيحة ، وهذا يعني أنها غير مؤهلة وغير قادرة على أن تكون إمبراطورية عالمية ، وأنها يجب أن تتخلى عن طموحاتها العالمية ماليا وعسكريا .

ما بعد الإمبراطورية :

يقول أستاذ الاقتصاد الدولي لي أوهانيان : إن تخبط الإدارة الأمريكية والرعب الذي أصابها ، وإصدارها لقرارٍ كل يوم سيؤدي إلى المزيد من السياسات الفاشلة ، وهذا سيخلق المزيد من الرعب الذي سيجتاح العالم

فكلما تعلن الحكومة الأمريكية قرارا جديدا يتزايد انهيار سوق الأسهم في اليوم التالي .

يضيف أوهانيان : إنه بدلاً من أن تقوم الإدارة الأمريكية بضخ المزيد من الأموال وتشجيع الأمريكيين على الاقتراض للمحافظة على مستوى الحياة الذي تعودوا عليه ، والذي يفوق قدراتهم المادية ، كان على الحكومة أن تتبنى سياسات تشجع الأمريكيين على الادخار ، وهو المصدر الوحيد لنمو الاقتصاد في المستقبل .

كما أن الولايات المتحدة لا بد أن تتخلى عن أخلاقيات الاستهلاك التي تشجع على المزيد من الإنفاق .

لكن هل يستطيع الاقتصاد الأمريكي أن يتخلى عن طابع الاستهلاك ؟ لقد تم الربط بين الرأسمالية والاستهلاكية بحيث لم يعد من الممكن الفصل بينهما .

كما أن الحكومة الأمريكية يجب أن تدرك أن الأزمة قد قللت ثقة المستثمرين الأجانب وزادت شكوكهم حول أمان أموالهم في البنوك الأمريكية .

لذلك فإن الاقتصاد الأمريكي يحتاج إلى عملية إصلاح داخلي ، وأن يتم تبني سياسات جديدة تعتمد على الموارد الداخلية ، وأن تتخلى أمريكا عن طموحاتها العالمية ، وعن فكرة بناء الإمبراطورية الأمريكية .

كما أن العالم كله يجب أن يستعد لفترة ما بعد الإمبراطورية الأمريكية ، وهي فترة لا بد أن تفكر فيها كل دولة بمنطق الاستقلال الاقتصادي

والاكتفاء الذاتي واستغلال ثرواتها المادية والبشرية لتحقيق التحرر الاقتصادي من السيطرة الأمريكية .

يقول آلان بوك : إن أهم مقتضيات الإصلاح الحقيقي في الولايات المتحدة الأمريكية أن تعيد أمريكا تقييم سياساتها وأن تتوقف عن التدخل في شؤون بقية العالم سياسيا وعسكريا ، فالمحافظة على قواعد عسكرية في أكثر من مائة دولة لا يشكل فقط الكثير من التكاليف الباهظة ، ولكنه أيضًا يخلق المزيد من العداء لأمريكا ، والشك في نواياها .

وهكذا فإن الأزمة الاقتصادية العالمية تحمل الكثير من الأخطار فهي تهدد بانهيار الاقتصاد الأمريكي واقتصاديات الكثير من دول العالم ، وسوف تزيد الفقر والبؤس والبطالة .

لكن هذه الأزمة يمكن أن تشكل نهاية الإمبراطورية الأمريكية ، التي ستضطر إلى الانسحاب من الشؤون العالمية ، والتخلي عن طموحاتها في السيطرة على الشعوب .

وبذلك فإن هذه الأزمة يمكن أن تفتح المجال أمام الشعوب المستضعفة في العالم الثالث ، ومن بينها الشعوب العربية للتحرر من التبعية الاقتصادية والسياسية والثقافية لأمريكا ، ويمكن أن تعيد بناء اقتصادياتها على أسس الاستقلال والاكتفاء الذاتي والإنتاج الحقيقي واستغلال ثروات الأوطان لمصلحة الشعوب بدلاً من تخزين الأموال في البنوك الأمريكية .

كيف يمكن أن نحول الأزمة الاقتصادية العالمية إلى بداية للكفاح من أجل تحقيق الاستقلال الشامل والتحرر من التبعية والبحث عن أفكار جديدة

لتطوير الاقتصاد . هذا هو التحدي الذي يجب أن نواجهه بجرأة وشجاعة وثقة في الذات وأمل في المستقبل . إننا أمام بداية تشكيل عالم جديد ... فأين سيكون مكاننا فيه ؟

* * *

- ٢٥ -

كيف نحرر الإنسانية من العبودية للرأسمالية ؟!

غياب الأخلاقيات أهم العوامل التي شكلت الأزمة الاقتصادية العالمية ، حيث اندفعت الرأسمالية تستغل الناس ، وتثير غرائزهم ، وتحولهم إلى عبيد يعملون ويصنعون ويتسوقون ويخرسون . نموذج الحياة الذي صنعته الرأسمالية يقوم على نفي الأخلاق . فالإنسان الذي يتطلع دائما للامتلاك ، ويسعى من أجل كنز المال ، ويتلهف للحصول على أكبر قدر من المتعة ينسى نفسه ويتجاهل المعاني الجميلة للحياة . لقد أرادت الرأسمالية أن ينسى الإنسان تميزه عن الحيوان ليرتضي العبودية الحديثة ، وليعوض نقصه النفسي بامتلاك منزل وسيارة وعدد من الأجهزة الكهربائية وتناول العشاء مع امرأة جملية في مطعم فاخر .

وصيغة الرق الحديثة لا تختلف كثيرا عن تلك التي عرفتها البشرية في سالف الزمان ، والتي تدعي أمريكا أنها قضت عليها ، وأنها حررت العبيد .

فصيغة الرق القديمة كانت تقوم على القهر ، بمعنى أن السيد يدفع عبده للقيام بأعمال شاقة قهرًا وباستخدام السياط والتخويف .

أما صيغة الرق الحديثة فإنها تقوم على الرضا وعدم الوعي ، فالإنسان أصبح يرتضي ذلك النوع من الرق ، والرأسمالية التي أصبحت هي السيد الجديد ، تترك لذلك العبد الفرصة الكاملة لكي يتمتع ويغرق في الملذات ، ويسعى بشكل دائم للحصول على المتعة وجمع المال وامتلاك السلع الترفيهية .

مع ذلك فإن حالة الرق قديما كانت تثير في العبد الشوق للحرية التي تصبح منتهى أمله ، وأهم غاية يسعى لها ويبذل نفسه من أجلها . أما حالة الرق الحديثة فإن العبد يستمتع بها دون وعي ، فهو لا يدرك أنه مجرد عبد ، وأنه لم يعد حرًّا ، وأنه يقوم بكل ما كان يقوم به العبد قديما ، لكن دون أن يتمرد على سيده أو يثور على عبوديته ، أو يكافح لاسترداد حريته .

الكل عبيد :

في الدول الضعيفة الفقيرة في الجنوب يتصور الناس أن الشمال هو أرض الأحلام والسعادة والمتعة ، وكل إنسان يتمنى في قرارة نفسه أن يشد الرحال إلى أوروبا أو أمريكا ويهرب من التخلف والفقر حيث يمكن أن يجد عملاً في أحد المصانع يدرٌّ عليه دخلاً بالدولار ، وهذا الدخل قياسا بعملة بلده التي لا تساوي شيئا يعني بالنسبة له الرفاهية والعز وحل كل المشكلات .

لكن ليس مَنْ رأى كمَنْ سَمِع ، وربما تكون تلك الأفكار ناتجة عن غياب الوعي وقلة الخبرة وعدم المعرفة والتعرض الدائم للدعاية الغربية ، والاستهلاك الزائد للمواد الغربية المسلية مثل الأفلام والمسلسلات .

الحقيقة التي قد لا يدركها إلا كل من عاش في الغرب ، وامتلك البصيرة ليرى واقع الحياة هي أن الغربيين عبيد يتمتعون ، بينما الناس في الجنوب عبيد محرومون ويتطلعون للحصول على المتعة ، وكلهم لا يطمحون للتحرر لأنهم لا يمتلكون الوعي والمعرفة . ربما تكون القضية واضحة جدا في أذهان الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية ، حيث قاموا بصياغة الحلم الأمريكي الذي يعني دولة الرفاهية التي يحصل فيها كل إنسان على أكبر قدر ممكن من

المتعة واللذة ، والتي تكفلت وسائل الإعلام بإقناع الناس بأنها هي الهدف الأسمى للحياة .

والآباء المؤسسون عملوا على تحرير العبيد ، فقد أدت صيغة الرق القديمة دورها في وضع أساس الدولة ، واستمرار هذه الصيغة يمكن أن يؤدي إلى ثورة العبيد الذين لا يمكن أن ينسوا دماء آبائهم ، ولا يمكن أن يتحملوا ضرب السياط على ظهورهم أكثر من ذلك .

ودولة أمريكا الحديثة لا يمكن أن تبنيها سواعد العبيد المقهورين فقط ، لكنها تحتاج إلى السواعد والعقول ، والعبد المقهور قد يعمل بيديه ، لكنه لا يمكن أن يقدم نتاج عقله وتفكيره . لذلك لا بد من استبعاد السوط ، وإحلال المتعة مكانه ، فعبد المتعة يمكن أن يفكر ويخترع ويبدع ويخلص في عمله ويتقنه ، بينما العبد المقهور يكتفي بالعمل بيديه .

العبد المقهور قد يصلح للعمل في المزرعة لكنه لا يصلح للعمل في المصنع أو المتجر . لذلك كان لا بد من تحرير العبيد من الرق الظاهر الجلي ليستسلموا للرق الباطن الخفي .

يجب أن يتصور العبد أنه حر لكي يقدم للرأسمالية نتاج عقله وتفكيره وإبداعه، بينما يتحول إلى عبد لا يدرك أنه مجرد عبد .

البيت كبديل للمزرعة :

الصيغة الجديدة التي توصل لها الآباء المؤسسون للولايات المتحدة تشير إلى تقدم العقلية الاستعمارية ، وقدرتها على الاستفادة من الخبرات السابقة ، فهؤلاء الآباء كانوا من الثوار على الاستعمار القديم ، ونجحوا في التخلص من

سيطرة الإمبراطورية البريطانية . وكان لديهم الثقافة التي تمكنهم من صياغة استراتيجية لبناء إمبراطورية رأسمالية حديثة .

لذلك كان لا بد أن يبحثوا عن صيغة تيسر لهم استغلال طاقة كل إنسان ، وأن يقدم هذا الإنسان جهده راضيا مقابل الحصول على أجر يكفي احتياجاته ويوفر له إمكانية الحصول على المتعة . وهذا الأجر يعود مرة أخرى إلى خزائن البنوك والشركات المنتجة للسلع الترفيهية .

وكانت عملية تحرير العبيد من أهم إبداعات الآباء المؤسسين الذين ظهروا كمحررين وأصحاب دور حضاري وإنساني ، بينما الحقيقة أنهم قد نقلوا العبيد من المزرعة إلى البيت طبقًا لتعبير مثقف أسود في وصف كولن باول .

لقد جاء هذا التعبير كتصوير للخبرة المؤلمة للزنوج في أمريكا فعندما كان يرضى السيد الأبيض عن العبد فإنه ينقله من المزرعة إلى البيت حيث يقوم بواجبات الخدمة من طبخ وتنظيف وتدليك لجسد سيده ، وعلى كل حال كان ذلك يشكل أملاً لكل زنجي فالبيت كان دافئا ، ويوجد به بعض الطعام المتبقي بعدما يشبع السيد . أما المزرعة فلا يوجد بها سوي البرد والجوع والعمل الشاق تحت السياط .

لكن السيد لم يكن ينقل عبده إلى البيت قبل أن يتأكد من خضوعه التام وعدم قدرته على التمرد ، وأن نفسه لن تحدثه بأن يفعل شيئا لا يعجب صاحب البيت .

استخدام ذلك التعبير كان يعبر عن رؤية حقيقية لما حدث وتلخيصًا

للقصة ، فكولين باول نصح الشاب الأسود الثائر بأن يتفرغ للغناء ويترك السياسة لأهلها . وبالطبع فإنه لم يوضح من هم أهل السياسة ، لكننا نعرف أن أهلها هم أيضًا أهل المال والذين يصيغون استراتيجية بناء الإمبراطورية الرأسمالية الأمريكية وسيطرتها على العالم .

بينما رد ذلك الزنجي المثقف على نصيحة باول بأن على باول أن لا يغتر بالمكانة التي وصل لها فهو مجرد عبد نقله سيده من المزرعة إلى البيت .

لكن الأمر لا يقتصر على باول بل يمتد إلى الناس في أمريكا من سود وبيض ومن هسبانك وأيرلنديين وصينيين ، ومن كل الأجناس والألوان .

لقد نقل الآباء المؤسسون كل الناس إلى البيت ، ليستمتعوا بالدفء ومشاهدة التليفزيون والْتهام وجبات الطعام السريعة مقابل العمل في المصانع والشركات والمتاجر ... وبدلاً من أن يستخدم ذلك السيد الأبيض الفاجر القاسي سوطه في إجبار عبده على العمل الشاق ، تستخدم الشركة الدولارات في دفعه إلى القيام بالعمل الشاق بكفاءة أعلى ، والتفكير في تطوير هذا العمل لصالح الشركة . وصاحب الشركة أصبح هو المؤهل لممارسة السياسة طبقًا لنصيحة باول ، وهو الذي يختار النواب والحكام لتحقيق مصالح الشركات .

انسى نفسك :

هكذا أجبرت الرأسمالية الناس على تجاهل أرواحهم والتنكر لأشواقهم للحرية والعدالة والمساواة والإيمان مقابل أن يشبع رغبات الجسد ، ويكدح أيامًا طويلة ليمتلك بيتًا بدلاً من أن يستأجر هذا البيت فيدفع الفواتير الشهرية .

والرأسمالية تيسر له إمكانية الحصول على فرص لبناء البيت حتى إذا

امتلكه تحول إلى عبد له ، فعليه أن يدفع أقساط القرض وفوائده .

وبعد زمن يدرك أن صاحب البيت الحقيقي هو البنك . الرأسمالية تيسر له أيضًا أن يمتلك بطاقة (كرديت كارد) يستطيع أن يستخدمها في شراء ما يشاء من سلع ، وأن يدفع بها ثمن الوجبات السريعة والرحلات وغير ذلك ، ومع الزمن يكتشف أنه أصبح عبدًا للبنك الذي حصل منه على البطاقة . والإنسان الحديث خائف من الغد ، فهو يعرف تمامًا أنه إذا فقد الوظيفة التي تدرُّ عليه الدخل الثابت فلن يستطيع أن يعيش ، لذلك يتحول إلى عبد للشركة والمصنع الذي يعمل به ، ولرئيسه في العمل الذي يقيِّم أداءه ويجدد له العقد ، وللنظام الذي يكفل له بعض الحقوق في مقابل عمله الشاق .

لقد أصبح الناس عبيدًا ، وكل ما في الأمر أن الرأسمالية نقلتهم من المزارع إلى البيوت والشركات والمصانع والمدن ، وجعلتهم يتمتعون بالدفء وهم يشاهدون قنوات التليفزيون التي توفر لهم التسلية القائمة على استخدام جسد المرأة العاري وتصوير العملية الجنسية كاملة .

والرأسمالية دفعت الناس إلى الغرق في الآثام ، فلم يعد الإنسان قادرًا إلى أن يطمح للفضيلة والطهارة ، فهو يخاف أن يكتشف الآخرون حقيقته ، أو أن يعرفوا أنه قد ارتكب الكثير من الجرائم ، لذلك يتحول إلى عبد لآثامه وخطاياه وجرائمه وذنوبه ، فلا يستطيع أن يتطلع للحرية أو أن يتمرد على الواقع ، فيزداد فسادا وخوفا من الأيام .

والغرق في المتعة جعل الإنسان الحديث يستمتع بعبوديته ويخاف من الحرية ، ويتصور أن تلك الحرية تعني أن يفعل بجسده ما يشاء ، أي أنه حول

الحرية إلى مفهوم مادي ، واختزلها في حقه في أن يرتكب الآثام .

هكذا حولت الرأسمالية الحرية إلى وهم واستعبدت البشر ، وتحكمت في حياتهم ، واستغلت جهدهم وعرقهم في بناء المدن والشركات والمصانع وإنتاج الأسلحة ، وتطوير التكنولوجيا . لذلك فإن الإنسانية تحتاج إلى مرحلة جديدة من الكفاح ضد العبودية التي صاغتها الرأسمالية ، وتحتاج إلى مفهوم جديد للحرية يعيد للإنسان كرامته ، ويحرره من العبودية لنفسه وللنظام وللرأسمالية .

مفهوم جديد للحرية يجب أن يكون عنوانًا لمرحلة جديدة من الكفاح لحماية الإنسانية من ظلم الرأسمالية ، ولتحريرها من العبودية الحديثة .

* * *

- ٢٦ -

الأزمة الاقتصادية كارثة عالمية .. لكن هل فكرنا في الاستفادة منها ؟!

كثيرًا ما تكون الأزمات بداية لبناء مستقبل أفضل ، والبحث عن حلول مبدعة ، وإقامة نظم جديدة .

لكن الذي ينتهز الفرصة ، ويفكر بشكل مستقل ويتحدى القيود هو الذي يمكن أن يحقق الفوز والنصر والغنى والتنمية والتقدم .

والأزمة الاقتصادية العالمية يمكن أن توفر لنا فرصة تاريخية لتحقيق الاستقلال الاقتصادي والسياسي ، وبناء نظام اقتصادي إسلامي عالمي .

ولكن لكي نحقق تلك الأهداف لا بد من دراسة الأزمة بعمق ، ومعرفة أسبابها والنتائج التي يمكن أن تسفر عنها .

وحتى الآن فإن دول الغرب تحاول أن تمنع العالم من معرفة الأسباب الحقيقية لهذه الأزمة ، حتى لا تحاول الدول الضعيفة أن تصلح نظمها ، وأن تبحث عن حلول حقيقية لمشكلاتها الاقتصادية .

الربا أهم الأسباب :

دراسة الأزمة بعمق تكشف، أن الربا هو سبب خراب الديار وتدمير العمران وانتشار الظلم ، وتوقف مشروعات التنمية ، وإضعاف الدول النامية وزيادة فقرها .

ولقد أغرت دول الغرب الدول العربية التي حققت ثروات بترولية كبيرة

بتخزين أموالها في البنوك الأمريكية والأوروبية والحصول على فوائد ، وبذلك منعت هذه الدول من استثمار أموالها في بناء مشروعات تنموية ، أو استثمارها في الدول العربية الأخرى مثل السودان الذي يمتلك مساحات شاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة وكميات كبيرة من المياه .

بهذا الأسلوب منعت أمريكا وأوروبا الوطن العربي من تحقيق استقلاله الاقتصادي والاستفادة من ثرواته . وبذلك نهبت أمريكا ثروات العرب التي بلغت طبقًا لأقل التقديرات ثلاثة تريليونات من الدولارات .

تصوروا معي أن التريليونات الثلاثة التي ضاعت خلال الأزمة الاقتصادية قد تم استثمارها في مشروعات تنموية ، هل كان يمكن أن يبقى فقير أو جاهل أو مريض على أرض الوطن العربي ؟

كان يمكن أن يصبح هذا الوطن قوة سياسية واقتصادية عظمى . لكن النظم العربية الحاكمة قد تجمدت عقولها وظنت أن أمريكا يمكن أن تحميها بينما كانت أمريكا تخدعها وتسخر من بلاهتها وجهلها .

يا سادة من لا يعرف عدوه ، ويسمح لهذه العدو أن يستغله فإنه يستحق ما يحدث له ، ويستحق أن تضيع أمواله .

وهذه الأزمة الاقتصادية سيكون من أخطر نتائجها أن تلك النظم العربية التابعة سوف تسقط ، فمن المؤكد أنها ستصبح عاجزة عن الإنفاق على التعليم والصحة ، وستزداد البطالة والفقر والمرض . وسيؤدي ذلك إلى انفجار الغضب الشعبي ، والعاقل هو الذي يرى النار تحت الرماد ، ويدرك أنه سيكون لتلك النار ضرام .

هل يمكن أن يتصور عاقل أنه سيتحقق استقرار بعد أن أدرك العرب أن أمريكا قد نهبت ثروتهم وقهرتهم وأعانت نظمهم الديكتاتورية على إفقارهم وتجهيلهم وتعذيبهم .

من المؤكد أن الأزمة الاقتصادية سوف تجر وراءها الكثير من الكوارث التي لن تصيب الدول الضعيفة فقط ، ولكنها ستضرب النظام الرأسمالي العالمي بعنف وستحطمه ، فبالرغم من تطمينات البنك الدولي وتأكيداته أن الاقتصاد العالمي قد بدأ يتعافى فإن الأوضاع أسوأ بكثير ، ولن تجدي فيها تلك التطمينات نفعا .

والفساد أيضًا :

إن أهم الحقائق التي أوضحتها الأزمة الاقتصادية أن هذا النظام الرأسمالي فاسد بدرجة لا يتصورها العقل ، وأنه أشاع الفساد في كل أنحاء العالم .

ولذلك فإنه اقتصاد يشكل الفساد عموده الفقري ، وهذا الفساد سوف يحطمه ، ولكن هذا النظام في الوقت نفسه لا يمكن أن يقوم من دون الفساد .

رجال الأعمال في العالم كله قد تعلموا من آليات هذا الاقتصاد الرأسمالي العالمي كيف يقومون بتخزين ثرواتهم في البنوك ، وفي الوقت نفسه يحصلون على قروض من هذه البنوك لإقامة مشروعات ذات طابع ترفيهي وسياحي وخدمي وفي الوقت نفسه يدفعون الكثير من الرشاوي للموظفين العاملين لتسهيل الصفقات المشبوهة ، وبيع سلع قليلة الجودة بأسعار مرتفعة ، وتضليل الناس ونهب أموالهم .

وهذه النظرية الفاسدة التي قام عليها الاقتصاد العالمي هي أن رجل

الأعمال الغبي هو الذي يستخدم أمواله في إقامة هذه المشروعات ، ولكن الذكي هو الذي يستخدم أموال البنوك ، فهو يقترض بالربا ويدفع الرشاوي ويعقد الصفقات الفاسدة وينهب ، حتى إذا ما ضحى به النظام الرأسمالي ، وأصبح تفاحة معطوبة ، ولم يدفع الرشاوي الكافية ، فإنه يستطيع أن يهرب إلى دولة أخرى حيث أمواله الخاصة مكدسة في بنوك تلك الدولة .

ورجال الأعمال يقيمون الأبراج الشاهقة ويتاجرون في كل شيء ، ويستوردون ويصدرون ويبيعون الوهم للناس ، لكنهم لا يقيمون مشروعات تحقق تنمية طويلة المدى ، فهذه المشروعات لا تحقق أرباحا كثيرة ، وربما لا تحقق أرباحا إلا بعد سنوات من الجهد والتعب .

لذلك كان من الطبيعي أن تنهار البنوك بعد أن نهب الكثير من رجال الأعمال الأموال السائلة .

كنت أدرس في إنجلترا منذ عشرين عاما ، عندما نصحني أستاذ إنجليزي بأن أضع مالي في أكثر من بنك حتى إذا أفلس البنك أو انهار فإنني يمكن أن أجد شيئا أعيش به .

ولأن مرتب المبعوث كان يومئذ ضئيلاً لا يكاد يكفي متطلبات الحياة لم أهتم بالأمر ، ولم أفهم أهمية نصيحته ، لكنني تذكرت تلك النصيحة وأدركت أن معظم رجال الأعمال يطبقونها بعد أن حلت بالعالم كارثة الأزمة المالية . فرجل الأعمال الذكي يلجأ إلى فتح عدد كبير من الحسابات في بنوك مختلفة ويوزع عليها أمواله الخاصة ثم يطلب قروضا من هذه البنوك لإقامة مشروعاته الوهمية حتى إذا انهارت هذه المشروعات تظل أمواله في

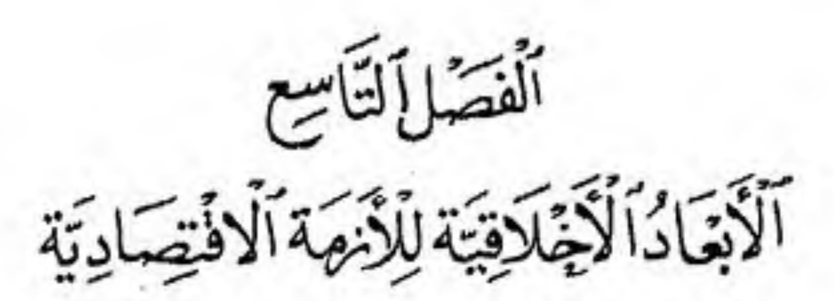
أمان ، ويمكن أن يمارس اللعبة مع بنوك أخرى .

هل هذه صيغة يمكن أن يقوم عليها نظام اقتصادي مستقر ؟ إن صيغة الاقتصاد الرأسمالي مرتبطة بعملية النهب الاستعماري والربا والفساد .

لذلك فإن هذا الاقتصاد لا بد أن ينهار ، ولا بد أن ندرك أن هذه الأزمة الاقتصادية هي الشرارة الأولى التي أضرمت النار فجأة في أكثر من ٧٠ بنكا بدأت ببنك ليمان برازرز ، لكن هذه الشرارة هي بداية النار الحقيقية التي يمكن أن تحول اقتصاد العالم إلى رماد ، وأن تؤدي إلى انهيار الكثير من النظم العربية التابعة .

وهذا النظام الرأسمالي العالمي لا يمكن إصلاحه ، فهو نظام فاسد ومفسد ويقوم على النهب الاستعماري لثروات الشعوب . لذلك فإن البشرية تحتاج إلى نظام اقتصادي عالمي جديد يحرر البشرية من الاستعمار والفساد والربا ، والإسلام وحده هو الذي يمكن أن يقيم هذا النظام ... كيف ؟ هذا هو التحدي الذي يجب أن يواجهه العقل المسلم بشجاعة ، وسوف ينجح في هذا التحدي لأنه عقل يؤمن بالله .

* * *


الفصل التاسع
الأبعاد الأخلاقية للأزمة الاقتصادية

- ٢٧ -

نظام اقتصادي بلا أخلاق لا بد أن ينهار !!

أهم نتيجة يمكن أن نكتشفها من دراسة الأزمة الاقتصادية العالمية هي أن النظام الاقتصادي الرأسمالي قد أهدر كل الأخلاقيات الحضارية والإنسانية ، وقيم العدل والصدق والخير لذلك كان لا بد أن ينهار ، وأن الكفاح من أجل إقامة نظام اقتصادي عالمي جديد يبدأ بالتوصل إلى منظومة أخلاقية تلتزم بها الدول والشركات ورجال الأعمال .

لقد كان أخطر جرائم الرأسمالية هي احتقار الأخلاق ، فقبل الأزمة الاقتصادية كان يتم النظر إلى كل من يتحدث عن الأخلاق والمسئولية الاجتماعية كأنه لا يفهم الواقع ، ذلك أن الحياة تقوم على المال ، وأن النجاح يعتمد على الحصول على أكبر قدر من الأرباح ، والأخلاق تعوق الإنسان عن تحقيق ذلك الهدف الرأسمالي الأسمى وهو الحصول على المال بأي أسلوب . تلك هي الغاية الرأسمالية التي تصبح من أجلها كل الوسائل مبررة مهما كانت غير أخلاقية .

استغلال الشعوب :

من أجل تحقيق الغاية الرأسمالية تم بناء الواقع العالمي ليتيح للأقوى أن يستغل الأضعف ويقهره وينهب ممتلكاته وثرواته .

لقد تم بناء عالم متوحش تكون السيادة فيه والسيطرة والهيمنة للأقوى أما الضعيف فليس له سوى الموت والدمار والقنابل العنقودية والفسفورية والنووية إن تمرد على شروط الرأسمالية ، أو تجرأ على مقاومة السيطرة الأمريكية الغربية .

كما تم بناء الواقع الداخلي في كل دولة على أساس أن يسيطر الأقوى ويتحكم وينهب كما يشاء . فليس هناك منافسة شريفة ، وإنما السوق يحكمه الاحتكار ، فالشركة القوية تستطيع أن تفرض شروطها ، ثم تقوم بدمج الشركات الأضعف داخلها حتى تسيطر على السوق .

ورجال الأعمال ينهبون من البنوك كما يشاؤون تحت عنوان الاقتراض مع دفع الفوائد .

لكن الحقيقة أن رجل الأعمال القوي لا يدفع القروض ولا فوائدها ، وهو يستخدم الكثير من الأساليب غير الأخلاقية مثل دفع الرشاوي لتسوية هذه الديون ، وأدى ذلك إلى أن تصبح الكثير من ديون البنوك معدومة وفكرة البقاء للأقوى والموت للضعيف هي أخطر جريمة ضد الإنسانية ، وكانت العامل الأساسي في الأزمة الاقتصادية ، كما أنها ستكون العامل الرئيسي في انهيار الحضارة الحديثة . ولقد تحالفت الرأسمالية مع السلطات في كل دول العالم لفرض هذه الفكرة واقعيا ، حتى وإن رفضت علنا الاعتراف بها .

وتأتي الإدارة الأمريكية على رأس النظم التي ساهمت في فرض الفكرة لصالح الرأسمالية على العالم .

وهذا هو أهم تفسير في تحالف الشركات عابرة القارات مع الإدارة الأمريكية ، فقد استخدمت هذه الشركات القوة العسكرية لفرض واقع عالمي يتيح لهذه الشركات أن تنهب هذه الشعوب .

منذ القرن التاسع عشر :

الأمر ليس جديدا فلقد استخدمت كل القوى الاستعمارية منذ القرن

التاسع عشر قوتها العسكرية لنهب ثروات الشعوب التي استعمرتها ، وكان رجال الأعمال الغربيون يدخلون إلى دول أفريقيا وآسيا ويقرضون الحكام ثم تستغل الدول الاستعمارية الفرصة وتتخذ ذلك مبررا لاحتلال الدولة .

ولكن لماذا لم تحدث تلك الأزمة الاقتصادية من قبل إذا كانت مسبباتها موجودة منذ بداية الموجة الاستعمارية الأوروبية ؟! لقد مر العالم بأزمة اقتصادية حادة في ثلاثينات القرن العشرين ، لكن الحرب العالمية الثانية كان لها دور مهم في إنهاء هذه الأزمة وإعادة الانتعاش للنظام الرأسمالي العالمي . كما أن أمريكا بدأت بعد هذه الحرب مرحلة جديدة كدولة استعمارية تستخدم القوة الناعمة في النهب والاستغلال .

لكن الأزمة الاقتصادية الحالية تتشكل نتيجة للواقع الذي تم بناؤه عالميا ومحليا منذ بداية الموجة الاستعمارية الأوروبية حتى الآن .

كما أن هذه الأزمة هي تعبير عن الذروة التي وصلت لها حالة الجشع الرأسمالي واستخدام القوة في السلب والنهب وفرض الأمر الواقع بالقوة .

ثروة العالم كلها قد أصبحت في أيدي عدد قليل من الرأسماليين والشركات عابرة القارات ، وتحمي تلك الثروة الجيوش والأساطيل والأسلحة المتطورة التي تستخدم في إبادة البشر .

وحالة العراق تقدم دليلاً وبرهانا ساقطًا على أن الرأسمالية العالمية قد نهبت ثروات العالم ثم استخدمتها في إبادة البشر بهدف إخضاع العالم لمنطق القوة الاستعمارية .

والمليارات التي أنفقتها أمريكا على إبادة العراقيين وقهرهم وتدمير مدنهم

كانت تكفي لإطعام المليارات من الجائعين ، وكان يمكن أن يزيد ذلك في استقرار النظام العالمي .

لكن الرأسمالية العالمية فقدت عقلها كما فقدت ضميرها وحسها الإنساني ، ولذلك بددت المليارات من الدولارات على قتل الملايين من العراقيين وتدمير شواهد الحضارة الإسلامية الرائعة في مدن العراق .

حالة جشع وسفه !!

أهم ما يميز النظام الرأسمالي العالمي هو الجشع ، وهو يعني الرغبة في امتلاك المال دون التوقف عند حد . وكلما زادت الرغبة في الحصول على المزيد منه .

هذه الحالة أصابت الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية واليابان والصين ، وأصابت كل الشركات الرأسمالية ورجال الأعمال .

الأخطر من ذلك أن حالة الجشع ارتبطت بحالة سفه في الإنفاق ، وهي تعني تبديد المال بدون ضوابط ولتحقيق أهداف مثل الاستكبار وإظهار القوة والثراء والبذخ وقهر الآخرين .

إن شئت دليلاً على صحة ما أقول فانظر إلى أي رجل أعمال ستجده ينفق الكثير من المال لزرع الخوف والرعب منه في نفوس أشخاص قد لا يشكلون أية خطورة عليه ، فهو يحيط نفسه بالحراس الأشداء ويقيم الولائم الفاخرة ، ويتعامل بقدر من التعالي والغرور .

أصبحت هذه المظاهر من شروط النجاح الرأسمالي ، حيث إن الخوف يشكل قدرة كل من يفكر في المنافسة أو المقاومة أو توجيه النقد .

لذلك فقد ارتبط الجشع بالإنفاق السفيه لدى معظم الرأسماليين ، وينطبق ذلك على الشركات الكبرى عابرة القارات .

هذه الشركات تنفق الكثير من الأموال على مظاهر الغرور والأبّهة والقوة وإثارة الرعب في قلوب الناس .

وكذلك تفعل الولايات المتحدة الأمريكية ، فأصبح هناك ما يطلق عليه اقتصاد البنتاجون حيث تنفق مليارات الدولارات على تطوير الأسلحة الفتاكة ، والإنفاق على الجيوش . والكثير من الشركات تتنافس على الحصول على نصيب من اقتصاد البنتاجون لكي توازن بها أوضاعها المالية ، وتحقق الأرباح .

هذا الاقتصاد الخفي السفيه أصبح يشكل نوعا من دعم الدولة للشركات عابرة القارات . ولكي تحصل الشركات على هذا الدعم فإنها تقدم المليارات من الدولارات كرشاوي ، كما أنها تنفق المليارات على إظهار القوة والسيطرة في السوق وإبعاد المنافسين.

أما البنوك فإنها تقرض الرأسماليين طبقا لقوتهم ، ولمظاهر الأبّهة والعز وليس طبقًا لضمانات حقيقية .

الارتباط بالفساد :

هكذا تنافس الجميع في الإفساد والفساد ، فقد أصبح من يعملون في إمبراطورية المال الرأسمالية العالمية ، ومركزها وول ستريت كلهم من الفاسدين .

وكلما زاد الفساد زادت سيطرة الرأسمالية على العالم ، وزاد الجشع

والإنفاق السفيه واستخدام القوة .

هكذا أصبح النظام الرأسمالي كله بلا أخلاق ولا ضمير . كل رأسمالي أصبح كل هدفه في الحياة أن يجمع أكبر قدر ممكن من المال ويفرض سطوته وجبروته .

نتيجة كل ذلك اختفت العدالة ، وملأ قلوب الضعفاء السخط ، وأصبح كل من يمتلك قدرًا من القوة والسلطة يسعى للحصول على أكبر قدر ممكن من المال ، وكل من يمتلك الثروة يسعى للحصول على القوة والسلطة وينفق المال ليثير الرعب في قلوب الناس .

والشركات عابرة القارات اتجهت إلى اختيار من يحققون لها مصالحها ، ويشكلون الواقع العالمي كما تريد ففرضتهم على الجماهير وحولت حملاتهم الانتخابية ، وفرضت على الشعوب اختيارهم ليحصلوا على الشرعية الزائفة التي تمكنهم من اتخاذ القرارات لصالحها .

ولجأت الشركات الكبرى في بعض الدول إلى اختيار أشخاص يرفعون شعارات اشتراكية ليخدعوا بها الناس ، ولكي يكون لقراراتهم قوة أكبر في تحقيق مصالح الرأسمالية كما حدث لحزب العمال البريطاني.

لذلك كان لا بد أن تحدث الأزمة الاقتصادية فهي مرحلة الجشع والإنفاق السفيه وفرض القوة والنفوذ وتحالف الثروة مع السلطة والنهب والاستغلال . ولن يتوقف آثار هذه الأزمة عند حدود الاقتصاد ، ولكنها ستدمر النظام العالمي كله .

العالم يتجه إلى الفوضى والفقر والجوع والفناء إن لم ينجح الذين

يمتلكون الضمير والأخلاق في كفاحهم لإقامة نظام اقتصادي عالمي جديد يحقق العدالة للبشر ، ويحمي الناس من جشع الرأسمالية واستغلالها .

يقول الإمام على بن أبي طالب (كرم الله وجهه) :

وكــلُّ جِــراحــةٍ ولَــهــا دواءٌ   وســوءُ الخُلْــقِ لــيــسَ لــهُ دواءُ

* * *

- ٢٨ -

عندما تفقد الشركات مسئوليتها الاجتماعية !

الأزمة الاقتصادية العالمية تتسع وتتضاعف الأخطار الناتجة عنها ، وتهدد النظام الاقتصادي العالمي كله بالانهيار . مع ذلك ما زالت المحاولات الجادة لتحليل هذه الأزمة وكشف أبعادها قليلة . ويبدو أن الاقتصاديين ما زالوا يصرون على دراسة هذه الأزمة انطلاقًا من التسليم المطلق بصلاحية النظرية الراسمالية . ولذلك لم يمتلك المحللون الاقتصاديون الجرأة حتى الآن لتقديم دراسة متعمقة لأسباب تلك الأزمة ، أو البحث عن حلول جديدة ومبدعة لها .

عدم التوازن :

من أهم أسباب تلك الأزمة حالة الانفصال بين الأهداف الاقتصادية للشركات والمؤسسات المالية العالمية من ناحية والأهداف الإنسانية الحضارية للمجتمعات من ناحية أخرى .

لذلك فقدتْ هذه الشركات والمؤسسات المسئولية الاجتماعية وتركزت أهدافها حول الحصول على أكبر قدر ممكن من الأرباح .

مساهمة هذه الشركات في العمل على تحقيق الرفاهية الاجتماعية والتنمية والحفاظ على الحياة الإنسانية كانت غائبة تماما بينما كانت كل تلك الشركات والمؤسسات المالية العالمية والبنوك تقيم نجاحها بتحقيق

الأرباح .

ولأن الأرباح تأتي عادة من الأنشطة الموجهة للأغنياء والنخب فقد تركز النشاط الاقتصادي العالمي على خدمة الطبقات الغنية ، وهو ما أدى إلى تزايد غنى الأغنياء وتزايد فقر الفقراء على مستوى الدول والأفراد .

لم تقم تلك المؤسسات المالية بتحمل أعباء وجودها في مجتمعات واستفادتها من موارد هذه المجتمعات . ولم تقم بمسئوليتها الاجتماعية ، وأسهمت في كثير من الأحيان في تخلي المجتمعات نفسها عن الوظائف التي وجدت المجتمعات أصلاً لتحقيقها .

لو درسنا أحوال الناس في كل المجتمعات سوف نجد أن هناك علاقة بين تزايد أرباح الشركات من ناحية ، وتزايد الفقر والمرض من ناحية أخرى .

وكان ذلك من أهم أسباب الاختلال والظلم وتناقص القدرة على تحقيق النمو الحقيقي في الاقتصاديات الوطنية . ومن المؤكد أن اقتصادًا يقوم على خدمة الأغنياء وتجاهل الفقراء لا بد أن ينهار .

حضارة ناطحات السحاب :

إذا أردت دليلاً على صحة تحليلي لأسباب الأزمة فانظر في عواصم كل الدول والمدن الكبرى وستجد أن الأبراج الشاهقة وناطحات السحاب والفنادق الفاخرة والمستشفيات ذات النجوم الخمس تزين هذه العواصم ، لكنها تغتال التوازن المجتمعي وتدمر المسئولية المجتمعية وتتناقض مع المصالح العامة .

تلك الأبراج الشاهقة تحتلها مكاتب الشركات الكبرى ، والبنوك مع ترك

عدد من الوحدات السكنية للأثرياء الذين انفصلوا في تلك الأبراج عن مجتمعاتهم ، وتبلد إحساسهم ، وأصبحوا يعيشون للحصول على أكبر قدر من المتعة واللذة دون التفكير في شرعية وسائل الحصول عليها .

وأنت قد تجد الكثير من المستشفيات الاستثمارية ذات التكاليف المرتفعة ، والمخصصة للأغنياء ، ومعظمهم يفضلون العلاج في الخارج بناء على نصائح الأطباء في تلك المستشفيات الاستثمارية .

في الوقت نفسه تجد الملايين من الذين حطمت أمراض العصر الجسدية والنفسية قوتهم وأحلامهم وقدرتهم على الكسب يقفون أمام المستشفيات الحكومية البائسة والتي تجلب المزيد من الأمراض .

وحضارة ناطحات السحاب والأبراج والمستشفيات الاستثمارية قتلت جمال الطبيعة ، ودمرت التوازن البيئي ، وقتلت اعتداد الإنسان بنفسه وبكرامته وبذاته .

عندما كان الإنسان يعيش في فضاء مفتوح كان يشعر أنه سيد ، وأن له قيمة كبيرة في هذه الحياة ، وأن أرض الله واسعة ، وهو يرى الشمس والقمر والنجوم ويشعر بتعاقب الليل والنهار ، ويأمل في التغيير ، ويحلم ويحب ويبتسم ويسعى في الأرض .

لكن الإنسان الذي يقف أسفل ناطحات السحاب يشعر بالضآلة والعجز وعدم الأهمية ، ويرى الدنيا تضيق أمامه ، ويصيبه الخوف من أولئك السادة الذين يسكنون في تلك الأبراج العالية ، وهو يتصور أنهم ليسوا من البشر . إنهم كائنات أسطورية قوية وفتاكة وتملك القدرة على الفعل ، بينما هو لا

يملك سوى العجز .

وهذا الإنسان العاجز لا يمكن أن يحقق التنمية ، ولا يمكن أن يحقق السعادة لنفسه فتتزايد عليه الأمراض ، ويفتك به البؤس والشقاء ، ويصيبه الهم والغم .

تجوَّلْ في إحدى المدن العربية الكبرى خاصة في الشوارع المكتظة بالأبراج الشاهقة ، وستكتشف أنني أخبرتك بالحقيقة ، وأنه بئس اقتصاد يكون هدفه خدمة الأغنياء وتحويل أغلبية الشعب إلى عبيد . ومن الأفضل أن ينهار ذلك الاقتصاد إذا كان هدفه التطاول في البنيان على حساب الإنسان .

إن اقتصادا لا يكون هدفه تحقيق السعادة للإنسان هو اقتصاد فاشل لا بد أن ينهار وإن طال الزمن .

وسقطت الدولة القومية :

كان من أهم التطورات في القرن العشرين ظهور الدول القومية ، والتي تحولت إلى أصنام جديدة عبدتها الشعوب دون وعي . وأصبحت المظاهر التي تدل على تلك الدولة القومية من المقدسات مثل العلم والسلام الوطني .

لكن هذه الدول القومية كانت عاجزة من الناحية الفعلية أمام المؤسسات النقدية العالمية مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والشركات عابرة القارات والبنوك العالمية الكبرى .

كل ما فعلته تلك الدول القومية هو أنها فتحت أرضها لهذه المؤسسات النقدية العالمية والشركات لكي تحتل أرضها وتستغل مواردها وتستعبد شعبها في مقابل أن تبني لها عددا من الأبراج وناطحات السحاب ، والتي توحي

بالعز والأبَّهة والثروة ، بينما هناك حالة فقر مدقع ترخي سدولها كليل مظلم على شعب يعاني الظلم والذل ويشرب المر .

والأغنياء يضعون أموالهم في البنوك التي تمول بناء ناطحات السحاب ، ويسكنون الأبراج ويقيمون الأفراح والليالي الملاح ، والحفلات الماجنة ، فأصبحت الدولة القومية هي دولة الأغنياء الذين أقاموا تحالفا مقدسا مع رموز السلطة مثل الحكومة والمجالس النيابية وأجهزة الأمن ووسائل الإعلام ، فأصبحت السلطة كلها في خدمة الأغنياء الذين يطلقون على أنفسهم رجال الأعمال ، وهم لا يقومون بعمل حقيقي سوى جمع الأموال وتكديسها في حساباتهم في البنوك .

هكذا فقدت الدولة القومية مسئوليتها الاجتماعية وأصبحت خادمة لرجال الأعمال ، وأصبحت وظيفتها حماية الأغنياء وتسهيل استيلائهم على موارد البلد ، وإفقار الشعب ، وإخضاعه وإذلاله باستخدام الأجهزة الأمنية .

هذا يعني أن رجال الأعمال والبنوك والشركات عابرة القارات والمؤسسات النقدية العالمية تخلت عن مسئوليتها الاجتماعية ، وفي الوقت نفسه أرغمت الدول القومية على التخلي عن مسئوليتها الاجتماعية . وأصبح النظام الاقتصادي العالمي كله هدفه تحقيق الأرباح عن طريق بناء الأبراج والفنادق والمستشفيات الاستثمارية .

لذلك يبدو انهيار النظام الاقتصادي العالمي كله والنظم التابعة له ضرورة فرضتها الفلسفة الرأسمالية الغربية القائمة على تحقيق الأرباح وعدم القيام بالمسئولية الاجتماعية .

وسوف تضرب الأزمة الاقتصادية العمود الفقري لذلك النظام العالمي الجشع ، وسيكون ذلك في صالح الفقراء الذين لم يحصلوا من ذلك النظام الاقتصادي العالمي إلا على الفقر والجوع والذل والمرض .

* * *

- ٢٩ -

« كلوا الأغنياء » شعار ينتشر بين الجائعين في أمريكا !!

اعترف تقرير أصدرته وزارة الزراعة الأمريكية بأن عدد الجائعين في الولايات المتحدة قد بلغ ٥٠ مليونا ، ٢٥٪ من الأطفال ، وهناك عدد أكبر من ذلك يعانون من سوء التغذية .

وقد فسر التقرير ذلك بالارتفاع الكبير في أسعار المواد الغذائية ، والأزمة المالية التي أدت إلى ارتفاع معدل البطالة طبقًا للإحصاءات الرسمية إلى ١٠٪ ، كما أن الملايين من الأسر الأمريكية قد فقدت منازلها .

كلوا الأغنياء :

لذلك انتشر خلال الشهر الماضي شعار خطير بين ملايين الأمريكيين الذين أصبحوا يعانون مرارة الجوع هو « كلوا الأغنياء » ، هذا الشعار يشكل دعوة لثورة الفقراء ضد الرأسمالية eat the rich في المركز الرئيس للرأسمالية العالمية .

إن خطورة هذا الشعار تكمن في انتشاره في الولايات المتحدة الأمريكية وليس في دول الجنوب الفقيرة ، مع ملاحظة أن الجوع هو عملية نسبية فالجائع الأمريكي بالتأكيد لا يعرف مرارة الجوع التي يعانيها الجنوبيون الفقراء خاصة في أفريقيا بالرغم من اعترافنا بأن الأزمة الاقتصادية قد جعلت الأمريكي يعرف آلام الحرمان والجوع .

كان من الطبيعي أن يظهر ذلك الشعار في الجنوب الذي نهبت أمريكا وأوروبا ثرواته ، وفرضت على دوله حكاما مستبدين فاسدين تابعين لها .

لكن الغريب والمثير هو ظهور الشعار الذي يمثل ثورة على الرأسمالية في أمريكا ، وهذا يعني أنه يمكن أن ينتشر بسرعة على مستوى العالم ، ويشكل بداية لعصر جديد .

يضاف إلى ذلك أن النخب الثقافية والاقتصادية على مستوي العالم لم تتوقع مثل هذا الشعار ، ولم تعمل حسابا لذلك اليوم الذي يظهر فيه وينتشر.

هذا يعني أن تلك النخب لم تعد قادرة على قراءة الواقع بشكل صحيح والتوصل إلى حلول للمشكلات التي تواجهها المجتمعات ، وغير قادرة على تحقيق التنمية وصنع التقدم وأن تفكيرها قد تجمَّد ، وربما يكون ذلك من أخطر ما كشفت عنه الأزمة الاقتصادية .

هذه جريمة الرأسمالية :

يرى روبرت شير وهو خبير اقتصادي ومؤلف كتاب « عهر السلطة » أن الرأسمالية نظام عاهر وبلا أخلاق ، وأن الأزمة الاقتصادية قد كشفت الوجه القبيح للرأسمالية والذي يتمثل في الرغبة غير المحدودة للشركات في الحصول على الأرباح .

ويضيف شير : إن فوائد القروض من أهم العوامل التي سببت الفقر ، وإن هذه الفوائد عملية إبتزاز.

لكن هل ما يقوله شير لم يكن معروفاً قبل الأزمة الاقتصادية ؟!!

الحقيقة التي يجب أن نواجهها أن الرأسمالية قد فرضت على العالم حالة من الجمود العقلى والفكري . فبالرغم من أن العالم قد مر بأزمة اقتصادية في الثلاثينات من القرن العشرين بيدَ أنه قد بدا أن هناك نوعًا من الاستسلام لفكرة صلاحية الرأسمالية وشرعيتها ، وأنها الأيديولوجية الوحيدة التي لا يجب مواجهتها خاصة عقب انهيار الشيوعية .

هذا الاستسلام والخضوع للرأسمالية الناتج عن الجمود الفكري ربما يكون أخطر جرائم الرأسمالية ، فهي بذلك لا تختلف عند أي نظام حكم متخلف في دولة جنوبية ديكتاتورية فرض على نخبه المنافقة أن تغنِّي بشكل مستمر القصائد في مدحه دون أن تفكر في أي عملية إصلاح ، أو تقديم حلول للمشكلات . أعتقد أن ما يقوله شير الآن ، و ما يبدو جديدا كان يمكن أن يقوله أى محلل أو مثقف من سنوات طويلة ، لكن الجميع قد أصابهم الخوف ، فالرأسمالية كانت في حالة علو وزهو بانتصارها على الشيوعية . ولذلك بدا أن كل من ينتقدها قد فقد عقله .

وهذه هي النتيجة ، فلقد ظهر شير ليقول : إن الرأسمالية نظام عاهر وبلا أخلاق ، ولكن بعد أن جاءت الأزمة الاقتصادية لتفرض على أمريكا أن تواجه ٥٠ مليون من مواطنيها الجائعين وهم يرفعون شعار «كلوا الأغنياء».

الآن فقط يمكن أن يظهر شير وخبراء آخرون ليقدموا توصيفا للنظام الرأسمالي الذي أفقر العباد في كل أنحاء العالم .

بداية الانهيار :

كما ظهر الآن جرينسبان رئيس نظام الاحتياطي الفدرالي السابق ليقول :

إن الأزمة الاقتصادية تشكل بداية انهيار الرأسمالية كأيديولوجية وكنظام اقتصادي .

كما وصف النظام الرأسمالي بأنه نظام فاشى ، وأن توسع هذا النظام أدى إلى نتائج كارثية على المدى الطويل .

المصطلح الذي استخدمه جرينسبان يشكل صدمة للعقل الغربي الذي ظل يفخر بانتصار أمريكا وحلفائها على الفاشية والنازية في الحرب العالمية الثانية ، ويعتبر أن ذلك يشكل إنجازا حضاريا ، فالفاشية هي رمز القهر والديكتاتورية والظلم والقسوة والجبروت وانتهاك حقوق الإنسان .

يضاف إلى ذلك أن انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية كان بداية التقدم الاقتصادي والسياسي للرأسمالية العالمية بهذا الشكل الذي نعرفه الآن ، فقد انطلقت الشركات الأمريكية لتفرض نوعا من السيطرة على الاقتصاد العالمي ، وأخذت هذه السيطرة تتسع حتى بلغت قمتها عقب انهيار الشيوعية في التسعينات .

لذلك فإن وصف آلان جرينسبان للرأسمالية بأنها نظام فاشي يعني أن الرأسمالية قد ارتكبت كل الجرائم التي ارتكبتها الفاشية التي تفخر أمريكا وأوروبا بالانتصار عليها .

يضيف جرينسبان : إن الأزمة المالية العالمية سوف تؤدي إلى انهيار الرأسمالية العالمية التي دمرت البيئة ، ودمرت الأساس المادي للحضارة الإنسانية .

ماذا يعني جرينسبان بذلك ؟ إنه يتهم الرأسمالية العالمية بأنها قد ارتكبت

أخطر جريمة ضد الإنسانية وهي تدمير البيئة ، حيث انتشرت الغازات التي أدت إلى تسخين الأرض ، وارتفاع مستوى المياه في البحار ، أي أنها باختصار دمرت الأساس المادي للحضارة الإنسانية .

لكن جرينسبان لم ينتبه إلى حقيقة أخري ، هي أن الرأسمالية دمرت الأساس الثقافي والأخلاقي للحضارة الإنسانية ، ولذلك فإن تدمير الأساس المادي لهذة الحضارة يبدو نتيجة منطقية للجشع الرأسمالي وعملية النهب المنظم التي قامت بها الرأسمالية لثروات الشعوب .

يضيف جرينسبان : إن الناس الذين تعرضوا للاستغلال والفقر عليهم أن يعيدوا بناء الاقتصاد العالمي على أساس إنتاج الاحتياجات الإنسانية طبقا لمبادئ اجتماعية وديمقراطية .

وربما تكون تلك هي أهم دعوة للإصلاح تظهر عقب الأزمة المالية العالمية ، فالعالم يحتاج إلى نظام اقتصادي جديد ، وإلا فإن شعار (كلوا الأغنياء) سوف ينتشر على مستوى العالم ، ويومها فقط سيلوم الرأسماليون أنفسهم ، ولكن بعد فوات الأوان .

* * *

- ٣٠ -

الرِّبا سبب انهيار الاقتصاد العالمي

من حق الأمة الإسلامية أن تفخر بأن الله قد حرم عليها الربا . ولكن يجب عليها أن تحزن لأنها سمحت لمن حكموها بأن يضللوها ، وأن يقيموا نظمها الاقتصادية على أساس الربا تقليدًا للغرب.

الأمة الإسلامية يجب أن تحزن على عقود طويلة من عمرها ضاعت بسبب استسلامها للاستبداد ، وابتعادها عن شريعة الله ، فلو أنها أصرت على عدم التعامل بالربا كما أمرها الله لقادت اليوم الاقتصاد العالمي ، ولاستخدمت ثروتها في إعمار الأرض ، فحققت أعلى درجات التقدم والغنى .

أسوأ أشكال الظلم :

واليهود أقاموا الاقتصاد العالمي على أساس الربا ؛ لأنه يحقق لهم الثراء على حساب الفقراء والضعفاء . فالربا يؤدي دائمًا إلى زيادة قوة الدائن ، بينما يؤدي إلى إفقار الضعيف وزيادة عجزه عن سداد الديون.

وهكذا استطاعت الأسر اليهودية الأوروبية التي أنشأت البنوك في أوروبا وأمريكا وسيطرت عليها وأدارتها أن تتحكم في أموال العالم ، وأن تدير حركة النظام الاقتصادي العالمي . ثم استخدمت الثروات الهائلة التي امتلكتها لإدارة الصراعات العالمية لصالحها ، ولفرض مشروعها الصهيوني العالمي.

لذلك فإن حالة الظلم العام التي يعيشها العالم ، والحروب التي أدت إلى تدمير العمران ، وإبادة الملايين تبدأ من الربا فهو أسوأ أشكال الظلم .

وهكذا انطلق اليهود يضلون الناس ويضللونهم ويغرونهم بالاقتراض ليعيشوا عبيدا للديون التي تثقل كاهلهم ، ولينفقوا أعمارهم خدمًا لفوائد الديون ، بينما تظل أصول هذه الديون ثابتة ، وتتزايد كلما عجز المدينون عن سداد الفوائد ، فيتراكم الظلم ، ويعيش المدين في حالة عبودية حتى يعجز عن السداد فيصبح أمامه أن يتخلى عن كل ممتلكاته أو يواجه السجن .

وهذه الأزمة الاقتصادية نتجت عن عجز ملايين البشر عن السداد ، ولو أن الولايات المتحدة قد طبقت القوانين فإن عشرات الملايين من سكانها سيدخلون السجون ، وبالتالي فإن عليها أن تنفق ميزانيتها القادمة على بناء سجون تليق بالمواطنين الأمريكيين حيث يجب ألا يتم التعامل معهم مثل بقية البشر الذين يتم سجنهم في سجون مثل جوانتانامو وأبو غريب .

أما إذا لم تطبق القانون فإن عليها أن تنتج ملايين الخيام لإيواء ملايين المشردين الذين فقدوا منازلهم بكل ما فيها من متاع الدنيا .

الرِّبا سبب الفساد :

تأملوا معي أيها السادة في أحوال عالمنا البائس فستكتشفون عجبا ، ومن أهم هذه الاكتشافات أن هناك علاقة قوية وطردية بين الربا والفساد ، لماذا ؟!

شاع في وطننا العربي منذ بداية السبعينات أن المستثمر الغبي فقط هو من يغامر بأمواله الخاصة ، ويستخدمها في مشروعاته.

أما المستثمر الذكي فهو من يكدس أمواله وأرباحه في البنوك الأمريكية والأوروبية تحسبًا لتعرض البلاد لأحداث سياسية قد تؤدي إلى تغيير النظام ، وعندئذ يلحق بأمواله ويعيش في أمان ، ولا يستطيع الفقر أن يصل إليه!!

أما المشروعات التي يقيمها داخل الوطن فيتم تمويلها عن طريق القروض من البنوك ، وهناك الكثير ممن يقومون بتسهيل حصوله على هذه القروض دون ضمانات بعد أن يدفع المعلوم ، وهو تسمية حديثة للرشوة .

ورجل الأعمال صاحب المشروعات لا ينوي أصلاً تسديد الدين ، والبنوك تعرف ذلك تماما ، وهي تكتفي بالحصول على الفوائد ، وتقوم هي بدفع فوائد للمودعين . والدنيا تسير على هذا المنوال حتى تتغير الأحوال .

وهكذا كدس رجال الأعمال العرب تريليونات الدولارات في البنوك الأمريكية والأوروبية، واشتروا بها سندات الرهن العقاري، بينما يديرون مشروعاتهم بالأموال التي اقترضوها من بنوك بلادهم.

هكذا ضاعت ثلاثة تريليونات من الدولارات على الأقل من أموال العرب ، فماذا لو أن هؤلاء الذين يطلق عليهم رجال الأعمال قد استثمروا أموالهم في وطنهم ، وأنشأوا مشروعات زراعية وصناعية ... ماذا يمكن أن تكون النتيجة ؟ أرجوكم جربوا معي مشاعر الحزن والألم ... لو أن هذه الأموال قد استثمرت داخل وطننا العربي لتحققت نهضة اقتصادية وقوة سياسية وعسكرية واستقلال حقيقي شامل . ولتحققت الحرية والديمقراطية ، ولتطور التعليم ، واختفت البطالة .

هكذا عطل الربا نهضة الأمة ، وأدى إلى انتشار الفساد ونهب ثروات الأمة .

الربا عطّل الديمقراطية :

هناك اكتشاف آخر لا يقل خطورة هو أن هناك علاقة قوية وطردية بين

الربا والديكتاتورية ! كيف ؟ اسألوا أنفسكم من الذي يزوِّر الانتخابات ولصالح من ؟ ومن الذي يشتري أصوات الناخبين ؟! إنهم ببساطة طبقة رجال الأعمال الذين نهبوا القروض من البنوك بمليارات الدولارات ، ويقيمون مشروعات وهمية ، ويبيعون الهواء للفقراء ، ويكدسون الأموال في البنوك الأمريكية والأوروبية ، وينفقون الأموال على الغانيات والراقصات ، ويقيمون الأفراح التي تكفي تكاليفها لإطعام الملايين من فقراء الوطن .

لكن من مصلحة هؤلاء أن يظل معظم المواطنين فقراء حتى يمكن التحكم فيهم وشراء أصواتهم وقهرهم وإذلالهم، وحتى يستسلموا للطغيان فلا يفكرون في المطالبة بحقوقهم أو التعبير عن آرائهم أو تشكيل رأي عام يطالب بالإصلاح والتغيير ... وكل شيء يجب أن يبقى على ما هو عليه، والاستقرار هو الهدف الأسمى الذي يجب أن يتم تحقيقه حتى لو كان بالضرب من حديد على رؤوس كل من يرفع رأسه مطالبا بحقوق الوطن وحرية الشعب والإصلاح والديمقراطية .

الذين نهبوا بنوك الوطن أصبحوا سادة يعيشون في عالم مختلف لا يرون ملايين الفقراء الذين فقدوا الأمل وأصبحوا ينتظرون الموت ... وفي هذا العالم المختلف في المنتجعات السياحية والقصور الشاهقة تتم إقامة الاحتفالات بتزويج الأبناء الذي يعني تقاسم الثروة والنفوذ وعقد الصفقات ... وهؤلاء لا ينفقون من أموالهم ولكن من أموال البنوك .. ولذلك لا يهمهم كثيرا إنفاق الملايين على حفلات الزواج وأعياد الميلاد التي تجمع السادة في عالمهم الخاص .

أما الفقراء الذي تورطوا في الاقتراض من البنوك فليس أمامهم سوى البحث عن وسيلة لتدبير أقساط الفوائد .. وهم على استعداد لبيع أصواتهم لرجل الأعمال الذي يدفع ثمن الصوت .

الأخطر من ذلك أن رجال الأعمال أصبحوا يسيطرون بأموالهم المنهوبة من البنوك على وسائل الإعلام ، لذلك لا يتمكن المخلصون للوطن من الدفاع عن قضاياه وتوعية شعبه باستخدام وسائل الإعلام التي أصبحت تقدم التسلية والمناقشات التافهة والأخبار المملة ، وتقوم بتغييب وعي الناس وتضليلهم .

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٨ - ٢٨٩] .

* * *

- ٣١ -

الكوارث تتوالى على عالم الظلم فاحذروا غضب الله !

الكساد والفقر والخراب والدمار والوباء والموت ... تلك هي بعض نتائج الظلم العالمي التي ظهرت حتى الآن والقادم ربما يكون أسوأ بكثير .

لقد طغت أمريكا وتجبرت واستكبرت ، ودمرت بغداد فقتلت الملايين من العراقيين والأفغانيين ، وأقامت دولة إسرائيل التي شردت ملايين الفلسطينيين بعد أن سرق اليهود أراضيهم ودورهم وأموالهم ، وقتلت وجرحت الآلاف منهم بكل صلف وغرور وقسوة مستندة في ذلك إلى قوة أمريكا .

كما شجعت أمريكا الطغاة في هذا العالم البائس ليستبدوا بشعوبهم ويقهروها لكي تنهب أمريكا ثروات الشعوب دون أن يجرؤ أحد على الكلام ، أو يفكر في المعارضة أو الممانعة أو المقاومة .

و ٨٠٪ من البشر يعانون الفقر في أرض توجد بها من الثروات ما يكفي لإشباع الحاجات الضرورية لكل إنسان وليكفل حياة كريمة لكل البشر.

إنها الظلمات :

هكذا تحول الظلم إلى ظلمات تعيش فيها البشرية في عصر تتفاخر فيه بالتقدم العلمي الذي أنتج عشرات الثورات من الاتصال إلى الجينات ، وبشر الناس بإمكانية تحقيق الرفاهية والعمر الطويل .

الغرور العلمي صور للبعض إمكانية تغيير أجزاء جسد الإنسان التي تصيبها العطب أو الشيخوخة واستبدالها بقطع غيار جديدة مصنعة من الخلايا الجذعية التي يتم تشكيلها في المعامل الغربية .

والغرب الذي أصابه هذا التقدم العلمي بالغرور والغطرسة تكبر على الدين واستهان به ، فشن حربه الطويلة ضد الإسلام بعد أن أطلق عليه الإرهاب ليضلل الناس ويخدعهم ، ويبعدهم عن التعرف على الطريق الوحيد لإنقاذ البشرية من الظلم الذي هو دائما وطوال التاريخ كان السبب الرئيس لزوال العمران وخراب الديار .

هذه هي الكوارث تتوالى لتثبت لنا يوما بعد يوم أن الغرب سوف يدمر البشرية بغروره واستكباره ، وأن ذلك التقدم العلمي يمكن أن يتحول إلى كارثة إن لم يتحقق العدل ، ويتمتع الناس بثمراته ، ويتعلم الناس كيف يحترمون الدِّينَ الذي لا حياة لهم بدونه . وبمعنًى أكثرَ تحديدًا وصراحةً إن لم يحترم الغرب حق البشرية في أن تعرف الإسلام وتتعلمه لتتمتع بالعدل وحقوق الإنسان ، وإن لم يحترم حق الإسلام في إنقاذ البشرية بمشروعه الحضاري ، وإن لم يتقدم المسلمون لإقامة حضارة إسلامية عالمية تعيد للبشرية التوازن والرشد .

من الربا إلى الخنزير :

كنت قد أعددت نفسي منذ فترة لكتابة سلسلة مقالات عن الأزمة الاقتصادية العالمية وكنت على وشك أن أصل إلى توضيح دور الربا في صنع هذه الأزمة ، وأن الربا الذي حرَّمه الله على المسلمين بفضله ورحمته وكرمه

هو أساس الظلم الاقتصادي .

ولقد أوضحت الأزمة أن الله أكرمَ المسلمين بتحريم الربا ليقيموا العدل بين الناس ، وليقيموا نظامًا اقتصاديا على أساس العدل وتوفير الفرص لإنشاء المشروعات الصغيرة وتعمير الأرض . ولكن بدلاً من أن نتقدم لنحمي البشرية من الظلم ولنعلم الناس كيف يستخدمون المال لإعمار الأرض خدعنا الغرب وأغرانا بالتعامل بالربا فضاعت الثروات التي تحققت من عائدات البترول ، وضاعت أموال العرب المكدسة في البنوك الأمريكية والأوروبية والتي تقدر بأكثر من ثلاثة تريليونات من الدولارات ، ثلاثة آلاف مليار دولار .

كانت هذه الثروة تكفي لتحويل الوطن العربي إلى قوة عظمى في كل المجالات ، وكانت تكفي لزراعة مئات الملايين من الأفدنة ، ولإقامة صناعات متقدمة تنتج من الإبرة إلى الصاروخ .

لكن هذه الأموال ضاعت ، وأصبحت قنوات التليفزيون تحمل كل يوم أخبار تسريح العمال وتزايد معدلات البطالة ، وانهيار أسهم الشركات ، وتوقف عملية البناء .

باختصار فإن الفقر قادم لا محالة ، وهناك الملايين الذين سيعانون مرارة الجوع خلال فترة زمنية قليلة .

قبل أن يستيقظ العالم على هول الصدمة الاقتصادية ، ويتعرف على بعض نتائجها ، أو يفكر في البحث عن حلول لها جاءت أنفلونزا الخنازير لتهدد العالم بالمزيد من الدمار والخراب والموت .

وحتى الآن فإن وسائل الإعلام لا تقدم الحقائق الكافية للناس عن هذا الوباء ،

وتكتفي بنقل بعض المعلومات عن أعداد المصابين ، وربما نجد من يقول هازئا : إن عدد المصابين ما زال في المكسيك وأمريكا ، فلماذا نهتم به ؟!!

فناء البشرية :

يا سادة ، إن هناك احتمالات قوية بأن يتحول هذا المرض إلى وباء عالمي قد يقضي على ٥٠٪ من البشر في عالمنا ، أي أن نصف البشرية يمكن أن يهلك بسبب هذا الفيروس ، وهذا التقدير جاء من تقرير للجهاز الصحي الذي يتبع الاتحاد الأوروبي .

لذلك فإن الأمر يستحق الرعب ، فنصف البشرية مهدد بالفناء ، ودخول فرد واحد مصاب بالمرض إلى دولة يعني ببساطة أن كل سكان تلك الدولة يتعرضون للتهديد بالموت . وهذا المرض ليس له علاج . والموت هو نهاية من يصاب به . وأما إذا كُتبت له النجاة ، فإنه قد يصاب بالجنون . وفي هذه الحالة فإن الموت قد يكون أفضل ، وأن الكثير من البشر قد يتمنون الموت .

وإذا تحول هذا المرض إلى وباء عالمي ، فإن كل السلطات في العالم سوف تعجز عن مواجهته ولن تجدي أساليب الحجر الصحي .

دعك من كلام أوباما الذي أصبح لا يختلف كثيرا عن تصريحات الحكام العرب حول ثقته في قدرة السلطات الأمريكية على مواجهة المرض ، فالحقيقة التي يجب أن يواجهها الجميع هي أن هذا المرض لا يمكن مواجهته ، وأنه إذا انتشر فإنه سيؤدي إلى فناء سكان الولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك ثم العالم كله .

والإجراء الوقائي الوحيد الذي يمكن أن ينقذ البشرية هو إعدام جميع

الخنازير في العالم ، وعدم استخدام أية منتجات مشتقة منها ، وتحريمها بشكل كامل كما أمر الله سبحانه وتعالى .

لكن من الواضح حتى الآن أن هناك قوى تريد أن تبعد العالم عن هذا الحل ، وتمنع إنقاذ البشرية مثل منظمة الصحة العالمية التي حاولت أن تخدع الناس بتغيير اسم المرض وعدم الإشارة إلى الخنزير باعتباره سبب هذا المرض .

كما أن منظمة الأغذية والزراعة حاولت أن تمنع عملية إنقاذ البشر من الهلاك ، فقد هاجمت قرار الحكومة المصرية بذبح الخنازير التي قالت إنها مصدر غذاء المسيحيين . ورغم أن الحكومة المصرية قد اضطرت للخضوع وذبح الخنازير بدلاً من إعدامها رغم أنها تدرك تماما أن الإعدام وليس الذبح هو الحل الوحيد ؛ لأن الذبح يمكن أن يؤدي إلى انتشار المرض . كما أن بعض المربين قد بدأوا في تهريب الخنازير إلى أماكن لا تستطيع السلطات الوصول إليها .

إن كل حكومة الآن أصبحت في مواجهة كارثة ، ولا بد أن تتحمل مسئوليتها عن إنقاذ شعبها ، فليس هناك وقت للتفكير في الخسائر المادية ، ذلك أن خسارة نفس إنسانية أكبر الخسائر .

يضاف إلى ذلك أن هناك الكثير من المواد المستخرجة من الخنزير تستخدم في كثير من المنتجات مثل مستحضرات التجميل والمياة الغازية والوجبات السريعة والزيوت النباتية . وكل حكومة يجب أن تتحمل مسئوليتها عن منع هذه المنتجات وإحراق أية منتجات تستخدم فيها مشتقات من لحم الخنزير ودمائه .

ليست الكارثة الأولى :

وهذا المرض الذي سيتحول إلى وباء يهلك البشرية ليس الكارثة الأولى التي يسببها الخنزير ، فقد تسبب في تشكيل المأساة التي يعيشها البشر الآن .

هذا الحيوان القذر الذي يتغذى على الفضلات والنفايات كان السبب الرئيس الذي أدى إلى التقليل من رجولة الرجال ، وخضوعهم للنساء ، وعدم الغيرة على العرض ، وافتقاد النخوة والشهامة والعزة والكبرياء .

الرجل الغربي فقد رجولته بسبب أكل الخنزير ، فلم يعد يهمه قضايا الأخلاق ، والغيرة على العرض ، وهو يقضي معظم أوقاته يتسلي بمتابعة القنوات الإباحية التي تعرض أجساد النساء العاريات وهو لم يعد يهمه الحفاظ على الشرف والفضيلة وحرمة الجسد الإنساني ، فتلك من عادات الشرق الأوسط المتخلفة والتي لا تتفق مع التقدم الغربي .

ولقد تحوت المرأة إلى سلعة جنسية تكمن أهميتها فقط في قدرتها على الإغراء وإثارة الغرائز ، ومع الزمن فقد الرجال في الغرب الاهتمام بهذه المرأة المستباحة ، فتحول الكثير منهم إلى الشذوذ الجنسي الذي انتشر بشكل واسع حتى أصبح المرشحون يتقربون إلى الشواذ جنسيا للحصول على أصواتهم في الانتخابات بعد أن أصبحوا مصدر قوة وكتلة انتخابية لا يمكن تجاهلها لمن أراد النجاح في الحصول على منصب في الكونجرس .

ونتيجة لذلك انتشر الإيدز الذي يحصد أرواح الملايين ، وانتشرت الأمراض الجنسية السرية بكل أنواعها ، وتزايد الضعف الجنسي حتى أصبحت الشعوب الفقيرة تنفق المليارات للحصول على المنشطات الجنسية .

وهكذا تشابكت المصائب ، وأدى الربا والخنزير إلى هلاك البشرية ، وأنفلونزا الخنازير سوف تؤدي إلى كارثة اقتصادية أخرى وستدمر الاقتصاد العالمي بعد أن يزيد الكساد والفقر والبطالة .

في عام واحد تتعرض البشرية لكارثتين ، والإسلام وحده هو الذي يمكن أن ينقذ البشرية ، ولكن !!

۞ ۞ ۞ ۞


الفصل العاشر
الأزمة الاقتصادية والعداء
الغربي للإسلام

- ٣٢ -

الأزمة الاقتصادية أول نتائج عداء الغرب للإسلام !

الأزمة الاقتصادية العالمية توضح أن ديكتاتورية النظم الغربية قد ارتكبت جريمة في حق البشرية عندما منعت الإسلام من الوصول إلى الناس وصياغة حياتهم ، وتقديم الحلول لمشكلاتهم العصرية .

كما توضح هذه الأزمة أن النظم العربية الديكتاتورية قد ارتكبت جريمة في حق الأمة عندما فرضت عليها التبعية للغرب ، وتجاهلت حقيقة أن الإسلام يمكن أن يحقق للأمة النهضة والتقدم والاستقلال الحضاري والثقافي والاقتصادي .

إن كل من حاول استبعاد الإسلام أو تجاهله أو منعه من صياغة حياة الناس قد ساهم بشكل مباشر في صنع الأزمة الاقتصادية التي ستؤدي إلى نتائج مأساوية على مستوى العالم .

نقطة البداية :

إننا لا بد أن نعترف بداية أن الغرب هو الذي صنع هذه الأزمة عن طريق نموذج الحياة الذي فرضه على الناس ، وهذا النموذج لن تقف آثاره عند حد الأزمة الاقتصادية ولكنه سيتعدى ذلك إلى تدمير الحياة الاجتماعية لملايين البشر .

والحضارة الغربية قد بلغت مرحلة من الغرور جعلها لا تستمع لأصوات

أخرى ، وقد ساهم التقدم العلمي الذي حققته هذه الحضارة والمنجزات التكنولوجية الرائعة في دفع الغربيين إلى الغرور .

ولكي نتوصل إلى حلول صحيحة للأزمة الاقتصادية يجب أن ندرسها بعمق ، ونعلم أن جذور هذه الأزمة تكمن في الثقافة الغربية ، وفي حالة الغرور التي ركبت النظام الأمريكي ، وأعمت بصائر الغربيين عن رؤية السوس الذي كان ينخر لعقود طويلة في العمود الفقري للنظام الاقتصادي العالمي .

ولقد كان من أهم أسباب الخلل في هذا النظام أن الغرب لم يستمع لصوت الإسلام ، وبدلاً من أن يفتح مجالات الحوار مع المسلمين صنع خرافات وصور نمطية للمسلمين وراح يسخر من نموذج حياتهم ويتعامل معهم باعتبارهم كائنات غريبة عن العالم ، وأنهم مجرد إرهابيين .

هذا التعامل الإعلامي والثقافي الغربي مع الإسلام لا يختلف عن أسلوب تعامل السلطات العربية الديكتاتورية مع الإسلاميين ، حيث سلمت ملفهم لأجهزة الأمن لتواجههم بالحديد والنار والمعتقلات والسجون والتعذيب والقهر .

وكانت نتيجة هذه الأساليب الديكتاتورية في التعامل مع المسلمين هي تلك الأزمة الاقتصادية التي تقف النظم الغربية والعربية عاجزة عن مواجهتها .

الغرب استعلى على الإسلام واستكبر على المسلمين ولم يستمع لهم ، وتعامل معهم باستخدام أساليب القهر الثقافي والإعلامي ، في الوقت الذي كان الإسلام يمتلك رؤية متميزة للحياة يمكن أن تنقذ البشرية من الهاوية التي جرها الغرب إليها .

الحاجة للحوار :

لكي نتوصل إلى حلول صحيحة للمشكلات لا بد أن نتحاور ، وأن نفتح المجال لقيام وسائل الإعلام بدورها في إدارة المناقشة الحرة بين كل الاتجاهات السياسية والفكرية . ولقد كان أهم الأسس التي قام عليها التقدم الغربي هي أن الصحافة الغربية فتحت المجال للمناقشة الحرة خلال القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين .

لكن الشركات عابرة القارات سيطرت على وسائل الإعلام في الغرب ومنعتها من إدارة المناقشة الحرة ، واستخدمتها لإدارة الصراع الثقافي مع الإسلام دون أن تعطي مساحة للتعريف بالإسلام وبنموذج الحياة المتميز الذي يقدمه للبشرية .

كانت تلك الشركات عابرة القارات تريد أن تستعمر العالم الإسلامي باستخدام القدرات العسكرية للغرب ، ولذلك فإنها منعت وسائل الإعلام الغربية من إدارة الحوار مع الإسلام لأنها تعرف أنه يمتلك إمكانيات كبيرة لجذب الغربيين الذين يمكن أن يجدوا فيه حلولاً لمشكلاتهم وصياغة جديدة لحياتهم ، وإعادة بناء لشخصيتهم ، وإصلاح الحضارة الغربية واستخدام منجزاتها التقنية لبناء عالم جديد يتحقق فيه العدل والمساواة .

لذلك فإن الشركات عابرة القارات لم تكن تريد الحوار مع الإسلام ، ولم تكن تريد أن يعرف الغربيون الإسلام أو يفهموه ، وبذلك حرمت هذه الشركات الجماهير الغربية من حقها في معرفة الإسلام ، وتلك كانت جريمة حضارية ارتكبتها هذه الشركات ضد الإنسان الغربي .

الحرية أولاً :

لقد ضيقت الشركات عابرة القارات نطاق حرية الإعلام ، وفرضت سيطرتها الاحتكارية على صناعة الإعلام والاتصال لكي تمنع الغربيين من معرفة الإسلام ، وأغرقتهم في التسلية القائمة على الجنس لكي تبعدهم عن التفكير في صياغة أهداف عليا لحياتهم .

لقد قامت هذه الشركات بتجهيل الجمهور الغربي وتضليله حتى لا يعرف أفكارا جديدة أو نماذج حياة مختلفة يمكن أن تنقذه من نموذج الحياة المادية الغربية التي فرضته تلك الشركات .

الأغنياء البيض الذين سيطروا على الشركات عابرة القارات انقلبوا على حرية الإعلام ، وحولوا وسائل الإعلام إلى أدوات للتجهيل والتضليل ، وإغراق الناس في التفاهة والسطحية والتسلية القائمة على الجنس .

وكان من أهم الشركات عابرة القارات التي فرضت هذا الاتجاه على وسائل الإعلام شركة نيوز كوربوريشن التي يمتلكها روبرت ميردوخ .

لقد منع الأغنياء البيض الذين سيطروا على هذه الوسائل الرأسمالية كأساس للنظام الاقتصادي ، والتسلية الجنسية كأساس لحياة الإنسان ، والمتعة المادية كهدف للحياة .

لقد تمت صياغة نموذج الحياة الغربية على أساس الحصول على أكبر قدر ممكن من المتعة المادية واللذة الجنسية ، دون تفكير في أية أهداف أخرى للحياة .

ويمكن للإنسان أن يحصل على أكبر قدر ممكن من المتعة في حياته القصيرة التي ستنتهي بالموت ، فالبنوك تمده بالقروض طويلة الأجل ، وعليه أن يعمل لتسديد الفوائد بينما أصل القرض ثابت ويتزايد مع مرور الأيام حتى يصبح الإنسان عبدًا للبنوك والرأسمالية وللشركة التي يعمل بها ولنموذج الحياة المادية التي يعيشها ، والقنوات التلفزيونية التي تزيد سعاره الاستهلاكي .

المشكلة الأساسية أن وسائل الإعلام لم تعد حرة ، والإنسان الغربي أصبح يعيش في حالة عبودية عصرية تفوق في تأثيرها الشكل القديم للرق .

لقد ادعت أمريكا أنها حررت العبيد ، لكن الحقيقة أنها حولت كل الناس إلى عبيد للرأسمالية وللمتعة المادية ، واستعبدت الرأسمالية عقل الإنسان وروحه وقلبه وفكره وضميره .

لكي يعيش الإنسان في ذلك العالم المادي الرأسمالي عليه أن يعمل كثيرا ، ليحصل على الكثير من المال ، وينفق هذا المال الكثير للحصول على أكبر قدر من المتعة في الوقت الذي افتقد فيه السعادة ، وتزايدت فرص الإصابة بالأمراض ، فازدهرت المستشفيات التي تحولت إلى فنادق ، فزادت تكاليف العلاج .

والشركات عابرة القارات تعرف تماما أن الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يتحدى هذا النموذج الرأسمالي ، ويقدم للناس رؤية جديدة للحياة تشكل ثورة على العبودية العصرية ، ويشكل لهم طريقا لتحرير أنفسهم من تلك العبودية .

لذلك فقد منعت وسائل الإعلام الغربية من إدارة الحوار مع المسلمين ،

أو تقديم صورة صحيحة للإسلام ، حتى لا يعرف الغربيون سوى تلك الصورة النمطية والمزيفة والمضللة عن الإسلام .

هل تريدون حلا للأزمة الاقتصادية العالمية . حسنًا افتحوا الطريق أمام الإسلام ليقدم للبشرية نموذجه المتميز للحياة ، وليعيد صياغة النظام الاقتصادي العالمي على أسس العدل والمساواة ، وليحرر البشر من العبودية للرأسمالية .

الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يقدم حلولاً حضارية للأزمة الاقتصادية العالمية . ولكي يتمكن الإسلام من الوصول للناس لا بد من الكفاح لتحقيق حرية الإعلام .

* * *

- ٣٣ -

بعد الأزمة الاقتصادية .. هل يتأدب الغرب أمام الإسلام

أوضحت الأزمة الاقتصادية العالمية أن الغرب يجب أن يكف عن غروره واستكباره ، وأن يتعامل مع حقائق واقعية جديدة أهمها أن الإسلام يمكن أن يشكل الأمل لكل البشرية ، وأنه يستطيع أن يقدم حلا لهذه الأزمة ، وأنه يمكن أن يبني عالما جديدا تتحقق فيه أحلام الإنسانية في العدالة والحرية ، وأنه يمكن أن يبني نموذجا جديدا للحياة .

وعلى الغرب أن يعترف بأن الرأسمالية هي التي صنعت الأزمة وأنها لا يمكن أن تحلها ، وأن ضخ الأموال في البنوك والشركات المفلسة سوف يزيد حدة الأزمة ، وسيطيل في عمرها ، وسيؤدي إلى زيادة الفقر والبطالة وانهيار اقتصاديات الدول الضعيفة .

إسهام حضاري جديد :

الأزمة الاقتصادية العالمية أصبحت تحتاج إلى حلول غير رأسمالية تنتجها عقلية حضارية لا مادية ، وعلى الإنسانية أن تتمرد على الرأسالمية وتثور على النظام الاقتصادي العالمي الذي قام على أساسها لكي تتوصل إلى حلول صحيحة لهذه الأزمة الاقتصادية .

وهذا سوف يفتح الطريق أمام الإسلام ليقدم إسهامه الحضاري الإنساني الجديد في إنقاذ العالم من الكارثة التي صنعتها الرأسمالية . والإسلام يمتلك

الآن الفرصة التاريخية ليقوم بإنقاذ البشرية .

لكن قبل أن نتحدث عن الحلول التي يمكن أن يقدمها الإسلام للأزمة لا بد أن نشخصها بشكل صحيح ، فالتشخيص مرحلة مهمة تسبق وصف العلاج ، والطبيب الجيد هو الذي يقوم بتشخيص المرض عن طريق معرفة أسبابه وكيفية تطوره قبل أن يصف العلاج .

إذا درسنا الأزمة بعمق وفهمنا أسبابها فإننا سندرك بوضوح أن الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يبني نظاما اقتصاديا جديدا على أسس حضارية وإنسانية وأخلاقية ، وأن ينقذ البشرية من رأسمالية السلب والنهب والجشع .

إدانة النظام الرأسمالي والعقلية الغربية المادية التي قامت بصياغته أهم خطوات البحث عن حل صحيح للأزمة ، وفتح الطريق أمام الحضارة الإسلامية لكي تتقدم لحلها بشروطها ، وبعد تشكيل البيئة الإنسانية العالمية لكي تتقبل ثقافيا هذا الحل .

هل يمكن أن ينكر أحد أن الرأسمالية هي التي صنعت الأزمة ، نتيجة التحيز للأقوياء والأغنياء ، وأن النظام الرأسمالي الاقتصادي العالمي كان يهدف إلى زيادة الأغنياء غنى ، وزيادة الفقراء فقرا ؟ وهكذا نهبت أمريكا ثروات الشعوب وكدستها في بنوكها ، ونهب أغنياء أمريكا ثروات الفقراء ، واستخدموها في الاستمتاع بحياة البذخ والترف الفاجر .

لقد قام النظام الرأسمالي الاقتصادي على الظلم الذي أصبح أهم السمات التي تميزه ، وشهد العالم حالة ظلم عام لم يعرفها طوال التاريخ .

لقد ظلمت أمريكا البشر بفرض هذا النظام الرأسمالي عليهم . الكل

مظلوم في عالمنا والكل فقير وحزين وبائس . لن تجد أحدًا يشعر بالسعادة في ظل هذا النظام الرأسمالي . الكل خائف من غد يحمل نذر المأساة .

وحشية الرأسمالية :

لا أحد يستطيع أن يجادل في أن الرأسمالية العالمية قد تصرفت بوحشية وقسوة وبهدف الحصول على أكبر قدر من الأرباح وتكديس ثروات العالم في أمريكا لاستخدامها في فرض العبودية على البشر .

أمريكا ادَّعت أنها حررت العبيد ، ولكن الحقيقة أنها فرضت عبودية عصرية تشكل أبشع وأقسى أنواع الرق على كل الشعوب .

فيما مضى كان هناك بعض الأشخاص يخضعون للعبودية ، أما اليوم فإن كل الناس أصبحوا عبيدًا للرأسمالية ، وهذا بالضبط ما أرادته العقلية الاستعمارية الغربية . لقد عضت الرأسمالية الغربية المتوحشة قلب الإنسان وتحكمت في رغيفه ومسكنه ، واستغلت قوته الجسدية ، وطاقاته العقلية في مقابل بعض الأوراق المالية التي تُغريه بإنفاقها على الحصول على لذة جسدية سريعة يعود بعدها للعمل لكي يحصل على بعض الأوراق المالية الجديدة .

ليس هناك حرية في ظل الرأسمالية ، فكل إنسان أصبح يعيش حياة العبودية ، ولكن بدلاً من أن يقاوم ارتضى تلك العبودية الناعمة غير الواضحة .

الأخطر من ذلك أن الرأسمالية العالمية لم تستعبد فقط جسد الإنسان ولكنها استعبدت عقله وقلبه ووجدانه وضميره وحياته ، وهذا أسوأ شكل للعبودية عرفه العالم .

لقد جعلت الرأسمالية أهداف حياة الإنسان محدودة وضيقة ، تتلخص

في الحصول على أكبر قدر من المتعة الحسية ، وتوفير الوسائل التي تحقق تلك المتعة . وهو كلما غرق في هذه المتع واللذات زاد بؤسه وشقاؤه ، وازدادت عبوديته للرأسمالية التي لا ترحم . إن على الإنسان أن يجري طوال حياته بهدف كسب المزيد من المال ليسدد الأقساط وفوائد القروض وما يدخره يشتري به بعض الأسهم أو يخزنه في البنوك خوفا من الغد الذي سيحمل بالضرورة الكثير من أمراض العصر الغربية ، وأهمها الأمراض ذات الطابع الجنسي الناتجة عن العلاقات غير الشرعية .

تسميم البشر :

ولكي تكسب الشركات عابرة القارات المزيد من الأموال ، وتكدس الثروات ، قامت بتسميم الغذاء بالهرمونات والمبيدات والتلاعب في الجينات والهندسة الوراثية . فالغذاء الذي يتم إنتاجه للفقراء يحمل في داخله الكثير من السموم والأمراض العصرية وأهمها السرطان والأنيميا والضغط والسكر والضعف الجنسي .

ولكي يواجه الناس تلك الأمراض الفتاكة عليهم أن يبذلوا المزيد من الجهد ، ويكسبوا المزيد من الأموال لشراء الأدوية التي تزيد المأساة ، وتقلل من مناعة الجسم ، فهي أدوية كيميائية رديئة أنتجتها الشركات الأمريكية لتزيد الأمراض .

والشعب الأمريكي هو أكثر الشعوب التي حصلت على الرفاهية والترف ، فتعود الناس على الاستهلاك ببذخ وسفه ، لم يكن يظن أحد أن ذلك اليوم سيأتي وسيضطر ٢٠ مليونا من الأمريكيين أن يناموا في خيام في الشوارع ،

وأن يجربوا مرارة الجوع مثل شعوب أفريقيا التي قامت أمريكا بنهب ثرواتها .

إن أهم نتائج الأزمة الاقتصادية أنها هددت المترفين الأغنياء بالجوع والفقر ، وجعلتهم يعانون مثل غيرهم من البشر الذين دمر الجوع خلايا الحياة في أجسادهم المريضة .

كل ما في الأمر أن الأمريكيين والأوروبيين سيعيشون المأساة مثل ٨٠ ٪ من سكان العالم الذي يعانون مرارة الفقر من سنوات طويلة ، ويصرخون دون أن يسمع صندوق النقد الدولي والشركات عابرة القارات أصواتهم .

ولذلك فإن ٨٠٪ من سكان العالم ليس لديهم ما يخسرونه ، فقد خسروا كل شيء منذ بداية عصر الاستعمار الأوروبي حتى الآن ، وجاء وقت الحساب والعقاب لمن نهبوا ثروات العالم . حسنًا الشركات والبنوك الأمريكية والأوروبية تعلن إفلاسها تباعًا ، وتريليونات الدولارات تتبخر ، والكساد يضرب العالم ، والفقر يعض البشر بنابه ، وأعداد الفقراء تتزايد، ومعدلات البطالة ترتفع ، ومعدلات النمو تتناقص ، والحكومات تكذب على شعوبها وتدَّعي أن الأزمة لم تؤثر على اقتصادها المستقر المتين .

وما الحل ؟

تسألونني : ما الحل ؟ أقول لكم بكل ثقة : إنه الثورة على العبودية للرأسمالية ، وهو تحرير البشر من تلك العبودية العصرية ، وبناء نظام اقتصادي عالمي جديد هدفه الأول تحقيق العدل والحرية والمساواة .

والإسلام هو وحده الذي يمكن أن يحرر الإنسان من العبودية للرأسمالية ، ويقدم له نموذجا للحياة يحقق له الحرية والكرامة .

الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يبني نظاما اقتصاديا يقوم على منظومة قيم وأخلاقيات وأهداف حضارية وإنسانية جديدة .

الحقيقة التي يجب أن يدركها الجميع أن الرأسمالية تنهار بكل فلسفتها وشركاتها وبنوكها ، ولكنها قبل أن تنهار سوف تدفع البشرية بكل عنف نحو هاوية الفقر والجوع والمرض والمأساة والتعاسة .

لذلك لا بد أن تثور البشرية ضد الرأسالمية ، وأن يحرروا أنفسهم من العبودية ، والإسلام وحده هو الذي يمكن أن يقود الثورة خلال العقد القادم ضد الرأسمالية والظلم والعبودية والفقر والديكتاتورية .

أمتنا الآن تمتلك فرصة تاريخية لتقدم إسهامها الحضاري ولتبني نظاما اقتصاديا عالميا جديدا ، ويجب أن يقف الغرب بأدب أمام الإسلام ، وأن يتعامل باحترام مع حق الإنسان في أن يعرف الإسلام الذي سيشكل للبشرية طوق النجاة من المأساة التي صنعتها الرأسمالية .

* * *

- ٣٤ -

لماذا يتعامل النظام الإعلامي الرأسمالي بعداء مع الإسلام ؟!!

منذ نهاية الحرب الباردة وسقوط الشيوعية تجلى عداء النظام الإعلامي العالمي للإسلام ، وحاولت وسائل الإعلام الغربية أن تصور الإسلام باعتباره العدو للحضارة الغربية ، وأن تثير خوف الشعوب الغربية من المسلمين .

ولم يكن ذلك مرتبطا بأية أحداث تبرر الاتجاه الإعلامي بتصوير الإسلام باعتباره يشكل عدوا للغرب ، حيث توهم البعض أن العداء الغربي للإسلام ارتبط بأحداث الحادي عشر من سبتمبر أو بتفجيرات لندن أو أسبانيا .

إن هناك الكثير من الأدلة على أن تلك الأحداث تم تصنيعها ورفع علم القاعدة الزائف عليها بهدف تبرير العداء الغربي للإسلام الذي كان قد بدأ قبل تلك الأحداث بأكثر من عقد ، وبالتحديد مع سقوط الشيوعية ، لماذا ؟!!

الإسلام هو البديل :

إن دوائر صنع القرار ومراكز الأبحاث في الغرب كانت تدرك أن الكثير من شعوب العالم لا يمكن أن تتبنى الأيديولوجية الرأسمالية ، فشعوب أفريقيا وآسيا تُكِنُّ العداءَ للرأسمالية باعتبارها أيديولوجية المستعمر الغربي الذي نهب ثرواتها ، وارتكب الكثير من المذابح ضدها طوال القرنين التاسع عشر والعشرين .

والكثير من الشعوب الآسيوية والأفريقية قامت بثورات للتحرر من

الاستعمار الغربي ، وكانت الثورة الجزائرية من أهم هذه الثورات ، ولذلك اتجهت هذه الشعوب تحت ضغط النخب الوطنية المتغربة إلى الاشتراكية باعتبارها تشكل البديل للرأسمالية الاستعمارية .

لذلك شكلت الاشتراكية أمل الشعوب الفقيرة في آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية ، واعتقدت هذه الشعوب أن هناك ارتباطا بين التحرر والاستقلال والسيادة الوطنية من ناحية والاشتراكية من ناحية أخري .

ولقد استطاع الاتحاد السوفيتي أن يفهم مشاعر الشعوب الإفريقية والآسيوية ، وأن يستغلها لتحقيق أهدافه ، ولذلك اعتمدت الدعاية السوفيتية على ربط الاشتراكية بحركات التحرر الوطني ، وأن الاتحاد السوفيتي يشكل السند والنصير لهذه الحركات كما حدث في فيتنام .

لذلك تزايد اتجاه النخب المثقفة في الجنوب الفقير نحو الاشتراكية ، وسعت تلك النخب إلى الارتباط بالاتحاد السوفيتي بعلاقات قوية طوال الستينات .

كما اعتبرت تلك النخب أن الاشتراكية هي الوسيلة لمحاربة الفقر وتحقيق التنمية وإرضاء الجماهير التي كانت تتطلع إلى بديل للأيديولوجية الرأسمالية الاستعمارية .

لكن الشيوعية انهارت في بداية التسعينات ، وتمزق الاتحاد السوفيتي ، وخرجت شعوب أوروبا الشرقية تبحث عن بديل يشكل لها أملا جديدا ، ويساعدها على نسيان آلام الحرمان لسنوات طويلة في ظل الشيوعية .

وفي الوقت نفسه فإن شعوب آسيا وأفريقيا قد خاب أملها في النخب التي

كانت تدعي الاشتراكية بعد أن ظهر فسادها ، وزيف وعودها ، وبعد أن بدا لها أن اقتصادها الضعيف كان تابعا للنظام الاقتصادي الرأسمالي ، وأن الشعوب لم تحصل من الاشتراكية إلا على الحرمان والفقر .

فرض الرأسمالية قهرًا :

ولقد أدركت الشركات عابرة القارات بوضوح في بداية التسعينات أن شعوب آسيا وأفريقيا إذا حصلت على حقها في الحرية فإنها ستبحث لنفسها عن بديل للاشتراكية ، وهذا البديل بالتأكيد لن يكون الرأسمالية الاستعمارية التي تعرف تلك الشعوب مدى قسوتها واستغلالها .

لذلك عملت الشركات عابرة القارات على فرض سيطرتها الاحتكارية على صناعة الإعلام والاتصال والثقافة ، واستخدام الإعلام في نشر ثقافة الاستهلاك ، وزيادة تطلعات الإنسان ورغبته في امتلاك الكثير من الأشياء المادية باعتبارها وسيلة التمتع بالحياة .

وفي الوقت نفسه منع وصول أية معرفة للجماهير عن الإسلام الذي يمكن أن يشكل لهم أملا في إقامة نظم حكم تحقق العدالة ، وتعيد للإنسان كرامته .

لقد عملت الشركات الاحتكارية التي سيطرت على وسائل الإعلام في الغرب على أن تفرض النموذج الأمريكي المادي للحياة ، وتمنع وصول أية معرفة للجماهير عن نموذج الحياة الإسلامية ، أو تقديم هذا النموذج بشكل مشوه ، بحيث تكون الرأسمالية هي الخيار الوحيد أمام الإنسان ، وبحيث تشكل المادية نموذج الحياة .

لذلك فقد قيد النظام الإعلامي الدولي حق الجماهير في كل أنحاء العالم

في معرفة الإسلام ؛ لأن حصول الجماهير على هذه المعرفة يمكن أن تشكل تحديا للرأسمالية كأيديولوجية ، ويشكل تحديا لثقافة الاستهلاك .

إن هذا يعني أن النظام الإعلامي الدولي قد قيد حرية الإنسان في الاختيار بفرضية الرأسمالية كنموذج وحيد للحياة ، وقيد حرية الجماهير في معرفة الإسلام أو الحصول على معلومات حقيقية ومتكاملة عنه .

لذلك ارتبطت محاولة الشركات عابرة القارات في فرض الرأسمالية قهرا على الشعوب باستخدام وسائل الإعلام ، بالعداء للإسلام ومحاولة تشوية صورته ، وتخويف الناس منه حتى لا يفتح المجال أمام الجماهير إمكانيات التحرر من الرأسمالية ، وقيادة كفاح الجماهير ضدها .

مرحلة الكفاح القادمة :

وفي ظل ذلك توحشت الرأسمالية ، ونهبت خيرات البلاد وأذلت العباد . فالجماهير في أفريقيا وآسيا تزايد فقرها في ظل الديون التي تراكمت على الدول ، وخصخصة اقتصادها ، وانتشار الفساد فيها ، ونهب المفسدين للأموال ، وبيع المواد الخام بأسعار تقل عن تكلفة استخراجها .

أما الناس في الغرب فقد تزايدت عليهم الديون ، وفقدوا القدرة على التكيف مع نموذج الحياة الأمريكية المترفة .

عشرات الملايين من الناس ما عادوا قادرين على تسديد أقساط الديون تماما مثل الدول الجنوبية الفقيرة ، وأدى ذلك إلى زيادة التهديد بإفلاس البنوك والشركات وتوقف النمو الاقتصادي وزيادة البطالة .

لقد أصبح الجميع يعانون من حالة ظلم عام فرضتها عليهم الرأسمالية ،

ومن أهم تجليات تلك الحالة منع الناس من الحصول على الإسلام الذي يمكن أن يشكل لهم أملا جديدا في حياة أفضل وأكثر عدلا واستقامة .

وهكذا تزايدت حدة الأزمة الاقتصادية بسبب فرض النموذج الأمريكي للحياة وفرض الرأسمالية كخيار وحيد .

لذلك فإن الخروج من هذه الأزمة يحتاج إلى أفكار جديدة ، وإلى بديل للرأسمالية . وإلى نموذج حياة يختلف عن نموذج الحياة الأمريكية الذي يقوم على الترف .

لقد أصبح على الإنسانية أن تبحث عن بديل سياسي واقتصادي وثقافي وعن نموذج جديد للحياة .

والإسلام وحده هو الذي يمكن أن يقود كفاح الإنسانية لمواجهة هذه الأزمة الاقتصادية بكل تجلياتها ، ولمواجهة الفقر الذي سينتشر بفضل الرأسمالية .

كما أن النظام الإعلامي الدولي الذي استخدم في فرض الرأسمالية ، وفي منع الجماهير من الحصول على معرفة عن الإسلام أصبح مهددا بالانهيار نتيجة لارتباطه بالشركات عابرة القارات .

لذلك فإن المسلمين يقفون اليوم أمام فرصة تاريخية ، ويجب أن يواجهوا التحدي بشجاعة ، وأن يقدموا الإسلام باعتباره يشكل أملا جديدا لكل شعوب الأرض لتحقيق العدل والحياة القائمة على كرامة الإنسان .

أيها السادة ، الإسلام يمكن أن يقود كفاح الإنسانية للتحرر من الرأسمالية

المتوحشة والنهب الغربي لثروات الشعوب ، لذلك لا بد أن نستخدم وسائل الإعلام لتقديم معرفة شاملة عن الإسلام لكل الشعوب .

إنها فرصتنا التاريخية ، وسوف يحاسبنا الله إذا ضيعناها . إن الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يقود كفاح الشعوب للتحرر من الاستعمار والاستغلال والفساد والقهر والطغيان ، ومن الأيديولوجية الرأسمالية وثقافة الاستهلاك والنموذج الأمريكي للحياة .

* * *

- ٣٥ -

هل تحتاج أمريكا إلى الحوار مع العالم الإسلامي

أمريكا في أشد الحاجة إلى الحوار مع العالم الإسلامي ، فتجربة الصدام الطويلة كانت دامية ، ومدمرة ، وكبدت أمريكا الكثير من الخسائر على كل المستويات العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية .

وكان الصدام مع العالم الإسلامي من أهم العوامل التي أدت إلى الأزمة الاقتصادية العالمية ، والضعف الذي أصاب هيكل الاقتصاد الأمريكي .

لقد زادت تكاليف الإحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان على قدرة الاقتصاد الأمريكي على التحمل ، ولذلك كان أوباما يهدف إلى إنقاذ الاقتصاد الأمريكي عندما أعلن دعوته للحوار مع العالم الإسلامي .

هذه الدعوة للحوار كانت ضرورة لإنقاذ أمريكا ، فمن المؤكد أن أمريكا قد خسرت كثيرا نتيجة الصدام مع الإسلام ، وأن نظرية صمويل هنتنجتون التي شكلت سياسة أمريكا الخارجية قد سببت الكثير من المصائب والكوارث ، ولذلك فإن أمريكا لا بد أن تبحث عن بديل للصدام الذي لا يمكن أن ينتهي بانتصار أمريكا كما كان يتصور بوش وإدارته .

والحوار هو البديل للصدام ، ولكن هل هناك إمكانيات حقيقية للحوار ؟ وما مدى صدق أوباما في دعوته ؟ وما شروط نجاح الحوار ؟

بدايةً يجب أن ندرس هذه الدعوة بشكل متعمق ، وأن نفهم دوافع

أوباما وأهدافه .

فمن المؤكد أن أوباما يسعى لتحقيق مصالح أمريكا ، وأن دعوته تأتي لتحقيق أهداف أمريكية ، وليس حبا في الحوار أو السلام أو لدوافع إنسانية .

إن أوباما في مأزق صعب ، وهو يبحث عن وسيلة لإنقاذ أمريكا باقتصادها وجيشها ومكانتها العالمية .

حوار على أرض الواقع :

ولكن لكي ينجح أوباما لا بد أن يبدا الحوار على أرض الواقع ، وأن تكون هناك رغبة صادقة في أن يكون الحوار بديلاً للصدام ، وأنه يمكن أن يكون وسيلة لتعظيم ما هو مشترك ثقافيا وحضاريا ، وما يمكن أن يحقق المصالح المشتركة .

الحوار ضرورة لكنه لكي ينجح لا بد أن تتحقق مجموعة من الشروط ، من أهمها :

١- أن تشعر أمريكا بالتواضع وأن تتخلى عن غرور القوة وأوهام بناء الإمبراطورية العالمية ، وأن تتعامل مع الإسلام باحترام .

إن قادة اليمين المسيحي المحافظ الذين يسيطرون على الإدارة والكونجرس ويدقون طبول الحرب بشكل متواصل لا يمكن أن يتحاوروا ببساطة لأنهم يريدون الصدام وليس الحوار ، ولأن الأيديولوجية التي شكلوها ، والخطاب الذي صاغوه ، وشكلوا به استراتيجياتهم للمستقبل يقوم على الصدام والحرب والقتل والتدمير والإبادة ، ولا مكان فيه لحوار .

لذلك فإن إثبات أوباما إخلاصه لدعوته للحوار مع العالم الإسلامي يقوم على استنكار خطاب المسيحيين المحافظين ، وبناء أيديولوجية ليبرالية جديدة تتجاوز تلك الليبرالية الجديدة المتوحشة التي تم الترويج لها خلال العقدين الأخيرين .

المسيحيون المحافظون والليبراليون الاستعماريون ، والرأسماليون المتوحشون لا يمكن أن يتحاوروا لأن الغرور قد أصابهم فحجب عن أعينهم رؤية الواقع الجديد ، ولم يدركوا أن الصدام مع الإسلام سيجر الكثير من الكوارث والمصائب على أمريكا .

يضاف إلى ذلك أن الليبرالية الرأسمالية قد أصبحت أيديولوجية جامدة ومتحجرة ، ولم تعد قادرة على الاستجابة لتحديات القرن الحادي والعشرين ، ومن أهم هذه التحديات الأزمة الاقتصادية ، وتزايد الفقر والبطالة وتوقف النمو الاقتصادي وانتشار الأوبئة وكراهية الشعوب لأمريكا .

لذلك فإنه لكي ينجح الحوار لا بد أن تراجع أمريكا أيديولوجيتها الرأسمالية الليبرالية لتجعلها أكثر إنسانية وقدرة على استيعاب أفكار جديدة ، والتعايش مع الشعوب .

هذه الأيديولوجية الرأسمالية الليبرالية تشكل أهم العقبات التي تحول دون الحوار مع الإسلام ، ومع كل شعوب العالم وثقافته وحضاراته فهي أيديولوجية تقوم على السيطرة ، وهي أيديولوجية الاستعمار الغربي منذ القرن التاسع عشر ، ولذلك فإن الشعوب التي عانت طويلاً من ويلات الاستعمار لا يمكن أن تصدق أن أمريكا الرأسمالية بتوجهاتها الاستعمارية تريد هذا الحوار

، وأن الحوار يمكن أن ينجح في تحقيق أهداف مشتركة .

أمريكا تحتاج أن تتعلم :

٢- أن تدرك أمريكا أنها تحتاج إلى أن تتعلم من الحضارة الإسلامية ، وأن أزمتها الاقتصادية لا يمكن حلها إلا بأفكار جديدة غير رأسمالية ، وأن الإسلام هو الذي يمكن أن يقدم أفكارا تبنى على أساسها استراتيجيات لإقامة نظام اقتصادي عالمي جديد يحقق العدل لكل البشرية .

وأمريكا أصبحت الآن في أشد الحاجة لأن تتحاور ، وتتعلم أصول الحوار وقواعده وفنونه وآدابه وأخلاقياته ، وهي تحتاج أيضًا لأن تتعلم من هذا الحوار ، وأن لا تَمُنَّ بهذا الحوار على المسلمين فهي التي تحتاج إلى هذا الحوار . ولكي ينجح أوباما في تحقيق التغيير الذي وعد الأمريكيين به لا بد أن يحاور ليتعلم ، وإلا فإن سنوات الرئاسة ستضيع هباء ، وستزداد الأزمة تعقيدا ، وسيخرج من الرئاسة كما خرج سلفه بوش .

إذا كان أوباما يفهم الواقع ، فإن زمن الغرور والاستكبار والاستعمار قد ولى ، وأن عليه أن يجلس ليتحاور وليتعلم من الحوار ليحصل على أفكار جديدة يمكن أن يستخدمها في التوصل إلى حلول جديدة تنقذ أمريكا .

وهو يحتاج لأن يختار للحوار رجالاً يفهمون الواقع ويدركون حقائق التاريخ ، أما الذين تربوا على الأفكار الاستعمارية ، وتملأ قلوبهم الرغبة في السيطرة والاستغلال والنهب الاستعماري فإنهم لا يصلحون للحوار .

الصدام ينتهي بهزيمة أمريكا :

٣- لكي ينجح أوباما في الحوار لا بد أن يدرك أن خسائر أمريكا في

الصدام مع الإسلام كانت أكبر بكثير من تلك الأرقام الزائفة التي يعلنها البنتاجون . فالاحتلال الأمريكي للعراق تحول إلى كارثة على أمريكا ، وحرب استنزاف طويلة سوف تنتهي بهزيمة أمريكا إن لم يتمكن أوباما من سحب جيشه بأسرع وقت ممكن .

الشعب الأمريكي يدرك الآن كذب البنتاجون ، وأنه يعلن أرقاما زائفة للقتلى والجرحى ، وأن الحرب قد أثرت على نفسية المواطنين الأمريكيين كلهم وحطمت معنوياتهم ، ولذلك ستكون الهزيمة قاسية جدا وستؤدي إلى انهيار أمريكا .

وهذه الهزيمة آتية وستزداد حدة كلما زادت مدة الاحتلال ، لذلك فإن أهم إنجازات أوباما في التاريخ الأمريكي هو سحب الجيش الأمريكي من العراق وأفغانستان . ولكي يحقق هذا الإنجاز لا بد أن يجلس ليتحاور مع المسلمين ليؤمن لجيشه طريق انسحاب آمن ، وجدولاً زمنيا يحفظ لجيشه بعض الكرامة بدلاً من الهرولة بأسلوب الجيش الإسرائيلي عند انسحابه من جنوب لبنان .

الاعتذار وَجَب :

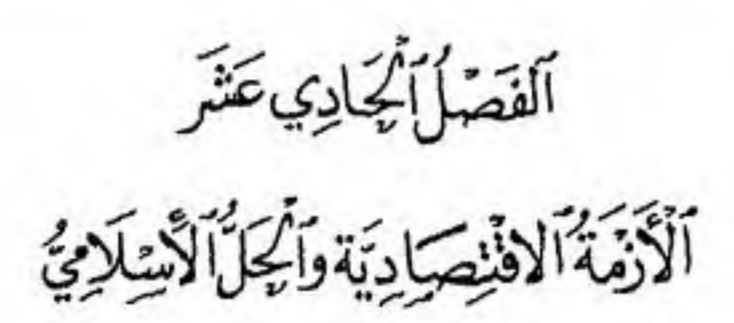
لكي ينجح أوباما في الحوار لا بد أن يقدم اعتذارا واضحا للمسلمين ، فمن المؤكد أن أمريكا قد صنعت مأساة وكارثة للمسلمين تتمثل أهم معالمها في إبادة الملايين في العراق وأفغانستان وفلسطين ، كما أن أمريكا قد حولت ملايين المسلمين إلى مشردين ولاجئين ، الكثير منهم كانوا أغنياء ، وفقدوا دورهم وأموالهم وأصبحوا لا يجدون القوت الضروري .

وهناك الآلاف من الذين تعرضوا للتعذيب على أيدي القوات الأمريكية في السجون السرية الأمريكية أو في سجون النظم العربية الاستبدادية التابعة لأمريكا .

لذلك فإن الكراهية لأمريكا تتزايد بين الشعوب الإسلامية ، وسوف تستمر في التزايد كلما زادت حدة المأساة التي سببتها أمريكا للمسلمين ، وكلما أمعنت قوات الاحتلال الأمريكي في العراق في إذلال المسلمين والاعتداء على حرماتهم وقهرهم وسجنهم ومطاردتهم وقتلهم .

لذلك فإن أوباما لا بد أن يدرك أن مستقبله يعتمد على إقامة علاقات جديدة مع المسلمين ، والاعتذار لهم بشكل واضح ، وسحب الجيش الأمريكي من العراق وأفغانستان وبداية حوار مستمر هدفه صياغة نظام عالمي جديد يساهم فيه المسلمون حضاريا وثقافيا ، وأن يحترم حقهم في صياغة العالم الجديد .

۞ ۞ ۞ ۞


الفصل الحادي عشر
الأزمة الاقتصادية والحل الإسلامي

- ٣٦ -

هلْ ينقذُ الإسلامُ الاقتصادَ العالميّ ؟!

ما الأسباب الحقيقية للأزمة الاقتصادية العالمية وما تأثيرها على مستقبل البشرية ؟ حتى الآن لم يحاول أحد في الغرب أن يبحث عن تشخيص راديكالي للأزمة ؛ لأن هذا التشخيص سوف يشكل إدانة للولايات المتحدة الأمريكية واليهود والحضارة الغربية والرأسمالية ، ويكشف الجريمة التاريخية التي ارتكبوها في حق البشرية .

وتبدو هذه الأزمة نهاية مرحلة في التاريخ سيطرت فيه الرأسمالية على العالم ، وصاغت الأسس التي قامت عليها العلاقات الدولية ، لذلك فإن الفكر الغربي كله قد تجمد عند نهاية هذه المرحلة ، ويبدو أن هذه الأزمة قد أصابت العقل الغربي بالشلل .

والبشرية تحتاج إلى تفسير لهذه الأزمة ودراسة لأسبابها ؛ لأنه لا يمكن التوصل إلى حلول حقيقية دون معرفة هذه الأسباب .

اقتصاد بلا قيم :

من أهم أسباب الأزمة أن الاقتصاد العالمي الذي صمم على الأسس الرأسمالية قد افتقد القيم التي يمكن أن تنظم العلاقات الإنسانية بشكل يقوم على العدل .

لقد علمت الرأسمالية رجال الأعمال ومدراء الشركات كيف يحققون الأرباح ، وكيف يوسعون أنشطتهم الاقتصادية ، وكيف يقضون على

الخصوم ويخرجونهم من السوق .

وهكذا كان البقاء للأقوى في ساحة تنافسية ليس فيها رحمة أو تعاطف مع الضعيف والمهزوم ، وليس هناك أية اعتبارات إنسانية .

تلك كانت طبيعة العلاقة بين رجال الأعمال ، وهي أيضًا كانت طبيعة العلاقة بين الشركات ، فكل شركة تحاول أن تسيطر وتفرض احتكارها ، وهو ما أدى إلى تضخم هذه الشركات حتى أصبحت أقوى من الدول .

وقد استطاعت مجموعة قليلة من الشركات عابرة القارات (متعددة الجنسيات) أن تفرض احتكارها في الكثير من المجالات ، وأن تنهب ثروات الشعوب الفقيرة ، وساهمت في إفساد حكام الدول الضعيفة ، ومساندة النظم الطاغوتية التي تقهر شعوبها ، وفي الكثير من الحالات حصلت هذه الشركات على الكثير من المواد الخام بثمن بخس أو دون ثمن على الإطلاق ، وكل ما دفعته هو الرشاوي والعمولات .

معظم الصفقات التي تمت مع دول العالم الثالث كانت صفقات مشبوهة ، تمت مع مسئولين فاسدين عن طريق استخدام العمولات التي اكتسبت شرعية في عالم المال والأعمال ، بينما كانت مجرد رشاوي ، هذه الأساليب خلقت مأساة في دول الجنوب ، حيث تزايد الفقر وانتشرت المجاعات وأغلقت الكثير من الشركات الوطنية أبوابها لأنها لم تستطع الصمود في ميدان المنافسة .

أما الشركات الوطنية التي استطاعت أن تحقق نجاحا فقد دفعت أمريكا حكام دول الجنوب الفقيرة لإغلاقها أو التضييق عليها حتى لا يتحقق الاستقلال الاقتصادي لهذه الدول ، وتظل ترزح تحت أعباء الديون ، وتعاني

من التبعية والخضوع للمستعمر ، وتظل مجرد سوق ضخمة للمنتجات الأمريكية والأوروبية .

لذلك كان لا بد أن ينهار هذا الاقتصاد القائم على الظلم والفساد والرشاوي والخداع ، ومعظم الشركات عابرة القارات ساهمت في إفساد الاقتصاد العالمي وتدميره .

لقد كان أهم أسباب الانهيار هو عدم وجود منظومة قيمية تضبط حركة هذا الاقتصاد ، وهو ما جعل سوس الفساد ينخر في عظام الاقتصاد العالمي لسنوات طويلة .

كان الكل ينهب ويفسد ويعمل لتحقيق أكبر قدر من الربح مهما كانت الوسائل بينما الشعوب تصرخ جوعا وألما وفقرا وذلا .

ولقد بدأ الشعب الأمريكي يذوق المر الذي سقاه للشعوب الأخرى ، حيث وصل عدد المشردين في الشوارع الأمريكية إلى أكثر من مليونين من الناس ، وسوف يشكل هؤلاء المشردون قنبلة موقوتة ستنفجر قريبا في وجه الرأسمالية الظالمة المتوحشة .

لذلك فإن الطريق الوحيد للخروج من هذه الأزمة هو العمل لإقامة نظام اقتصادي عالمي جديد يقوم على أساس منظومة قيم جديدة ، تجعله اقتصادا إنسانيا يحقق للناس قدرًا من العدل ، ويحمي الشعوب من النهب الاستعماري .

لكن الحضارة الغربية لا يمكن أن تبني هذا النوع من الاقتصاد ؛ لأنها هي التي أقامت النظام الرأسمالي ، وهي حضارة فقيرة في مجال القيم .

لذلك فإن العالم يحتاج إلى حضارة أخرى تبني اقتصادا جديدا يقوم على منظومة من القِيَم تُحقق العدل بين الناس ، وتمنع استخدام القوة لإلحاق الضرر والأذى بالآخرين ، وترشد المنافسة وتمنع الاحتكار ، وتلزم الشركات بالقيام بمسئوليتها المجتمعية .

ومن المؤكد أن الحضارة الإسلامية وحدها هي التي يمكن أن تقدم للبشرية منظومة قيمية يقوم عليها نظام اقتصادي جديد .

الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يجعل ضمير الإنسان يستيقظ ، ويحكم حركته وهو يتحرك بحثا عن الربح بحيث يلتزم بالعدل وعدم إلحاق الضرر بالآخرين .

الإسلام يستطيع أن يقدم نظرية الاقتصاد القائم على العدل كبديل للاقتصاد الرأسمالي القائم على الظلم . وبذلك يمكن أن ينقذ البشرية من الخراب والدمار الذي كان نتيجة طبيعية لتوحش الرأسمالية وقسوتها .

أهداف جديدة :

في الجامعات الأوروبية والأمريكية يتم إعداد الإنسان لكي ينجح ماديا ويحقق الأرباح ، ويدير البيزنس على أساس المنافسة ، لكنها لا تعلمه لماذا يكسب المال ، وما أهداف الإنسان في الحياة . وكيف يمكن أن يستخدم المال في تحقيقها . لقد أصبح كسب المال هو الغاية والهدف الأعلى ، وليس مجرد وسيلة لتحقيق أهداف أكبر .

ولذلك فإننا نرى ثروة العالم يتحكم فيها عدد من الأشخاص الذين يطلق عليهم المليارديرات ، ويتفاخر كل منهم بمكانته المتميزة في سلسلة أغنياء

العالم التي تنشرها مجلة فورشن .

لكن هؤلاء ليس لهم أهداف أخرى سوى جمع المال ، ولم يقم أحد منهم بوظيفة اجتماعية أو بمشروع مهم يجعل لهذا المال قيمة ، إنه يكنز المال دون هدف ، وهو يستكبر بهذا المال على الناس الذين يكرهون هؤلاء المليارديرات باعتبارهم سبب المأساة . جمع المال وكنزه كان دليلاً على الجشع ، والجشعُ من أهم صفات اليهود ، ولكن يبدو أنهم نجحوا في أن يجعلوا تلك السمة تحكم الاقتصاد الرأسمالي العالمي ، فهو اقتصاد يقوم على الجشع ، وليس لمن يكنزون المال هدف سوى أن يستمتعوا بملكية هذا المال وكنزه .

الكثير من هؤلاء الأغنياء يتعامل مع العمال بمنتهى القسوة ، ويستغل حاجتهم للعمل ليلحق بهم الأذى والضرر ، ولا يعطيهم أجرا عادلاً لأن الحصول على المال هو هدفه الوحيد حتى لو كان نتيجة لعرق العمال وأكل حقوقهم بالباطل .

لقد أصبح العمل في العصر الحديث أقرب إلى السخرة أو العبودية ، فالكثير من العمال يعملون لمجرد الحصول على ما يكفي للقوت الضروري ، بينما يتمتع أصحاب الأعمال بالمال الناتج عن عمل هؤلاء الضعفاء ، والعامل يعرف تماما أنه لا بد أن يكدح من أجل الحصول على لقمة خبز . هكذا أصبح العامل مجرد تروس في عجلة الرأسمالية التي تدور بلا رحمة بهدف تحقيق أكبر قدر من الأرباح للرأسماليين الكبار الجشعين .

لقد كان هذا الجشع الرأسمالي من أهم أسباب الأزمة الاقتصادية ، فليس

أمام العمل سوى الاستدانة من البنوك على أمل أن يتمكنوا من السداد يوما لكن الأيام تمضي بلا أمل وتتزايد الديون ، ويتراكم الظلم . وكانت هذه هي نتيجة ملايين المشردين والجائعين والفقراء والبؤساء والتعساء في مقابل قلة من الأغنياء الذين ينفقون بسفه على ملذاتهم ومتعهم .

لذلك لا سبيل للخروج من هذه الأزمة المالية إلا بالقضاء على السمة الأساسية التي تميز النظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي وهو الجشع .

والإسلام وحده هو الذي يمكن أن يقضي على الجشع الرأسمالي بتحديد أهداف جديدة للأغنياء والاقتصاديين ورجال الأعمال ومدراء الشركات ، بحيث لا يكون تحقيق الأرباح هو الهدف الوحيد ، وتكون هناك وظائف إنسانية وحضارية ومجتمعية للمال وللأغنياء الذين يمتلكونه ، وبحيث تكون الثروة المادية في خدمة الإنسان ووسيلة لتحقيق سعادته ولبناء المجتمع وإعمار الأرض وتنمية الثروة البشرية .

الإسلام أيضًا يمكن أن يقدم صياغة جديدة لأهداف الإنسان في الحياة تحكم حركته وهو يسعى في الأرض ويقيم المشروعات . وهذه الأهداف يمكن أن تشكل أساسًا لاقتصاد عالمي جديد .

* * *

- ٣٧ -

الإسلام يبني منظومة أخلاقية للاقتصاد العالمي ... كيف ؟!

الأزمة الاقتصادية نتيجة مباشرة لعملية الفصل بين الاقتصاد والأخلاق . فالرأسمالية صممت النظم المالية العالمية ، على أساس احتقار الأخلاق والسخرية منها باعتبارها قيودا على حركة رجال الأعمال ، وعائقا أمام تحقيق النجاح .

لقد اكتشف العالم أن معظم الذين يعملون في مجالات التمويل والنظم المالية والبورصات والبنوك يمارسون كل أشكال الفساد ، ولا يلتزمون بالقوانين أو بقواعد المسئولية الاجتماعية ، وأن غياب الأخلاقيات من أهم عوامل الأزمة .

لذلك فإن الحل هو البحث عن قواعد أخلاقية يلتزم بها الجميع ، وتحكم تصرفات رجال الأعمال والشركات .

الأخلاق ثقافة :

ولكن البداية الصحيحة لبناء منظومة أخلاقية للاقتصاد العالمي هي الاعتراف بأن الحضارة الغربية لا يمكن أن تساهم في بناء تلك المنظومة ، ذلك أنها قامت بشكل أساسي على البراجماتية والمادية ونهب ثروات الشعوب خلال الاستعمار . وهي حضارة بلا أخلاق ، وقد تكون نجحت في تحقيق إنجازات مادية تكنولوجية توفر للإنسان الرفاهية والراحة والقدرة على

الانتقال السريع وتوفير الجهد والحصول على المعلومات لكنها لا يمكن أن تحقق السعادة أو العدالة ، ولا يمكن أن تشجع الإنسان على الالتزام في حياته بالأخلاق والضمير .

والمشكلة ليست في وجود النصوص ، فهناك الكثير من المواثيق الأخلاقية للروابط المهنية وحتى الشركات ، لكن تلك المواثيق مجرد أدوات للعلاقات العامة وبناء الصورة الذهنية وخداع الجمهور .

وهذا يؤكد أن الأخلاق ليست مجرد نصوص ، ولكنها ثقافة والتزام ديني ومجتمعي يرتبط بأهداف كبرى للحياة على المستوى الفردي وعلى مستوى الأمة .

وكما أنه لا يمكن أن يلتزم الفرد بالأخلاق إلا في حضارة أخلاقية لها أهداف للحياة أكبر من المادة والربح والرفاهية والمتعة .

لذلك فإن الأخلاق ليست فلسفة ، لكنها بالضرورة ترتبط بالدين لأنها ترتبط بالضمير . لذلك فإن الفصل بين الدين والحياة يعني بالضرورة الفصل بين العمل والضمير ، والحياة والأخلاق . والإنسان المنفصل عن الدين لا يمكن أن يكون أخلاقيا إلا بقدر ما يحقق له من مصلحة مادية ؛ لذلك فإن أخلاقيات الموقف هي أخلاقيات نسبية تتغير مع الزمن ، وطبقًا لما تحققه من أهداف مادية للفرد أو للشركة أو المجتمع .

لذلك لكي نطور منظومة أخلاقية للاقتصاد العالمي لا بد أن نحرر أنفسنا من التفكير المادي الذي فرضته الحضارة الغربية ، ولا بد أن نحرر الاقتصاد من الرأسمالية بأهدافها المادية .

الإسلام وحده يبني الأخلاق :

لكن إذا كان لا بد من الربط بين الدين والأخلاق ، فهل يمكن أن يساهم الدين اليهودي في صياغة منظومة أخلاقية عالمية ؟!!

إذا تأملنا حال الاقتصاد العالمي سنجد أن دور اليهود واضح في فرض المادية والقوة والاحتكار والنهب على الاقتصاد العالمي . ذلك أن اليهود قد ربطوا دينهم بالعنصرية العرقية الضيقة ، وهم يبررون لأنفسهم ارتكاب كل الجرائم والآثام والمظالم إذا كان يمكن أن تحقق أهدافهم العنصرية . وحاخامات اليهود يقدمون تبريراتهم الدينية المستمدة من التلمود لكل الجرائم التي يرتبكها اليهود إذا كانت ضد الأغيار . بالإضافة إلى أن اليهود هم الذين صنعوا الأيديولوجية الرأسمالية بكل أهدافها المادية .

أما المسيحية فإنها كانت تشجع الإنسان خلال العصور الوسطى على الانعزال والخضوع والسلبية ، وتبرر جرائم الإقطاع والملوك ، لذلك كان لا بد أن يتم فصل الدولة والحكم والحياة وشؤون المال والاقتصاد عن الدين المسيحي لكي تنهض أوروبا وأمريكا . والمسيحية لا يمكن أن تساهم في بناء المنظومة الأخلاقية للاقتصاد ببساطة لأن المسيحي الذي يلتزم بتعاليم الإنجيل لا بد أن ينفر من المادية ، ويعتزل الحياة ويحتقرها ، ويهجر العمل ... أما إن أراد أن يعيش الحياة ويشارك مع الناس ، ويكسب ويربح فهو لا بد أن يتخلى عن تعاليم الإنجيل ... وهذا هو ما أدى إلى حالة الانفصام التي يعيشها المسيحيون منذ ظهور العلمانية حتى الآن . فهو يهجر كل ما يتعارض مع مصالحه من الدين ، ويتذكره فقط عندما يريد أن يبتعد قليلاً عن عنف

الحياة وقسوتها وصخب العمل والجهد ... أي أنه ببساطة تسلية .

لذلك فإنه ليس أمام البشرية سوى الإسلام ، فهو وحده الذي يمكن أن يبني اقتصادا أخلاقيا عالميا .

فلسفة جديدة للمال :

نقطة البداية في التوصل إلى بناء هذه المنظومة هي تحديد أهداف الإنسان من امتلاك المال وجمعه وكيفية السعي للحصول عليه .

هل المال هو هدف الحياة ؟ كل رأسمالي في هذا العالم تم تشكيل عقليته على أساس أن الهدف الوحيد للحياة هو جمع المال بأية وسيلة لأن هذا المال هو مصدر القوة والسعادة والنجاح والمكانة الاجتماعية والنفوذ والجاه والسلطة .

ويترتب على ذلك : كيف يمكن التصرف في هذا المال ؟ الرأسمالي يرى أن كنز المال وامتلاكه هو هدفه الأساسي ؛ لأن هذا المال وحده هو الذي يشكل له الأهمية المجتمعية ، وأنه دون هذا المال لا قيمة له .

تذكرت وأنا أكتب هذا المقال حوارًا أدارته محطة تلفزيونية عربية مع راقصة ... وسألتها المذيعة : هل يشعر أزواج بناتك بالعار أو الخجل من عملك كراقصة ؟ فأجابت بانفعال ، وبعد أن وجهت بعض كلمات السباب لأزواج بناتها : بأن لديها من المال ما لو وقفت عليه فإنها يمكن أن ترى زيمبابوي وهي دولة أفريقية !!

هذا نص إجابة الراقصة ، ومن الواضح أنها تفهم الفلسفة الرأسمالية بشكل جيد ، وتعبر عن الرأسماليين ، فهي تريد أن تقول : إنها تملك الكثير

من المال الذي يذل رقاب أزواج بناتها ، ولذلك فإن عليهم أن يفخروا بعملها كراقصة .

لذلك فإننا لا بد أن نعيد التفكير في هدف الإنسان من جمع المال ، فإن كان الهدف هو المال في حد ذاته لأن المال هو الذي يعطي للإنسان قيمته وأهميته وكرامته وقوته ، ففي هذه الحالة تبدو إجابة الراقصة منطقية جدًا ، فهي اكتسبت قيمتها من المال الذي تملكه ، وتلك الإجابة تعبر عن فلسفة كل الشركات ورجال الأعمال ، وعن فلسفة أمريكا وأوروبا واليابان . وعلى الجميع أن تخضع رقابهم لمن يملك المال !!

خطر اجتماعي :

هذا التفكير أدى إلى انتشار الفساد في كل أنحاء العالم ، فالذي يكون هدفه هو الحصول على المال لأنه مصدر قوته وكرامته سيسعى للحصول عليه بأية وسيلة . ولن يتساءل عن شرعية هذه الوسيلة .

وهكذا رأينا الشركات تبيع الوهم للناس ، وتدفع الرشاوي للمسئولين لنهب ممتلكات الدولة .

لماذا لا يتصرف أصحاب هذه الشركات بشكل أخلاقي ؟ الإجابة ببساطة هي أن المال هو الهدف الوحيد ، فالغني له قيمة وأهمية ويمكن أن يحصل على الحصانة البرلمانية ، ولن يسأله أحد : من أين أتيت بهذا المال ؟!! أما الفقير فلا قيمة له .

وكان لذلك تأثيره السيء على العلاقات المجتمعية فقد أدى ذلك التفكير إلى زيادة نسبة العنوسة في المجتمعات العربية ، حيث يتم تقييم الناس بالمال

، ولذلك فلا يفكر رجل في الزواج إلا إذا أصبح غنيا حتى لا يسخر منه أهل الزوجة ويحتقروه ، وهكذا تضيع سنواتُ العمر وتتزايد التعاسة ، وهذا في حد ذاته كارثة .

لذلك فإن الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يغير هذا الاتجاه ، ذلك أن قيمة الإنسان في الإسلام لا ترتبط بما يملك من مال ، بل ترتبط بإنسانيته وهو مكرم في كل الحالات سواء كان غنيا أو فقيرا .

الله - سبحانه وتعالى - كرَّم بني آدم ، أما أكرم الناس فهو أتقاهم ، والتاريخ الإسلامي يحيط عددا كبيرا من النماذج الإنسانية بالتمجيد ، بينما عاشوا فقراء وماتوا كذلك .

التاريخ الإسلامي يقدم لنا نماذج إنسانية رائعة ، وعلى سبيل المثال فإن عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين ، وخامس الخلفاء الراشدين يشتهي العنب ، ولا يجد درهما يشتري به ، فيذهب لزوجته وهي ابنة خليفة ليقترض منها ، فلا يجد معها مالاً ، فتقول له : ولِمَ لا تأخذ درهما من بيت المال ؟ فيرد : الحرمانُ في الدنيا خيرٌ من الأغلال في جهنم !!

الإسلام يفصل بين قيمة الإنسان ، وما يمتلكه من مال ، لذلك فقد تمتلك الكثير من المال ولا يكون لك قيمة . والمال هو مال الله ، والإنسان مستخلَفٌ فيه ، وعليه أن يسعى ويجتهد ، والله - سبحانه وتعالي - هو الذي يرزقه بهذا المال .

وامتلاك المال ابتلاء ، تماما مثل الفقر ، فالإنسان عندما يمتلك المال لا يطغى ، وعندما يفقده لا يقنط ، وفي كلتا الحالتين لا يربط قيمته وأهميته

بهذا المال .

تلك هي نقطة البداية في التزام الإنسان بالأخلاقيات وهو يسعى للحصول على المال . فإن كانت أهميته وقيمته لا ترتبط بهذا المال ، فلن يحاول أن يحصل عليه بأساليب تتناقض مع الأخلاق ، وسيتخذ القرارات انطلاقا من ضمير مؤمن بأن الله هو وحده الرزاق .

لا يمكن أبدا أن يلتزم إنسان بالأخلاقيات إلا إذا كان اعتقاده راسخًا بأن الله وحده هو الذي يرزق الإنسان ، وأن عليه أن يأخذ بالأسباب عبادة لله .

لذلك فإن هذه الأسباب لا بد أن تكون أخلاقية .

تلك هي نقطة البداية لبناء منظومة أخلاقية إسلامية تُنقذ الاقتصاد من الانهيار ، وتلك هي فرصتنا التاريخية للقيام بدور حضاري إنساني يتمثل في إنقاذ البشرية .

* * *

- ٣٨ -

الإسلام وبناء نظام اقتصادي عالمي جديد

الأزمة الاقتصادية التي يمر بها العالم فرصة تاريخية لأمتنا لكي تقدم إسهامها الحضاري في إنقاذ البشرية انطلاقا من القراءة الصحيحة لرسالة الله الخاتمة للبشرية ، والتي أنعم الله على هذه الأمة بأن تحملها للناس كافة ، وأصبحت مسئولة عن تعليم الناس وهدايتهم وإنقاذهم من الظلم الرأسمالي والذي أدى إلى الخراب الاقتصادي .

والأمة الإسلامية تحتاج إلى أن يشحذ علماؤها عزائمهم ، وأن يمتلكوا الشجاعة والجرأة لإعادة قراءة الإسلام عقيدة وشريعة وحضارة وثقافة وتاريخا .

فهذه القراءة تشكل الأساس العلمي لإنقاذ البشرية من الكارثة التي نتجت عن سوء أخلاق الرأسمالية وجشع الإمبراطورية الأمريكية ، ومادية الحضارة الغربية .

الإنسانية تنتظر :

إن الأزمة الاقتصادية تكشف بوضوح عن الإفلاس الفكري والثقافي والحضاري للغرب ، وأن الإنسانية أصبحت في أشد الحاجة إلى حضارة أخرى لتنقذها من الفقر والظلم والطغيان والفساد والجشع والاستغلال .

ولكن قبل أن نقدم الحل الإسلامي لهذه الأزمة التاريخية ، والكارثة الإنسانية العالمية علينا أن نفهم أولا أسباب تلك الأزمة ، ودور الرأسمالية في صنعها .

فإذا ما درسنا بعمق تلك الأسباب فإننا يمكننا أن نقرر بداية أن الأيديولوجية التي صنعت الأزمة لا يمكن أن تقدم حلا لها ، وأن أمريكا يمكن أن تتجه إلى إنعاش اقتصادها المريض عن طريق تدمير اقتصاديات الدول الضعيفة ، وهو ما سيؤدي بالضرورة إلى زيادة حالة الفقر والظلم في العالم ، وسيدفع شعوب العالم للبحث عن كل الوسائل الممكنة للمقاومة .

لذلك فإن البحث عن حل حقيقي للأزمة الاقتصادية العالمية يرتبط حتمًا بمشروع لمقاومة الاستعمار والاستغلال الرأسمالي والطغيان والاستبداد والتبعية .

قبل أن نبحث عن حل للأزمة الاقتصادية العالمية لا بد أن نطرح سؤالا مهمًا هو : ماذا يمكن أن يحدث لو استمرت أمريكا في ممارسة الظلم والجشع والاستغلال وفرض الرأسمالية على العالم ؟

حتى الآن يبدو واضحا أن أمريكا تسير في هذا الاتجاه ، وتحاول أن تنقذ بنوكها وصناعاتها بضخ مليارات الدولارات دون أن تفكر في تأثير ذلك على اقتصاديات الدول الأخرى ، أي أنها بصراحة تتعامل مع العالم بأسلوب : أنا ومِنْ بعدي الطوفان .

أمريكا أيها السادة سوف تترك الدول الأخرى تنهار اقتصاديا ، واليابان ودول أوروبية أخرى قد تكون أهم الضحايا ، ففي اليابان أفلست أكثر من ألف شركة خلال شهور قليلة . كما تزايدت البطالة بشكل حاد عن طريق قيام الشركات في كل أنحاء العالم بتسريح آلاف العاملين .

ولذلك فإن أعداد الفقراء والعاطلين عن العمل والجائعين سوف تتزايد في

كل أنحاء العالم .

ثورة قادمة :

وهؤلاء الفقراء الذين من المتوقع أن يزيد عددهم عن ٩٠٪ من البشر لن يتحملوا آلام الجوع طويلا ، وسيخرجون قريبا بحجارتهم وسيوفهم وقنابلهم وصدورهم العارية ، يقاومون الرأسمالية التي أفقرتهم ، ويتحدون أمريكا التي نهبت ثرواتهم ، ويدمرون المظاهر المادية التي يتمتع بها المترفون.

ومن المؤكد أن هؤلاء الفقراء سوف يكفرون بالرأسمالية والمادية ويبحثون لأنفسهم عن مستقبل جديد تقوم بصياغته حضارة أخرى تُعْلي قيمة الإنسان وكرامته وتوفر له مفهوما شاملا للحقوق الإنسانية المترابطة والتي تمتد من حقه في الغذاء حتى حقه في الحرية .

ومن المؤكد أن الحضارة الإسلامية هي وحدها التي يمكن أن تقدم هذا المفهوم الشامل والذي يمكن أن يشكل القاعدة العلمية والحضارية لنظام اقتصادي عالمي جديد .

لذلك فإننا لا بد أن نقدم الإسلام للبشرية بمفهومه الشامل ، وذلك أن الارتباط بين الحقوق الإنسانية الفردية والمجتمعية ، والربط بين عبادة الله وإعمار الأرض ، والتكامل بين الدين والدولة ، والعقيدة والحضارة والأخلاق والثقافة هو الذي يمكن أن يشكل حماية للإنسان من مصير يشبه تلك الكارثة التي أوقعت الرأسمالية العالم فيها .

الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يقود شعوب العالم خلال العقد القادم لمقاومة الاستعمار والظلم والاستغلال ، وهو الذي يمكن أن يبني نظاما

اقتصاديا عالميا جديدا تتحرر في ظله البشرية من أمراض المادية الغربية ، واستغلال أمريكا للشعوب ونهب الثروات وجشع الرأسمالية .

الإسلام يمكن أن يبني للبشرية نظاما اقتصاديا عالميا جديدا يعيش كل إنسان في ظله حياة كريمة ، ويعمل وينتج ويربح مالاً حلالاً ، ويساهم بجهده وماله في إعمار الأرض ، ويفهم مسئوليات الاستخلاف في المال ، ولذلك فإنه يستخدمه في الاستمتاع بالطيبات ، والابتعاد عن الخبائث التي حرمها الله .

وفي الوقت نفسه يكون الفرد مسئولا عن المجتمع بقدر مسئولية المجتمع عنه ، فالفرد صاحب وظيفة حضارية تساهم في تحقيق المجتمع لأهدافه ، ويلتزم بقيم المجتمع وأخلاقه وهو يتحرك باحثًا عن ربح حلال ، وعن أجر مناسب على عمله .

دعوة للعلماء :

لذلك فإنني أدعو علماء الأمة من كل التخصصات للتجمع ، وفتح المجال للمناقشة حول صياغة استراتيجية لبناء نظام اقتصادي عالمي جديد ، فإننا بهذا العمل يمكن أن نقود أمتنا إلى نصر على كل المستويات ، ويمكن أن نحقق النهضة ونشكل الدورة الحضارية الإسلامية القادمة .

إن هذه الأزمة الاقتصادية العالمية بالرغم من أنها سوف تؤثر بشدة على اقتصاديات الدول العربية لكنها ستحطم الاقتصاد الرأسمالي واقتصاد التبعية ، وستفتح المجال أمام الشعوب لبناء اقتصاد إنتاجي تستثمر فيه ثرواتها المادية وطاقاتها البشرية ورأسمالها اللامادّي المتمثل في التجارب الإنسانية ومعطيات

الحضارة والثقافة والتاريخ .

ومن المؤكد أن الإسلام يشكل ثروة الأمة اللامادّية ، والتي يمكن أن تشكل الأساس لتنمية ثروتها المادية ، ولتبني بها نظاما اقتصاديا عالميا جديدا يقوم على العدل والأخلاق ومسئولية الدولة عن المواطنين ، والتكامل بين حقوق الإنسان المادية والثقافية والحضارية .

علماء الإسلام يمكن أن يجدوا الآن فرصتهم التاريخية لتشكيل علم جديد يستخدم في بناء مستقبل أفضل للبشرية .

إنها فرصتنا لتقديم إنجاز حضاري عالمي ، ولنعيد لحضارة الإسلام مجدها ، وأي مجد أعظم من إنقاذ البشرية من الكارثة التي صنعتها الرأسمالية ، وأي مجد أعظم من تحرير البشرية من الاستعمار والاستغلال والظلم .

البشرية كلها تنتظر الإسلام لينقذها من الفقر والظلم ، والأمة تنتظر دور علمائها في صياغة استراتيجية المستقبل ، وبناء نظام اقتصادي عالمي جديد على أساس الإسلام ، فهل نجد عاصمة إسلامية تحتضن الدعوة لتجميع الطاقات العلمية الإسلامية من أجل بناء نظام اقتصادي عالمي جديد ؟!

* * *

- ٣٩ -

قبل أن يسبقنا الغرب لإقامة نظام اقتصادي إسلامي !

كريستين لاغارد وزيرة الاقتصاد والصناعة والعمل في الحكومة الفرنسية وهى وزيرة متميزة يعلق عليها الرئيس الفرنسي ساركوزي آماله في زيادة شعبيته وحل المشكلات الاقتصادية التي تواجهها فرنسا .

وقد أثبتت لاغارد أنها تستحق تلك الثقة فهى تتميز بعقلية منفتحة ومبدعة ، وهى تمتلك الشجاعة للبحث عن حلول غير تقليدية ، فبالرغم من عداء الحكومة الفرنسية للإسلام ومحاولتها حظر الحجاب بيدَ أن تلك الوزيرة مَدَّتْ بصرَها وتطلعت نحو الإسلام للبحث عن حلول لمشكلات فرنسا الاقتصادية وللأزمة الاقتصادية العالمية .

الاستفادة من خبرة ماليزيا :

لذلك ذهبت لاغارد إلى ماليزيا واجتمعت بالسيدة أختر عزيز محافظة البنك المركزى الماليزى بهدف دراسة التجربة الماليزية وطلب مساعدة ماليزيا في تطوير نظام التمويل الإسلامي في فرنسا .

وصرحت كرستين لاغارد بأنها مهتمة باستكشاف الكيفيات والظروف التي يمكن باستخدامها أن تطور فرنسا قدرات التمويل الإسلامي وأنها تسعى إلى استفادة البنك المركزي الفرنسي من مزايا التمويل الإسلامي وتجربة هذا النظام في ماليزيا .

والرئيس الفرنسي ساركوزي شجع وزيرة اقتصاده على السير في هذا الاتجاة ؛ لأنه ببساطة يريد إعادة الثقة في النظام المالي الفرنسي ، فهو يرى أن أهم المشكلات التي يواجهها الاقتصاد الفرنسي انهيار الثقة الشعبية فيه خاصة بعد الأزمة الاقتصادية العالمية .

وهى ظاهرة لا تقتصر على الاقتصاد الفرنسي وحده ، ولكنها تتجلى في كل اقتصاديات العالم ، فلا أحد يثق الآن في البنوك بعد أن تسارع معدل الانهيار حتى بلغ عدد البنوك التي أعلنت إفلاسها ١٢٠ بنكًا في أمريكا وحدها .

عادت لاغارد إلى فرنسا لتدعو عددا كبيرًا من رجال الأعمال والاقتصاديين وأعضاء البرلمان الفرنسي لمناقشة النظام المالي الإسلامي ومستقبله في فرنسا وألقت الوزيرة كلمة في بداية الندوة أكدت فيها أن الحكومة الفرنسية مهتمة بتذليل كل العقبات القانونية والإجرائية أمام الاستثمارات الإسلامية المنضبطة بأحكام الشريعة الإسلامية .

وساركوزى أيضًا :

إذا عُدْنا إلى الوراء قليلاً سنكتشف أن الرئيس الفرنسي ساركوزي قد عبَّر عن اهتمامه بالنظام الاقتصادي الإسلامي وتطلعه إلى أن تلعب فرنسا دورا فاعلاً في بناء نظام التمويل الإسلامي .

وتوضح ورقة قدمها عبد الرزاق بلعباس ، ونَشرت ملخصا لها صحيفةُ الاقتصادية الإلكترونية جانبين على قدر كبير من الأهمية هما :

١ ـ إن الاهتمام الفرنسي بنظام التمويل الإسلامي لم يكن نتيجة الأزمة

الاقتصادية العالمية ولكنه بدأ منذ عام ٢٠٠٧ حيث وجه الرئيس ساركوزي تعليمات لمختلف الجهات المعنية من أجل تطوير التمويل الإسلامى في فرنسا ، وإنشاء المجلس الأعلى للنظام المالي الإسلامي الفرنسي . وأن اللجنة العليا لهذا المجلس قررت في ديسمبر ٢٠٠٧ العمل على تطوير التمويل الإسلامي في فرنسا .

٢ - عبَّر الرئيس ساركوزي في مأدبة عشاء أقامها تكريما لأمير دولة قطر عن اهتمامه بأن تلعب فرنسا دورًا مهمًّا في التمويل الإسلامي . نستنتج من ذلك أن هناك تفكيرا فرنسيا رسميا بأن تطور فرنسا نظاما اقتصاديا إسلاميا .. ولكن لماذا ؟!!

قبل أن نحاول أن نتوصل إلى تفسير لهذا التوجة .. دَعْنا نحاول أن نستجلي الأمر ونقدم المزيد من المعلومات ، ومن أهمها أن الوزيرة الفرنسية شكلت عددًا من اللجان لبحث الموقف الفقهي الإسلامي من الضرائب والصكوك والمرابحة .

وقضية الضرائب مهمة جدا ، فلقد ثبت أن النظم الضريبية الغربية خاصة في أمريكا من أهم الأسباب التي أدت إلى الأزمة الاقتصادية ، حيث إنها أدت إلى عجز الكثير من الناس عن سداد الديون بالإضافة إلى زيادة الفقر والإفلاس ، وأنه لا بد من التوصل إلى حل لهذه المشكلة خاصة عندما يتم محاصرة الناس بالفوائد الربوية المرتفعة من ناحية وبالضرائب من ناحية أخرى ، كما أنه لا بد من البحث عن بديل عادل للفوائد الربوية ، ذلك أن تلك الفوائد تشكل ظلمًا خطيرًا ، وهى تؤدي بالضرورة إلى عجز المدين عن السداد بعد

أن تتراكم لتزيد على مبلغ الدَّيْن نفسه .

المصلحة الوطنية :

ولكن لا يمكن تفسير التوجه الفرنسى بالنوايا الطيبة لحكومة ساركوزي ووزيرة اقتصاده العبقرية .. فساركوزي جاء للحكم وقد تضمنت دعايته الانتخابية قدرًا كبيرا من العنصرية والتحيز ضد الإسلام والعداء للمسلمين وتأييد الرأسمالية الغربية المتوحشة . ولا يمكن التسليم بأن ساركوزي قد غيَّر اتجاهه بين يوم وليلة .

وساركوزي يستخدم كل الوسائل للتضييق على المسلمين خاصة في مجال التعليم والحجاب فلماذا يتجه اليوم ليبحث عن حل لأزمتة الاقتصادية في الإسلام .

إن هذا التوجه قد جاء نتيجة للرغبة في تحقيق المصلحة الوطنية الفرنسية ، وإن كان ساركوزي يعادي الإسلام فإنه يحب وطنه ويسعى لتحقيق مصالح شعبة ؛ ولذلك دفعته وطنيته للبحث عن البدائل والحلول في الإسلام .

لقد أوضحت وزيرة الاقتصاد العبقرية أسباب هذا التوجه ، فهو كما قالت : يأتى كنتيجة لرغبة الحكومة الفرنسية في استقطاب التمويل الإسلامي بمعنًى آخر : فالوزيرة الفرنسية تريد أن تستقطب رأس المال الإسلامي ، ورجال الأعمال الإسلاميين الذين ذاقوا مرارة ضياع أموالهم في البنوك الغربية وهم يبحثون عن ملاذ آمن لأموالهم ، ومجالات استثمار يمكن أن تحقق لهم ربحا معقولاً مع قدر أكبر من الأمان .

ولا شك أن نظام المرابحة الإسلامية هو نظام عادل وآمن ، وهو يفتح المجال لاستثمار المال بشكل حقيقى ، وفي مشروعات اقتصادية يتم دراستها

قبل أن يتم فيها المخاطرة بالمال ، ذلك أن الذي يحصل على القرض بفائدة لا يعنيه كثيرا أن يدرس المشروع فهو في النهاية لا يلتزم إلا بدفع الفوائد على الدَّيْن . ولكن نظام المرابحة يقوم على تقاسم الربح والخسارة ، ولذلك فإن الطرفين لا بد أن يتأكَّدَا من إمكانية أن يحقق المشروع ربحا .

وفي الوقت نفسه فإن نظام المرابحة الإسلامية يقيم اقتصادا حقيقيا يتمثل في مشروعات تنموية تؤدي إلى زيادة قوة الدولة ، ومعالجة مشكلة البطالة وزيادة التنافسية والتقليل من الاحتكار . لذلك فإن ساركوزي لم يتجه لإقامة نظام مالي إسلامي حبا في الإسلام أو أنه تخلى عن عنصريته ، ولكن حبا في فرنسا ورغبة في أن تصبح باريس المركز العالمي الذي يجذب الأموال والاستثمارات ، وتتحقق القوة الاقتصادية .

ولعل الأزمة الاقتصادية قد خلقت الكثير من المبررات لتوجه ساركوزي ووزيرة اقتصاده نحو الاقتصاد الإسلامي ، فهي تشكل فرصة تاريخية لفرنسا لتقوية اقتصادها ، واستعادة ثقة الناس في نظامها المالي . ولذلك فلا بأس أن ينسى ساركوزي العلمانية والعنصرية من أجل المصلحة الوطنية .

ونحن لا بد أن نقدر ذكاء ساركوزي ووطنيته ، وكفاحه لتحقيق المصالح الوطنية لبلده وشعبه .. ولتحقيق هذه المصالح تسعى كرستين لاغارد إلى تغيير التشريعات الفرنسية بهدف جذب الاستثمارات في مجال التمويل الإسلامي ، وهي تتحدى المتخلفين العلمانيين من اليمين واليسار الذين يعارضون هذا التوجه بحجة الحفاظ على الفصل بين الدِّين والدولة ، فجذب الاستثمارات وتقوية فرنسا اقتصاديًّا أهمُّ بكثير من العلمانية .

ولقد نجحت الوزيرة لاغارد في إقناع البرلمان الفرنسي بتعديل بعض القوانين للسماح بإصدار الصكوك والسندات الإسلامية . كما وافق البرلمان الفرنسي على السماح لبنك قطر الإسلامي بافتتاح فرع له في باريس . ويرى خبراء اقتصاديون أن فرنسا ممكن أن تجذب بذلك ٧٠٠ مليار دولار من بنوك أوروبية وأمريكية ليتم استثمارها في فرنسا ، وتكافح الوزيرة الفرنسية لتعديل المزيد من القوانين لفتح المجال واسعًا أمام الاستثمارات الإسلامية ، ولكي تصبح باريس عاصمة التمويل الإسلامي ، وربما عاصمة النظام الاقتصادي الإسلامي العالمي .

إن هذه الاستثمارات الإسلامية يمكن أن تقدم الحل لأزمة فرنسا الاقتصادية ، وتُخرجها من الركود الاقتصادي .

ومن أجل ذلك فإن ساركوزي ووزيرته على أتم استعداد للتخلي عن العلمانية ، وتركها للحكام العرب ولأتباعهم من المثقفين الذين تحجَّرت عقولهم ، وتجمَّد تفكيرهم ، فتركوا الإسلام لفرنسا ليقدم لها حلولاً مُبدعة لأزمتها الاقتصادية . ولعل الحكام العرب يستمرون في ترديد تلك المقولة المتخلفة : لا دِين في السياسة ولا سياسة في الدِّين ، ولا دِين في الاقتصاد حتى ينهب رجال الأعمال الفاسدون ما تبقَّى من أموال في البنوك ، فتنهار النظم العربية ولكن بعد أن تجذب باريس مئات المليارات وتبني اقتصادا قويا يقوم على الأحكام والقيم الإسلامية . فهل يفكر حكامنا في أن دولهم أولى بإقامة النظام الاقتصادي الإسلامي العالمي من فرنسا !!!

* * * *

الخاتمة

قدمت في هذا الكتاب تحليلاً علميًا للأزمة الاقتصادية وناقشت الجوانب الثقافية والأخلاقية لهذه الأزمة ..

وكان أهم النتائج العامة لهذا الكتاب :

١- الأزمة الاقتصادية العالمية نتيجة حتمية لتطور الرأسمالية نحو الاحتكار حيث أصبحت ٥٠ شركة احتكارية تسيطر على حركة الاقتصاد العالمي وتُشَكِّل اتجاهاته وتستخدم الإدارة الأمريكية والجيش الأمريكي لحماية احتكارها .

٢- الارتباط بين الرأسمالية والفساد أصبح حقيقة واضحة ، وفساد الرأسمالية سيؤدي إلى انهيار أمريكا . ونحن نقف الآن أمام نقطة تحول في الجغرافيا السياسية التاريخية سيتم فيها تغيير توازن القوى في العالم .

٣- أوضح الإعصار المالي أن الاقتصاد الرأسمالي المتعولم اقتصاد غير حقيقي يقوم على التجارة في الأموال دون أُصُول تجعل لتلك النقود قيمة .

٤- أصبحت البنوك هي المحور الرئيسي لاقتصاد العالم فهي التي تدير حركة الأموال وتحويل المشروعات الوهمية وأدى ذلك إلى انتشار الفساد .

٥- الديون تشكل كارثة لشعوب الدول النامية ربما تكون أخطر من كارثة الاستعمار ، وكانت فوائد الديون من أهم أسباب الفقر والبؤس الذي تعيشه الشعوب .

٦- قامت الرأسمالية منذ بداية عهد الاستعمار بعملية تشكيل ثقافي للعالم تهدف إلى أن تكون الدول الرأسمالية هي مراكز الإنتاج بينما يتحول العالم إلى سوق لتصريف منتجاتها ، لذلك أغرقت الشعوب بالثقافة الاستهلاكية .

٧- استعبدت الرأسمالية الإنسان بالمعلومات التي تطور قدرته على العمل كخادم للرأسمالية ، لكنها قيّدت حقه في المعرفة .

٨- مواجهة الأزمة الاقتصادية تحتاج إلى ثورة على النموذج الأمريكي للحياة وعلى العبودية الحديثة وعلى ثقافة التسلية والاستهلاك .

٩- الأزمة الاقتصادية تفرض على الإنسانية كلها أن تبحث لنفسها عن مشروع حضاري جديد تبنى على أساسه مستقبلها .

١٠- وسائل الإعلام تتحمل مسؤولية كبيرة فقد انحازت للرأسمالية وتحولت إلى وسيلة استخدمها الرأسماليون لتشكيل واقع يسمح لهم بنهب موارد الشعوب .

١١- لم تستطع وسائل الإعلام أن تقوم بوظيفتها في كشف الانحرافات والفساد ، واستخدمتها الشركات عابرة القارات في تحويل الناس إلى عبيد للرأسمالية .

١٢- أصبحت ٩ شركات عابرة القارات تسيطر على وسائل الإعلام في الولايات المتحدة وأوربا ، وقامت هذه الشركات بدور وزارة إعلام رأسمالية خاصة تشبه وزارة الإعلام في أية دولة دكتاتورية .

١٣- لذلك لابد من الكفاح لتحرير وسائل الإعلام من السيطرة

الاحتكارية الرأسمالية لكي تتمكن هذه الوسائل من إدارة مناقشة حرة تفتح المجال للتوصل إلى حلول حقيقية للأزمة الاقتصادية .

١٤- الناس سيفقدون ثقتهم في المعلومات التي تقدمها لهم وسائل الإعلام ، فلقد شكَّلت الأزمة الاقتصادية اختبارًا قاسيًا لوسائل الإعلام التي سيطرت عليها الرأسمالية ، واستخدمتها في تضليل الشعوب وخداعها .

١٥- الاقتصاد الأمريكي تحمل خلال الحرب على العراق وأفغانستان ما يفوق قدرته ، لذلك فإن الاعتراف بالهزيمة والانسحاب من العراق وأفغانستان يُشَكِّل الأمل الوحيد لإنقاذ الاقتصاد الأمريكي .

١٦- الإمبراطورية الأمريكية الآن على حافة الانهيار ، لكنها قبل أن تنهار سوف تجذب معها للهاوية اقتصاد العالم والفكر الاستعماري الغربي والثقافة الاستهلاكية والنُّظُم التابعة الضعيفة في الدول النامية .

١٧- لذلك يجب أن تفكر الدول العربية في مستقبلها وتستعد لمواجهة عالم ما بعد أمريكا ، وأن تكافح للتحرر من التبعية ، والبحث عن استثمارات آمنة داخل الوطن العربي .

١٨- الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يبني نظامًا اقتصاديًا عالميًا جديدًا يقوم على العدل والأخلاق وبناء الحضارة وإعمار الأرض وإسعاد الإنسان .

١٩- يجب أن تُحَوَّل الأزمة الاقتصادية العالمية إلى بداية للكفاح من أجل تحقيق الاستقلال الشامل والتحرر من التبعية .

٢٠- الإنسانية تحتاج إلى مفهوم جديد للحرية يعيد للإنسان كرامته ، ويُحَرِّره من العبودية لنفسه وللرأسمالية .

٢١- أوضحت الأزمة الاقتصادية أن الله أكرم المسلمين بتحريم الربا ليقيموا العدل بين الناس ، وليقيموا نظامًا اقتصاديًا على أساس العدل وتوفير الفرص لإنشاء المشروعات الصغيرة وتعمير الأرض .

٢٢- الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يقدم حلولاً حضارية للأزمة الاقتصادية العالمية .

٢٣ - وهذه الأزمة سوف تفتح الطريق أمام الإسلام ليقدم إسهامه الحضاري الإنساني الجديد في إنقاذ العالم من الكارثة التي صنعتها الرأسمالية .

٢٤- والإسلام يمكن أن يقود كفاح الإنسانية للتحرر من الرأسمالية المتوحشة والنهب الغربي لثروات الشعوب .. لذلك لابد أن نستخدم وسائل الإعلام لتقديم معرفة شاملة عن الإسلام لكل شعوب العالم .

٢٥- والإسلام يمكن أن يقدم صياغة جديدة لأهداف الإنسان في الحياة تحكم حركته وهو يسعى في الأرض ويقيم المشروعات ، وهذه الأهداف يمكن أن تشكل أساسًا لاقتصاد عالمي جديد .

٢٦- والإسلام يمكن أن يبني منظومة أخلاقية إسلامية تنقذ الاقتصاد العالمي من الانهيار .

٢٧- والإنسانية تنتظر الإسلام ليبني لها نظامًا اقتصاديًا عالميًا جديدًا وهذا هو التحدي الذي يجب أن يواجهه العقل المسلم بجرأة وشجاعة .

تلك أهم نتائج هذا الكتاب ، وأتمنى أن يكون منبهًا لعلماء الإسلام ليقوموا بدورهم الإنساني والحضاري في بناء نظام اقتصادي عالمي جديد على أساس الإسلام الذي يمكن أن يشكل أهدافًا إنسانية وحضارية للاقتصاد ويوفر منظومة أخلاقية تنظم علاقات الناس والدول .

إن الأزمة الاقتصادية العالمية توفر لنا فرصة تاريخية ، فالأمة الإسلامية تمتلك الكثير من الثروات المادية والبشرية وهي تحتاج إلى إدارة عادلة لهذه الثروات لكي تكون أساسًا لنهضة شاملة يقوم على أساسها نظام اقتصادي يحقق للإنسان العدل والحرية

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك .

سليمان صالح

القاهرة ٢٣ ديسمبر ٢٠١٠

ٱلْمَصَادِرِ وَٱلْمَرَاجِع

أولاً : صحف الأجنبية :

1- The New York times.

2- The Washington post.

3- The Independent.

4- The Times.

5- Time Magazine.

6- Foreign Affaiss.

ثانيًا : مقالات منشورة على الانترنت أو في مجلات علمية :

1- Aluko. F and Arowlo، Foreign aid, The Third world debt crisis and the implication for economic development، African journal of political science and international relations، vol 4 (4) pp 120 - 127, April 2010 .

2- Stewart. T, the third world debt crisis : Acontinuity of imperialism، www. Southcentre.org.

3- Chomsky. N, Media control, http//:www.thirdworldtraveller.com / media /media control-chomsky.html .

4- Galtung. J. A, Astructural theory of imperialism, journal of peace reasearch, vol 8 , No2, 1971 .

5- Herman. E. S, the global media giants, Educate magazine, Oct- Dec 2001 .

6- Mc Chesney. R. W. , the global media giants, Extra: the magazine of fair,Nov- Dec 1997 .

7- Mc Chesney. R. W. , the new global media, http://postthenation.com/issue/991129/1129.Mcchesney.html.

8- Mc Chesney. R. W. , the internet and US communication policy making in a historical and critical perspective, http://www.ascuse.org/jcmc/vol 11,issue4/McChesney.html.

9- Netherton. J, International Communication as a conduit of Commercialism : A Free Flow of disinformation, http://www.democracy.org/essay2.html.

10- White. A, The new media giants, http://www.ifj.org/publications/press/pr/115.html.

ثالثًا : كتب باللغة العربية :

١ـ سليمان صالح . أزمة حرية الصحافة في النظم الرأسمالية ، القاهرة : دار النشر للجامعات ١٩٩٥ .

٢ـ سليمان صالح . الإعلام الدولي ، الإمارات العربية المتحدة ، مكتبة الفلاح ، ٢٠٠٣ .

٣ـ سليمان صالح . وسائل الإعلام وإدارة الصراع ، الإمارات العربية المتحدة ، مكتبة الفلاح ، ٢٠١٠ .

٤ـ علي عزت بيجوفيتش . الإسلام بين الشرق والغرب ؛ ترجمة محمد يوسف عدس . ط. دار الشروق بالقاهرة .

٥ـ محمد توهيل . هذه هي العولمة ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، ٢٠٠٢ .

رابعًا : كتب باللغة الإنجليزية :

1- Altschull. J. H, Agents of Power, (USA: longman, 1995) .

2- Bagdikian. B. H, The media monopoly, Boston : Beacon press, 1997 .

3- Demers. D, G Lobal media, (new Jersey: Hampton press, 1999) .

4- Gerbner. G, Mowlana. H and Nordenstreng. K, The Global media debate, (New Jersey : Ablex Publishing corp, 1993) .

5- Herman . E. S. and Mc Chesney. R. W. , the global media, (London : Cassel, 1999) .

6- Katzman. H, The Secret War, (University of Oreagon : College of education, 1998) .

7- Manet. E. G, The hidden War of information, (New Jersey : Ablex Publishing Corporation, 1998) .

8- Mowlana. H, Global communication in transition, (London: Sage Publications, 1996).

9- Nazer. H. M, Power of a third kind, (London: Praeger, 1999).

10- Postman. N, amusing ourselves to death, (New York : Viking Press, 1993) .

11- Postman. N, InForming ourselves to death, (Germany : German information society, 1996) .

12- Tehranian. M, Global communication and World Politics, (USA : Lynne Reinner Publishers, 1999) .

13- Krugman, Principles of economics, (USA: Princeton University, 2010) .

* * *

المؤلف



أ.د. سليمان صالح . أستاذ الصحافة والإعلام الدولي – كلية الإعلام جامعة القاهرة . ومدير مركز التراث والتوثيق الصحفي – جامعة القاهرة .

www. Prof. Suliemansaleh .com

كتب للمؤلف :

١– أزمة حرية الصحافة في النظم الرأسمالية .

٢– أزمة حرية الصحافة في مصر .

٣– صناعة الأخبار في العلم المعاصر .

٤– أخلاقيات الإعلام .

٥– الإعلام الدولي .

٦– وسائل الإعلام وصناعة الصور الذهنية .

٧– مستقبل الصحافة في ضوء ثورة الاتصال .

٨– حرية الإعلام وثورة الاتصال .

٩– حرية الإعلام والاتصال في المجتمعات المعاصرة : نظرية جديدة للعلاقة بين وسائل الإعلام والمجتمع .

١٠– وسائل الإعلام وإدارة الصراع .

١١– التنظيم القانوني والأخلاقي لحرية الإعلام .

١٢– الانتفاضة الفلسطينية ثورة الذات الحضارية .

١٣– انتفاضة الأقصى : نموذج حضاري إسلامي للمقاومة .

تم الكتاب بحمد الله

World Economic Crisis

Between
Media Bias & the Islamic Solution

Ph. D. Sulieman Saleh
Professor of Journalism & International Communication
Cairo University



Al-Imām al-Bokhāry
Publisher